العوانس

صرخة فى وجة المجتمع والقانون

الشيخ شمس الدين



مركز الراية للنشر و الاعلام

الشيخ / شمس الدين

العوانس

صرخة في وجه المجتمع والقانون

الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام

الكتـــــاب : العوانس

التـــــأليف : الشيخ/ شمس الدين

الطبعـــــة : الأولى سنة ٢٠٠٢

الناشـــــر : مركز الراية للنشر والإعلام

القاهرة - ٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى

تليفون : ٥٩٢٦٢١٩

رقم الإيـــداع : ٢٠٠٢/٢٩٩٣

الترقيم الدولى : ISBN: 977-5967-60-0



تقديم

عانس وعنوسة:

يهمّني كثيرا في مقدّمة كتابي هذا التنبيه إلى الفرق الواقع بين العنوسة والعانس:

❁ فالعنوسة يُقصد بها تجاوز الفتاة سنّ الزواج العرفيّة، وهي ليست محدودة بسنّ معيّنة، فالتحديد راجع للعرف ونظرة المجتمع، فما تعتبره بعض البيئات عنوسة لا تراه بعضها كذلك، وفي الجزائر مثلا تُعتبر الفتاة عانسا في العواصم والمدن من بلغت الثلاثين فأكثر بينما في القرى والمداشر تُعتبر عانسا من بلغت الثالثة والعشرين فأكثر، فسنّ الزواج في الأرياف غالبا ما يكون بين السادسة عشر والتاسعة عشر.

والعنوسة ظاهرة وكارثة أصابت مجتمعاتنا الإسلاميّة عموما والعربيّة على وجه الخصوص نتيجة العوائق الكثيرة والحواجز العديدة الفكريّة والمادّيّة التي تَسببت في إكراه الشباب على ترك الزواج والاستعاضة عنه بحياة الفرديّة والعزبة وهي حياة لا بدّ أن تصب حتما في نهر البوهيميّة.

هذه العقبات الموضوعة في طريق الزواج عن قصد وعن غير قصد تُعيق الإنسان عن ممارسة حقّ من حقوقه الشرعيّة والطبيعيّة والفطريّة وهو حقّ الارتباط وحقّ بناء أسرة وحقّ الحصول على شريك أو شريكة في الحياة!، وبغير الحصول على هذا الحقّ لا يمكن استمرار وجود الإنسان وبقاء نوعه!، فالعنوسة مرفوضة شرعا وعقلا وفطرة!.

✿ والعانس فرد يعيش وضعا غير طبيعيّ في مجتمع ما، لم يَرِد في شريعتنا ما يدعو لذمّها و(تعييرها) ورفضها وتهميشها ....، بخلاف التقاليد الجاهليّة والأفكار المتحجّرة المقولبة التي جعلت العانس رمزا للعيب والعار حتّى كاد هذا المعنى يلتصق بالعبارة اِلتصاقا، فالعيب والعار يطاردان العانس حيثما حلّت وأينما ارتحلت دونما جناية جنتها ولا جريمة ارتكبتها!.

والحقّ أنّ العانس في الأعمّ الأغلب لم تختر عنوستها ولو خُيّرت ما اختارت الشقاء!، ولا يُتصوّر أن تلجأ مسلمة عاقلة إلى اختيار وسيلة دمارها!.

الفرق إذًا بين العنوسة والعانس أنّ الأولى حالة مرفوضة شرعا وعقلا وفطرة أمّا الثانية (أي العانس) فهي إنسان ابتليت بالعنوسة فتستحقّ كلّ التكريم والحبّ!.

الفرق بين العانس والعنوسة كالفرق بين المريض والمرض والفقير والفقر والأعمى والعمى والمعوّق والإعاقة ...، فبقدر الجهد المبذول لمحاربة ظاهرة المرض والفقر والجهل ... كحالات لا تليق بكرامة الإنسان فإنّ العدل يدعونا لاحترام المريض والفقير والشفقة على الجاهل من جانب تمتّعهم

بالكرامة الإنسانيّة وحصانتهم بسياج (حقّ المسلم على المسلم)، وما رأيت مريضا كالذي يُعيِّب مريضا بالمرض ولا مُعوّقا كمن يُعيّب معوّقا بالإعاقة غاضّا بصره عن مساحات شاسعة من الفضيلة احتوتها نفوس هؤلاء قد لا تُرى على أبدانهم بسبب المرض والإعاقة ولكن نفوسهم تشعّ طيبة يعجز الكثير عن إدراكها!.

هل يستطيع المعيّبون الجمع بين العفّة والعنوسة، والرضى بالقضاء والإعاقة، والحمد والمرض، والشكر والعاهة، والإيثار والفقر ...!، فلا يمكن تصنيف من يُعيّب عانسا بعنوستها إلاّ في خانة التنابز بالألقاب التي شجبها وحرّمها الإسلام منذ قرون!.

وفوق هذا فإنّ المجتمع مدين للعوانس، فلولا أنّ كثيرا منهنّ اتقين الله في أنفسهنّ وحافظن على عفافهنّ رغم دواعي الجسد وضغط الغريزة وسلبيّة المجتمع وبريق المعصية وسهولة إتيانها ... لولا هذا الطراز الرفيع من العوانس لكان الدمار الشامل والكارثة الكبرى المحقّقة. وللحقّ والتاريخ فإنّ آلاف العوانس على طول عالمنا العربيّ الإسلاميّ حافظن على عفافهنّ وشرفهنّ خوفا من الله تعالى فقط دون أن يلتفتن إلى سواه سبحانه!، فلم يكن دافعهنّ للعفاف الخوف من سلطة الرجل ولا الخوف من نظرة المجتمع ...، فما أسهل عليهنّ لو أردن الاحتيال على هذه السلطة!.

فليتّق الله الآباء والأمّهات الذين يذكرون بناتهم بعنوستهنّ في كلّ مناسبة أو في غير مناسبة فيؤذونهنّ بغير ما اكتسبن!، وليتّق الله هذا المجتمع الجاهل في نظرته للعانس على أساس من العيب والعار بينما العيب والعار

يمارسان جهارا نهارا تحت سمع المجتمع وبصره ولا يُواجهه إلاّ بإسدال السدول وتكثيف الستور وغضّ البصر!.

العانس الشريفة هي السدّ الذي يقف الآن في وجه طوفان الفتنة!، تقف وحدها في ساحة الوغى صامدة في عفافها مستعصية على السقوط رافضة لجميع مبرّرات الشذوذ ...!.

العانس الشريفة الآن هي عنوانا للفضيلة، وكيف لا تكون كذلك والفتنة تتلوّى من أمامها قاذفة سمومها والمجتمع من خلفها يرميها بشظايا نظرات الاحتقار والعيب والعار وهي كالطود الأشمّ متأبّية على الخضوع رافضة لكلّ مساومة؟!.

ما أحوجها داخل هذه الظلمة لشعاع ضوء من يد متوضّئة تُنير لها طريقها ولكلمة طيّبة تثمن صمودها، والكارثة الكبرى يوم أن تنهار العانس، فللصبر حدود وكلّ وقوف يتلوه قعود، وحينها فقط يتذكّر المجتمع الغافل بسالة أخواتنا العوانس ولات حين مناص.

وحينما أعلن قناعتي أنّ المجتمع يسير نحو الكارثة نتيجة العنوسة الإجباريّة التي حلّت بأغلب العائلات والفتيات خاصّة منهنّ ذوات الكفاءة العليا والشهادات العلميّة الراقية ... لستُ مبالغا في الأمر ولا مهوّلا للقضيّة، فالأمر جدّ خطير والخطر الخفيّ في الموضوع أوسع بكثير من الخطر الظاهر، يكفي أن نعلم أنّه في حدود ٥٠٠ ألف فتاة محكوم عليهنّ بالتعنيس مدى الحياة!، وذلك أنّ العزب الذي بلغ من العمر الخامسة والثلاثين إذا رغب في الزواج واستطاع فإنّه لا يختار من تماثله أو تقاربه في السنّ بل يختار بنت

العشرين، فلا يبقى للعانس إلاّ الأرمل أو الراغب في التعدّد، وحتّى هؤلاء غالبا ما يقع اختيارهم على الصغيرة الطريّة!.

هكذا تضيع آلاف الفتيات الصالحات ذوات العلم والأدب والمروءة والرشاقة والوضاءة ... يُحرمن من مشاعر الأمومة ومتعة التربيّة والإرضاع ولذّة خدمة زوج وسعادة حبّه، وقد دخلت بعض فتياتنا القبر (رحمها الله تعالى) دون أن تُشنّف مسامعها عبارة: (أُمّي) ... فحسبنا الله ونعم الوكيل!.

كم ظلمت هذه المجتمعات أخواتنا العوانس، وأيّ ظلم أكبر من إحالة الضحيّة إلى المقصلة أو إقامة الحدّ على المسروق أو حدّ الجلد على المغتصبة!. يتسبّب المجتمع في عنوسة آلاف الفتيات يدفعهنّ دفعا ويُكرهُهُنّ كرها على التعنّس ثمّ يعمد إلى أثقل عبارات الجرح والثلب يقذفهنّ بها!.

والعانس لا تستحقّ كلّ هذا الحقد ... العانس يا ناس مجنيّ عليها لا جانية مظلومة لا ظالمة، العانس يا ابن وطني فقدت حقّها الشرعيّ المقدّس في بناء أسرة هادئة (زوج ترعاه بصدق وأبناء ترتيهم بحب)!.

فالواجب أن يتحرّك ضمير هذا المجتمع نحوها يحنو عليها ويرحمها ويسترها بل عليه أن ينظر إلى العانس العفيفة كأسطورة أبت السقوط في مستنقع الرذيلة وأن يجعلها عنوانا للفضيلة حتّى يتهافت الشباب خاصّة المتديّن منهم على خطبتها وطلب يدها!، ما الذي يريده الشاب المؤمن أكثر من امرأة صارت عنوانا للفضيلة؟!.

والمؤسف والمؤلم أنّ كثيرا من الشباب (المتديّن ظاهرا) قد إلتحق

بالقطيع وأصبح من أنصار الجسد وعشاق الصور وهواة القشور، فاختاروا المظهر على المخبر والمال على الشرف والجمال على العفاف ...!، ولا غرابة إن وجدنا في شبابنا من حوّل شواطئ البحار إلى أماكن للخطبة!، هكذا الذباب على أشكاله يقع، فالعقل العاري يبحث عن الجسد العاري!.

وكأنّ شبابنا ما سمع قوله ﷺ: [تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ]، وقوله ﷺ: [لاَ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلاَ تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ].

أما سمع شبابنا المسلم أنّ رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام تزوّج خديجة رضي الله عنها وهي أرملة قد بلغت أربعين سنة وهو ابن خمسة وعشرين سنة؟!.

أما بلغ شبابنا المسلم أنّ رسول الله ﷺ تزوّج بعد وفاة خديجة السيّدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وعمرها خمسة وخمسين سنة؟!.

أما بلغ شباب الإسلام أنّ رسول الله ﷺ تزوّج السيّدة حفصة بنت عمر وهي أرملة وتزوّج السيّدة زينب بنت خزيمة وقد بلغت الستّين من عمرها؟!.

هكذا يضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في اختيار ذات الدين ليشرّع لأمّته ويهديها ويرشدها إلى الطريق الصحيح لبناء أسرة هادئة قائمة على المودّة والرحمة.

وإنّ كتابنا هذا يتناول موضوعا من أخطر المواضيع إن لم يكن أخطرها على الإطلاق وهو موضوع (العنوسة)، هذا الموضوع الذي كاد أن يتحوّل إلى (تابو) لا يجوز الحديث عنه ولا مصارحة الناس به ولا البحث عن جذوره وحلوله وكأنّ وراء المحاولة (الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا!). هو إذًا محاولة جادّة لتسليط الضوء على آفة اجتماعيّة خطيرة عوض التباكي والنياحة والعويل!.

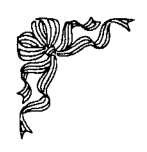
وإنّي أنوي بعد إذن الله تعالى أن أُضيف للكتاب في طبعاته القادمة إضافات جديدة، كما أنوي إخراج كُتيّبات أُخرى حول نفس الموضوع ولكن من جوانب أخرى.

لذلك أتّجه لكلّ قارئ وقارئة خاصّة من ذوي الرأي والكفاءة أو ذوي الخبرة والتجربة أو العوانس اللواتي بإمكانهنّ التعبير عن حالهنّ وحال الناس معهنّ أتمنّى على الجميع مراسلتي حتّى نُشارك جميعا في بلورة رأي عامّ يُدين الظاهرة ولا يسكت عنها!.

كما أُنبه إلى أنّ كتاب: [تأنيس العوانس] هو دعوة للتضامن مع المرأة، هذه المرأة التي تاجر الجميع بقضيّتها ولم تستفد هي من تلك التجارة مع أنّها الخاسر الأكبر!.

ولا يسعني أن أختم هذه المقدّمة دون التوجّه إلى الله العليّ القدير أن يتقبّل كتابي هذا وأن يجعله في ميزان حسناتِ كلّ من شارك في ظهوره سواء من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذكر الشابّ الصالح عبد الهادي نحاسية فقد بذل جهدا معتبرا في إخراجه وتصفيفه وتجميله وكان لي نِعم المساعد والمعين.

الشيخ شمس الدين




الفصل الأول

الإسلام يرفض التبتل




الإسلامُ يرفضُ التبتّلْ

رغّبت الشريعة الإسلاميّة في الزواج ورفضت التبتّل[1] رفضا قاطعا، وحذّرت من العزوبة والعنوسة، ونظرت إلى الزواج والارتباط نظرة واقعيّة مُنسجمة مع الفِطرة، وحاربت كلّ نزعة تدعو إلى العُزبة سواء باسم التحرّر من الضوابط الدينيّة أو باسم التفرّغ للعبادة والتقرّب إلى الله تعالى.

فقد ورد أنّه: [جَاءَ ثَلاَثَـةُ رَهْطٍ[2] إِلَى بُيُـوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ

---

(١) **التبتّل:** هـو الانقطاع عن النساء، ثمّ يُستعمل في الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾﴾ [المزّمّل]: أي انفرد له في الطاعة. والبتُول: المرأة المنقطعة عن الرجال، ويُقال: سُمّيت فاطمة البتُول لانقطاعها عن نساء الأُمّة فضلا ودينا وحَسَبًا، ويُقال: صدقة بَتّة بتلة: أي مُنقطعة عن الإملاك.

وكان التبتّل من شريعة النصارى فنهى النبيّ ﷺ أُمّته عنه ليكثر النسل ويدوم الجهاد. [شرح السنّة] (للبغويّ) (٩/٥،٦).

(٢) **الرهط:** من ثلاثة إلى عشرة، والنفر: من ثلاثة إلى تسعة، ووقع في مرسل =

عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟!، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي

= سعيد بن المسيِّب عند عبد الرزاق أنّ الثلاثة المذكورين هم: عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون. [فتح الباري] (٩/١٠٤).

استعمل الكاتب (زهدي يكن) في كتابه [الزواج ومقارنتـه بقوانين العالم] (منشورات المكتبة العصريّة) (ص:٣٢) عبارة نابية لا يليق أن تصدر عن مسلم فضلا عن كاتب وباحث ومؤلّف يقول: «وخاطب النبيّ ﷺ فئة من الشباب (انتشر الفسـق بينهم): [وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي]»، ثمّ أشار في الهامش إلى أنّ الحديث رواه البخاريّ؛ ومعنى هذا أنّه يعلم أنّ هؤلاء ليسـوا من الشباب الذين انتشر الفسـق بينهم، وحاشاهم بـل هـم كما ذكرت النصوص من خيرة الصحابة ﷺ علما وأدبا وصحبة.

ونرى مثل هذا التعبير لا يليق بمكانة رجال أثبت الله صدقهم في القرآن الكريم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

نتمنّى للكاتب أن ينتبه فيستغفر ويحذف العبارة في الطبعات اللاحقة.

وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي][(١)].

وعن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: [يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ[(٢)] فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ[(٣)]][(٤)].

وعن سعيد بن المسيّب قال: [سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: رَدَّ

---

(١) رواه البخاريّ.

(٢) **الباءة**: بالهمز وتاء تأنيث ممدودة، وفيها لغة أُخرى بغير همز ولا مدّ، وقد يُهمز ويُمدّ بلا هاء، ويُقال لها أيضا (الباهة) كالأوّل لكن بهاء بدل الهمزة وقيل بالمدّ: القدرة على مؤن النكاح، وبالقصر الوطء، قال الخطابيّ: «المراد بالباءة النكاح وأصله الموضع الذي يتبوّؤه ويأوي إليه»، وقال المازريّ: «اشتق العقد على المرأة من أصل الباءة لأنّ من شأن من يتزوّج المرأة أن يبوءها منزلا»، وقال النوويّ: «اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد أصحّهما: أنّ المراد معناها اللغويّ وهو الجماع، فتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوّج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شرّ منيّه كما يقطعه الوجاء، والقول الثاني: أنّ المراد هنا بالباءة مؤن النكاح سمّيت باسم ما يُلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوّج ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته». [فتح الباري] (١٠٨/٩).

(٣) **الوجاء**: بكسر الواو والمدّ وأصله الغمز، ومنه وجأه في عنقه إذا غمزه، ووجاه بالسيف إذا طعنه به، ووجأ أنثييه غمزهما حتّى رضّهما، وتسمية الصيام وجاء استعارة والعلاقة المشابهة لأنّ الصوم لمّا كان مؤثّرا في ضعف شهوة النكاح شبه الوجاء. [نيل الأوطار] (٢٢٩/٦).

(٤) متّفق عليه.

رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا](١).

وعن قتادة عن الحسن عن سمرة: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، وَقَرَأَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]](٢).

---

(١) متّفق عليه.

قال الطبريّ: «التبتّل الذي أراده عثمان بن مظعون: تحريم النساء والطيب وكلّ ما يلتذّ به، فلهذا أنزل في حقّه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٨٧]».

وقال الطيبيّ: «قوله: ولو أذن له لاختصينا كان الظاهر أن يقول: ولو أذن له لتبتّلنا لكنّه عدل عن هذا الظاهر إلى قوله: لاختصينا لإرادة المبالغة أي لبالغنا في التبتّل حتّى يفضي بنا الأمر إلى الاختصاء، ولم يرد به حقيقة الاختصاء لأنّه حرام.

وقيل بل هو على ظاهره، وكان ذلك قبل النهي عن الاختصاء، ويؤيّده توارد استئذان جماعة من الصحابة النبيّ ﷺ في ذلك كأبي هريرة وابن مسعود وغيرهما، وإنّما كان التعبير بالخصاء أبلغ من التعبير بالتبتّل لأنّ وجود الآلة يقتضي استمرار وجود الشهوة ووجود الشهوة يُنافي المراد من التبتّل فيتعيّن الخصاء طريقا إلى تحصيل المطلوب.

والحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل ليستمرّ جهاد الكفّار، وإلاّ لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقلّ المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفّار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمّديّة. [فتح الباري] (١١٨/٩).

(٢) رواه الترمذيّ وابن ماجه.

وعن ابن عبّاس رفعه: قال ﷺ: [لاَ صَرُورَةَ فِي الإِسْلاَمِ][١].

وأمّا الآثار عن الصحابة ﷺ في الحثّ على الزواج والنهي عن العزبة فكثيرة، أكتفي بذكر بعضها وليكن أوّلها الكلمة العميقة التي قالها عمر بن الخطّاب لأبي الزوائد وقد وجده عزبا لا زوجة له: «إنّما يمنعك من التزوّج عجز أو فجور»[٢].

ومنها قول ابن عبّاس: «تزوّجوا فإنّ يوما مع التزوّج خير من عبادة كذا عام!»[٣].

وقال ابن مسعود -وهو مطعون-: «زوّجوني فإنّي أكره أن ألقى الله عزبا!»[٤].

وتجري هذه النصوص على المرأة كما جرت على الرجل، فالمرأة مكلّفة مثل الرجل وتُطالبها الشريعة بتحصين نفسها وإعفافها كما طالبت الرجل، بل نصّ فقهاؤنا ﷺ أنّ الزواج يصير في حقّ المرأة فرضا إن عجزت عن قوتها وكانت عرضة لمطامع المفسدين وتوقّف سترها وصيانتها على الزواج.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم، والصَّرورة: بفتح الصاد المهملة، قال الإمام الشوكاني: «هو الذي لم يتزوّج والذي لم يحجّ».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة.

(٣) [تحفة العروس] (ص:١٤) (طبع المكتب الإسلاميّ)، وانظري كتاب [الخطبة والزواج] (للدكتور محمد محدّه) (ص:١٠٦-١٠٨).

(٤) راجعي [الخطبة والزواج] (للدكتور محمد محده) وهو كتاب مفيد جدّا.

ويجب عليها الزواج إذا خشيت الوقوع في الزنى أو مقدّماته، وكذلك إن وجدت الكفء، فلا يسعها تأخير الزواج بحجّة العمل أو الجامعة فضلا عن حجّة التمتّع بالحياة ....

وأكاد أجزم أنّ كلّ فتاة اليومَ تخشى على نفسها الزنى أو مقدّماته نتيجة انتشار الإثارة الجنسيّة في كلّ مكان، بدءا بالملابس المجنونة والمجلاّت الخليعة والمسلسلات الساقطة وأشرطة (فيديو) العابثة والقنوات الأجنبيّة المدمّرة والقصص الأدبيّة السافلة والاختلاط الفاحش والأغاني الشيطانيّة وعطور كأنّها الغازات السامّة ...، وعلى هذا الأساس لا فتاة يمكنها الاطمئنان على نفسها أنّها لن تكون ضحيّة إحدى هذه الأمور.

فيكون حكم الزواج الآن وفي مثل هذه الظروف واجبا لا مستحبّا ومثله مثل الصلاة والزكاة والصوم.

ولا تلتفتي أُختيّاه إلى الخلاف الموجود في كتب الفقه بين من يذهب إلى وجوب الزواج ومن يذهب إلى سنيّته أو استحبابه، فالكلّ متّفق على أنّ من خشيت على نفسها الإثم وجب في حقّها الزواج[1]، كما أنّ الخلاف الواقع

---

(١) جاء في [المفصّل] (٦/٣٤) (للدكتور عبد الكريم زيدان) تحت عنوان: (حكم النكاح في الوقت الحاضر): «وإذا كان الأصل في النكاح هو الندب وهو ما رجّحناه فإنّ هذا الحكم أي الندب في الوقت الحاضر يقرب من الوجوب لما يخاف على شباب ونساء المسلمين من الوقوع في الزنى بسبب رقّة الدين في النفوس وفساد المجتمع وكثرة المغريات كما هو واضح وظاهر ولا يحتاج إلى بيان أو تفصيل».

نشأ والمجتمع المسلم لا يعاني مشكلة تُسمّى مشكلة العزوف عن الزواج أو مشكلة العنوسة، وقد اطّلعتُ على أكثر من أربعين كتابا فقهيّا فنادرا ما وجدتُ فقيها أشار إلى حكم زواج المرأة!، لا لأنّهم أهملوها في بحوثهم أبدا ولكن لأنّ زواجها في تلك البيئات لم يكن مشكلة تستحقّ البحث والتنقيب. لم يخطر ببال فقهاءنا الكرام أن تنشأ مشكلة في المجتمع المسلم يعجز فيها الشاب أو البنت على الزواج فتكون العزبة والعنوسة إجباريّة وقهريّة!.

ولا عجب بعد هذا إذا وجدنا الشريعة الإسلاميّة وهي النظام الذي اختاره الله للبشريّة تجعل الزواج (عبادة)، نعم عبادة يُتقرّب به إلى الله تعالى ويُنال به ثوابه، فالإسلام دين واقعيّ لم يأت للقضاء على فطرة الإنسان بل جاء لينسجم معها ويُهذّبها.

كيف لا يكون مُتعبّدا من اقتدى برسول الله ﷺ واقتدى بالأنبياء والمرسلين وبصحابته الكرام وبصالحي هذه الأُمّة؟!، كيف لا يكون مُتعبّدا من عفّ نفسه وزوجه وستر مسلمة في زمنٍ كهذا؟!.

هذه الأهمّيّة المتعدّدة للزواج من زيادة في النسل إلى إحصان للفرج إلى ترابط وتكافل داخل الأسرة وخارجها هي التي دفعت العلاّمة ابن الهمام الحنفيّ إلى التصريح بأنّ: «الجهاد وإن كان عبادة إلاّ أنّ النكاح سبب لما هو مقصود منه وزيادة، حيث هو سبب لوجود المسلم والإسلام، أمّا الجهاد فهو سبب لوجود الإسلام فقط»[1].

---

(١) [الخطبة والزواج].

وقال ابن عابدين في حاشيته: «ليس لنا عبادة شُرعت من عهد آدم إلى الآن ثمّ تستمرّ في الجنّة إلاّ النكاح والإيمان، لذا قدّمه بعضهم حتّى على الجهاد»(١).

وقال الإمام المازريّ: «الذي نطق به مذهب مالك أنّه مندوب، وقد يجب عندنا في حقّ من لا ينكف عن الزنى إلاّ به».

وقال القرطبيّ: «المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة بحيث لا يرتفع عنه ذلك إلاّ بالتزويج لا يختلف في وجوب التزويج عليه».

قال عيّاض: «هو مندوب في حقّ كلّ من يُرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة لقوله ﷺ: [فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ]، ولظواهر الحضّ على النكاح والأمر به، وكذا في حقّ من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء، فأمّا من لا ينسل ولا إرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقّه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت، وقد يُقال إنّه مندوب أيضا لعموم قوله ﷺ: [لا رهبانيّة في الإسلام]»(٢).

يقول الدكتور نور الدين عتر: «حسب شبابنا لفهم هذه الأهمّيّة -أهمّيّة الزواج- أنّ العلماء بيّنوا أنّ ممارسة النكاح أفضل من التفرّغ للعبادة، لو سأل سائل قال: إنّي رجل مستطيع النكاح ولا أخاف على نفسي الحرام

(١) [الخطبة والزواج].
(٢) [فتح الباري] (٩/١١٠،١١١).

لو لم أتزوج وأُريد أن أظلّ عزبا ليكفيني أقلّ مال وعمل لكسب معيشتي وسأشغل وقتي كلّه بالعبادات النافلة من صلاة وصوم وذكر وقرآن ....، لقال العلماء: لهذا الرجل الزواج مع أداء العبادات المفروضة والسنن الراتبة أفضل.

انظر هذه العبارة للفقيه كمال الدين بن الهمام حيث يقول: «ومن تأمّل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب للأخلاق وتوسعة الباطن بالتحمّل في مُعاشرة أبناء النوع وتربيّة الولد والقيام بمصالح المسلم العاجز عن القيام بها والنفقة على الأقارب والمستضعفين وإعفاف الحرم[1] ونفسه ودفع الفتن عنه وعنهنّ ودفع التقتير عنهنّ بحبسهنّ لكفايتهنّ مؤنة سبب الخروج يعني الخروج لطلب الرزق ثمّ الاشتغال بتأديب نفسه وأهله للعبوديّة ولتكون أيضا سببا لتأهيل غيرها وأمرها بالصلاة، فإن هذه الفرائض كثيرة لم يكد يقف عن الجزم بأنّه أي الزواج أفضل من التخلّي أي للعبادات النافلة» اهـ[2].

ومن أهمّيّة الزواج عند الله تعالى أنّه سُبحانه تكفّل بمساعدة من يرغب في الزواج لا هدف له من وراء ذلك إلاّ إعفاف نفسه وصيانتها، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣]، وقال ﷺ: [ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ،

---

(١) أي إعفاف الرجال لزوجاتهم.

(٢) [فتح القدير] (لكمال الدين بن الهمام) (٢/٣٤٣)، وقد ذكر في كلمته هذه خمس عشرة خصلة يشتمل عليها النكاح مُنبثة في شتّى الميادين. [ماذا عن المرأة؟] (للدكتور نور الدين عتر) (ص:٤٣،٤٤).

وَالْمُكَاتَبُ(١) الَّـذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ](٢)، وقال ناصحا الذين يخشون الفقر إن تزوّجوا: [تزوّجوا النساء فإنّهنّ يأتين بالمال](٣).

هكذا تجلّت أهمّيّة الزواج في الإسلام، فهو ليس غريزة ساقطة يجب قهرها وكبتها واستقذارها كما هو الشأن عند المسيحيّة المحرّفة، ولا هو شهوة بوهيميّة يجب تلبية دواعيها على قارعة الطريق كما أرادت (بروتوكولات) حكماء صهيون ونظريّات (فرويد) ....

القضيّة في نظر الإسلام تتعلّق بغريزة طبيعيّة إنسانيّة جاء الإسلام لا لقضاء عليها بل لتهذيبها وتوجيهها الوجهة السليمة الصحيحة، وسما بها حتّى حوّلها إلى عبادة يُتقرّب بها إلى الله تعالى، وهذا هو شأن الإسلام يغلق كلّ منافذ وأبواب الحرام ويُعلن الحرب عليها ويفتح أبواب الحلال على مصراعيها ويحثّهم ويرغبهم على وُلوجها حتّى لا يكون للناس حجّة!.

هل سمعت البشريّة مثل ما ذهب إليه سيّدنا رسول الله ﷺ وقد سُئل عن أخصّ وأدقّ علاقات الفراش؟!.

قال أبو ذرّ ﷺ: [أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ(٤) بِالأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا

(١) المكَاتَبُ: العبد الذي يُريد أن يعتق نفسه بالمال فيعمل ويتعب لتحصيله.

(٢) رواه الترمذيّ والنسائيّ وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه البزّار والخطيب عن عائشة رضي الله عنها وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبيّ.

(٤) أهل الدثور: أصحاب الثروة والأموال.

نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ!؟، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا][1].

لنعترف:

ودعنا هنا نعترف أنّ المجتمع الجزائريّ[2] يسير نحو الكارثة والدمار الشامل والتآكل الذاتي الداخليّ والفناء الإراديّ نتيجة تفشّي ظاهرة العنوسة والعزوبة، والخطير في أمر هذا الداء أنّ المجتمع لم يتفطّن له حتّى تمكّن واستشرى وغزا غالب البيوت.

والأخطر من هذا أنّ الناس عندنا لا يُقدّرون خطر العنوسة قدره الصحيح ولا ينظرون إلى الأمر على أساس أنّه أمر خطير يجب مقاومته، ولم يتفطّنوا بعد إلى جوانب الدمار فيه: الأمنيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة.

فالعنوسة عند عوامّنا وربّما كثير من الخاصّة هي مجرّد حالات فرديّة لفتيات تجاوزهنّ الزمن وفاتهنّ قطار الزواج!، وربّما الجهد الوحيد الذي يقوم

(١) رواه مسلم وابن ماجه.

(٢) وهو ليس حالة شاذّة فالوضع ينطبق على جميع المجتمعات العربيّة وإنّما مثلنا بما نعرف.

به المصلحون والأئمّة والدعاة هو الدعاء لهنّ بخير أو التأسّف على مصيرهنّ والتباكي على حالهنّ!.

لنعترف أنّ العنوسة تنخر المجتمع، ولنعترف أنّنا أخطأنا في تقدير مخاطرها، فالاعتراف هو بداية الطريق في اتّجاه الحلّ، وحتّى نُوضّح شيئا قليلا من أخطار العنوسة نُحاول توضيح ما يلي:

تُلقّح الدولة سنويّا آلاف بل ملايين الأطفال ضدّ الشلل والحصبة والأمراض الفتّاكة، وتكاد الصحف تطلع علينا يوميّا بأعداد القتلى نتيجة الفتنة التي تمرّ بها الجزائر!، وكلّ سنة أو موسم تُعلمنا مختلف الوزارات والمديريّات بعدد الضحايا نتيجة ظروف عاديّة كحوادث المرور والسباحة في الشواطئ الممنوعة والزلازل والمهن الخطيرة وحوادث العمل إلى غير ذلك من الإحصائيّات.

ويفزع الناس بحقّ، وتُعقد الاجتماعات ويُستدعى المفكّرون والسياسيّون والمسئولون والخبراء والتقنيّون لدراسة الظواهر الخطيرة، ويصدرون التعليمات والمقرّرات والتوصيات ضدّ حوادث الطرقات وأخطار العمل والجريمة والسباحة في الشواطئ الممنوعة ....، ويُقرّرون عقوبات ضدّ الممتنعين عن تلقيح أولادهم.

كلّ هذا بهدف المحافظة على الناس وصحّتهم وخوفا من انتشار الأوبئة أو حالات الإفناء التي تؤدّي إلى نقص عدد أفراد المجتمع.

ولنتساءل عن العدد الحقيقيّ الذي تفقده الجزائر مثلا نتيجة

تفشّي العنوسة!.

لنفترض أنّ عدد العوانس في كامل القطر تسع مائة ألف فتاة[١]، فكم تكون خسائر الجزائر في الأرواح التي كان من الممكن أن تنجبها تلك العوانس؟!.

إنّ كلّ عانس قد تلد في حياتها لو تزوّجت على الأقلّ ٦ أفراد وهو متوسّط أفراد العائلة عندنا، وعلى هذا فنحن نخسر ما يُقارب خمسة ملايين ونصف مليون فرد أي ما يفوق عدد أفراد بعض الدول نتيجة هذا الوضع الغريب!.

ورغم هذه الكارثة الإنسانيّة المفزعة نعمد إلى المتزوّجات نعقمهنّ ونشجّعهنّ على حبوب منع الحمل والإجهاض!، فلا العانس تزوّجت ولا المتزوّجة أنجبت!.

سنويّا لا يخرج إلى الوجود نتيجة العنوسة حوالي تسع مائة ألف طفل، لا يولدون أصلا لعنوسة أمّهاتهم المفترضات، ثمّ يتمّ إجهاض الأبناء الشرعيّين وقتلهم في الأرحام بحُجّة الخوف من (النموّ الديمغرافيّ)!، يقتلون أولاد الحلال في الأرحام حتّى لا يُزاحموا الكبار متع الحياة!، يُريد الكبار أن يتمتّعوا لوحدهم بدفء الشمس وطراوة الهواء!.

هكذا يُفعل بأولاد الحلال ثمّ نستعطف المجتمع ونُحرّك فيه إنسانيّته

(١) الأكيدُ أنّ العدد أكبر بكثير، والمؤكّد أنّ سوق العنوسة تدخلها سنويّا ما يزيد على عشرة آلاف بنت!.

ونصدر له الفتاوى ونبني المراكز الضخمة وننفق بسخاء من أجل إيواء كما يقولون (الأبناء غير الشرعيين!)[1]، نجهض الأمهات الشريفات ونُشجع الأمّهات (العازبات)؟!.

يا قوم ... كيف نئد الأبناء الشرعيّين ونقضي عليهم ونضع لهم الحبوب السامّة في الأرحام كما نضع الحبوب السامّة للفئران في الوقت الذي نعطف ونجود ونرحم الأبناء غير الشرعيّين؟![2].

ووالله الذي لا إله إلاّ هو لو فتحنا الباب للشرعيّين لانتهينا من مشكل (اللاّ شرعيّين)!.

فهل توافقينني أُختيّاه الآن أنّنا نعيش الكارثة وأنّ الأمّة على باب عذاب أليم إن لم نتدارك أنفسنا بالتوبة والاستغفار؟!، ولا نقصد بالتوبة والاستغفار تحريك اللسان بذلك بل نقصد تحريك شهامة الرجال وتحريك عزّة المجتمع ليلتفت لأخواتنا العوانس.

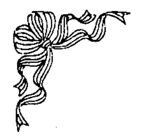
---

(١) أرى أنّ هذه التسمية ظالمة، فكلّ طفل في الإسلام يُعدّ طفلا شرعيّا، واللاّ شرعيّ هو ما فعله والداه في الحرام، أمّا هو فيظلّ دائما شرعيّا.

(٢) لا نقصد من هذا الدعوة للقسوة على (أبناء الزنى) فهم الضحايا والضحيّة تجلب العطف والحنان، لكنّنا نرى أنّ التضامن مع هذه الشريحة يكون (بسدّ المنابع) أي سدّ منابع الزنى الذي جلبهم!، ثمّ تشريع نظام الكفالة حتّى نقضي على اهتزازاتهم النفسيّة، فتنمو عواطفهم داخل أسر كافلة ووسط عائلة مُحسنة عوض الزجّ بهم في سجون مراكز الإيواء حيث لا يعرفون عن العالم الخارجيّ إلاّ أنّه العالم الذي رمى بهم إلى هذه السجون!، فتنمو بداخلهم مشاعر الانتقام والحقد على هذا المجتمع الذي جاء بهم ثمّ جرّمهم!.

نُريد تشجيع القادرين على الزواج بهنّ وسترهنّ وإعفافهنّ وتحصينهنّ لتتحرّك الروح الإسلاميّة في المسلمين ولتتحرّك الروح الوطنيّة في النفوس الغيورة تدفعهم للزواج بالعوانس خوفا من عقاب الله وخوفا على الوطن من الدمار ...!.






الفَصْلُ الثَّانِي

أَسْبَابُ العُنُوسَةِ




أَسْبابُ العُنوسَةْ

يمكننا حصر أسباب العنوسة فيما يلي:

١) ضعف الإيمان:

فغالبا ما يرغب الشاب من وراء الزواج تحقيق هدف جنسيّ، فالزواج عند الكثير من شبابنا مرتبط ارتباطا وثيقا بتخيّلات الفراش والشهوة، فيكون اختيارهم في الأعمّ الأغلب على الصغيرة الجميلة المظهر، لا يهمّهم بعد ذلك دين ولا أدب ولا علم، وما ذاك إلاّ لضعف إيمانهم وقصور تصوّراتهم وضيق خبرتهم بالحياة الزوجيّة.

ولو قوي إيمانهم لجعلوا مقاييس الجمال والسنّ آخر ما يفكّر فيه العقلاء، والرسول ﷺ يقول: [تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا،

فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ][(١)]، يقول ابن حجر العسقلانيّ في شرحه للحديث: «والمعنى أنّ اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كلّ شيء لا سيما فيما تطول صحبته، فأمَرَهُ ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية» اهـ[(٢)].

وقال ﷺ محذّرا من بعض المقاييس التي جعلها الناس عمدة زواجهم: [لاَ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلاَ تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ][(٣)].

يقول الدكتور محمد محده[(٤)]: «فبعد هذا الإرشاد القويم لم يبق السعي المفرط وراء المال أو الجمال مسلكا سديدا أو كافيا لإقامة الزواج كما هو عليه في غير البلاد الإسلاميّة، ذلك أنّ (بلزاك) ذكر عند بيانه لأساس كيفيّة اختيار الزوجة في كلّ من أوروبا والشرق فقال: «إنّ الرجل يتزوّج إمّا عن طمع في المال وذلك مشهور في أوروبا وقليل بالشرق، وإمّا عن طمع في الجاه وذلك في الشرق قليل في أوروبا، وإمّا عن حبّ كما لوحظ في أمريكا نتيجة اختبارات استغرقت مدّة شهرين في جميع مدنها أنّ الرجال يستهويهم من المرأة الأعضاء والأشياء التالية: من ألف رجل ٥٥٠ يستهويهم في المرأة سيقانها، و٢٠٠ عيناها، و١٠٠ عنقها، و٤٠ ملابسها، و٣٠ يديها، و٣٠ زينتها، و٢٠ محفظتها، و١٠ شعرها، و٥ حذاؤها!، أمّا الخمسة عشر الباقون من الألف

(١) رواه الشيخان.
(٢) [فتح الباري] (١٣٥/٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه والبزّار والبيهقيّ من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا.
(٤) أستاذ محاضر بمعهد الحقوق بجامعة قسنطينة الجزائر.

فهم الذين يتغلّب عليهم الذهول فيمرّون بالمرأة فيرونها دون أن يلفت أنظارهم شيء منها»» اهـ[١].

قلتُ: قد ظهر عندنا ودائما نتيجة ضعف الإيمان وغلبة المادّة على النفوس وسيطرة العاجلة على القلوب زواج أسمّيه دائما بزواج (المصلحة)، وهو أن يتزوّج الرجل المرأة لا لجمال فيها أو مال أو جاه أو دين كما هو المعقول لكن لمصلحة آنية عند والدها، كزواج التاجر من بنت مدير الضرائب، وزواج الفلاّح من بنت بائع البذور، وزواج بائع الأدوات الإلكترونيّة من أخت مصلح الأجهزة الإلكترونيّة، واستحباب من يملك سيّارة أن يكون أخ أو أب البنت صاحب محلّ لإصلاح السيّارات، والأولى أن يملك إلى جانبه محلاً لغسل السيّارات ...!.

وهكذا ضاعت عشرات البنات الديّنات اللواتي لا يُقصَدن لانتفاء المصلحة العاجلة، فليكن في علم الشباب أنّ البيت الذي يُبنى على زواج المصلحة من أوهن البيوت وسيسقط سقفه وتنهدّ أركانه بمجرّد زوال المصلحة، وقد تُطلّق زوجة الخبّاز لأنّ والدها لم يَعُد بائعا (للفارينة)!:

يقول العلاّمة الزحيلي: «حَرَص الإسلام على ديمومة الزواج بالاعتماد على حسن الاختيار وقوّة الأساس الذي يُحقّق الصفاء والوئام والسعادة والاطمئنان، وذلك بالدين والخلق، فالدين يقوى مع مضيّ العمر والخلق يستقيم بمرور الزمن وتجارب الحياة، أمّا الغايات الأخرى التي يتأثّر الناس عادة من مال وجمال وحسب فهي وقتيّة الأثر ولا تحقّق دوام الارتباط،

---

(١) [سلسلة فقه الأسرة] (ص:١٢).

وتكون غالبا مدعاة للتفاخر والتعالي واجتذاب أو لفت أنظار الآخرين، لذا قال عليه الصلاة والسلام: [تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ](١)، أي أنّ الذي يُرَغِّب في الزواج ويدعو الرجال إليه عادة أحد هذه الخصال الأربع وآخرها عندهم ذات الدين، فأمرهم النبيّ ﷺ بأنّهم إذا وجدوا ذات الدين فلا يعدلوا عنها وإلاّ أُصيب الرجل بالإفلاس والفقر!» اهـ(٢).

٢) التّقاليد الجاهليّة:

الزواج على أساس العرق والعرش!:

كتوقّف زواج (المرابط) على (المرابطيّة) والقبائليّ على القبائليّة و(العمريّ) على (العمريّة) ....، وكم تعطّل قطار الزواج ولم يتوقّف عند محطّة بنات العرش وتعبن من انتظار ابن العرش رغم تقدّم الكثير من الشباب خارج العرش لكن العقليّات المتحجّرة تمنع ذلك!.

ويهمّني كثيرا هنا أن أنبّه إلى الفرق بين هذه التقاليد الجاهليّة وهي الزواج على أساس العرش والعرق وما ذهب إليه جمهور الفقهاء من استحباب الزواج من ذوات الحسب والنسب، والفرق واضح حيث جعلت التقاليد الزواج من بنت العرش واجبا وإن لم تكن حسيبة فالمهمّ أنّهما من نفس القبيلة والعرق!، بينما استحبّت الشريعة أن تكون المرأة حسيبة وهي

(١) رواه الشيخان.
(٢) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته] (١٢/٧).

النسيبة طيّبة الأصل ليكون ولدها نجيبا فإنّه ربّما أشبه أهلها ونزع إليها[١].

أقول هذا رغم أنّي لا أذهب مذهب الجمهور في عدّ الكفاءة بالنسب بل أؤيّد مذهب الإمام مالك ﷺ الذي اختصّ الكفاءة بالدين ولم يجعل للنسب قيمة كبيرة استنادا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ولنذكر لكِ بعض نصوص أهل العلم في موضوع الكفاءة بالنسب ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه:

ورد في [الروضة النديّة شرح الدرر البهيّة][٢]: «قوله ﷺ: [مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ][٣]: فيه دليل على اعتبار الكفاءة في الدين والخلق، وقد جزم بأنّ اعتبار الكفاءة مختصّ بالدين مالك، ونقل عن عمر وابن مسعود، ومن التابعين عن محمّد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، واعتبر الكفاءة في النسب الجمهور، قال الشافعي: «ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث»، وأمّا ما أخرجه البزّار من حديث معاذ رفعه: [العرب بعضهم أكفّاء بعض، والموالي بعضهم أكفّاء بعض] فإسناده ضعيف، وبالجملة إذا تقرّر لك هذا عرفت أنّ المعتبر هو الكفاءة في الدين والخلق لا في النسب، لكن لمّا أخبر ﷺ بأنّ حسب أهل الدنيا المال، وأخبر ﷺ كما ثبت في الصحيح عنه أنّ في أمّته أربعا من أمر الجاهليّة: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم،

---

(١) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته] (٧/١٤).

(٢) [الروضة النديّة شرح الدرر البهيّة] (للعلاّمة محمّد صديق حسن خان) (١/٢،٩،١٠).

(٣) رواه الترمذيّ.

والنياحة كان تزوّج غير الكفء في النسب والمال من أصعب ما ينزل بمن لم يؤمن بالله واليوم الآخر؛ قال الماتن رحمه الله: «ومن هذا القبيل استثناء الفاطميّة من قوله: ويغتفر برضا الأعلى والوليّ، وجعل بنات فاطمة رضي الله عنها أعلى قدرا وأعظم شرفا من بنات رسول الله ﷺ لصلبه».

فيا عجبا كلّ العجب من هذه التعصّبات الغريبة والتصلّبات على أمر الجاهليّة!، وإذا لم يتركها من عرف أنّها من أمور الجاهليّة من أهل العلم فكيف يتركها من لم يعرف ذلك؟!، والخير كلّ الخير في الإنصاف والانقياد لما جاء به الشرع؛ ولهذا أخرج الحاكم في [المستدرك] وصحّحه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: [أعلم الناس أبصرهم بالحقّ إذا اختلف الناس]، فهذا نصّ في محلّ الخلاف، انظر أمّهات العترة الطاهرة اللواتي هنّ قدوة السادة وأسوة القادة في كلّ خير ودين مَن كنّ؟!، فأمّ أبي العترة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين شهريانو بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن خسروبرويز بن هرمز بن نوشيروان ملك الفرس، وأمّ الإمام موسى الكاظم أمّ ولد اسمها حميدة، وأمّ الإمام عليّ الرضا بن موسى الكاظم أمّ ولد أيضا اسمها تكتم، وأمّ الإمام عليّ بن محمد بن عليّ المذكور الملقّب بالجواد والتقيّ أمّ ولد اسمها خيزران وقيل ريحانة، وأمّ الإمام عليّ بن محمد الملقّب بالهادي والعسكريّ أمّ ولد اسمها سمانة، وأمّ الإمام حسن بن علي الملقّب بالزكيّ والخالص والعسكريّ أمّ ولد اسمها سوسن، وأمّ الإمام محمد بن حسن الملقّب بالحجّة والقائم والمهديّ أمّ ولد اسمها نرجس، وهكذا كان شأن التزوّج في أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرج أحد منهم على الكفاءة في النسب وإنّما أخذ بذلك الجهلة من الأمّة لا سيما أهل القرى والقصبات من نسل العترة

والصحابة ﷺ أجمعين، وأكثرهم خائضون في الباطل عاطلون عن حليّ العلم الموصل إلى الحقّ وكان أمر الله قدرا مقدورا» اهـ.

قال العلاّمة ابن حجر العسقلانيّ في [فتح الباري][1]: «لم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث، وأمّا ما أخرجه البزّار من حديث معاذ رفعه: [العرب بعضهم أكفّاء بعض والموالي بعضهم أكفّاء بعض] فإسناده ضعيف، واحتجّ البيهقيّ بحديث واثلة مرفوعا: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ] (الحديث) وهو صحيح أخرجه مسلم لكن في الاحتجاج به لذلك نظر، لكن ضمّ بعضهم إليه حديث: [قدّموا قريشا ولا تقدّموها]، ونقل ابن المنذر عن البويطيّ أنّ الشافعيّ قال: «الكفاءة في الدين»، وهو كذلك في [مختصر البويطيّ]، قال الرافعيّ: «وهو خلاف مشهور»، نقل الإبزيّ عن الربيع أنّ رجلا سأل الشافعيّ عنه فقال: «أنا عربيّ لا تسألني عن هذا»».

٣) غلاء المهور:

وهو من أهمّ أسباب العنوسة في مجتمعاتنا، فغالبا ما يشترط أولياء البنات شروطا شبه تعجيزيّة تجعل الشباب ينفر من الزواج بمعنيتهم، والغالب كذلك اشتمال المهور على الذهب، ويسمّى عندنا في الجزائر (بولحية)[2]، والحرير والملابس والهدايا الثمينة والمال بمعنى الورق ....

وما من مقبل على الزواج إلاّ وتجده مرعوبا من سماع المهر وشروطه!،

---

(١) [فتح الباري] (٩/١٣٣).

(٢) وقد حلقوا له لحيته مؤخّرا فأصبح يُطلق عليه: (بارير (parure)).

مع أنّ الإسلام جعل المهر هديّة يقدّمها الزوج لزوجته تطييبا لخاطرها وتحبّبا إليها حتّى تكون بداية الطريق نحو الزواج سرور يدخله الزوج على خطيبته.

ولم يجعل الإسلام المهر سلاحا في يد الآباء يُعوّضون به خسائرهم التجاريّة!، والغريب نظر بعض الآباء إلى بناتهم على أنّهنّ سلعة تصلح للاستثمار!، يغالون في مهورهنّ للحصول على بعض المال مقابل تعاسة بناتهم، ألا قاتل الله الطمع!.

وقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ جهّز لفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة رضي الله عنها خميلا (ثوب له وبر) وقربة ووسادة.

وفي [صحيح مسلم]: [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟، فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا، قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟، قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟!، كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ].

وأخرج أبو داود والحاكم وصحّحه من حديث عقبة بن عامر قال: [قال رسول الله ﷺ: خير الصداق أيسره]. وعن عائشة: [كَانَ صَدَاقُهُ لأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا][1].

(١) وعن أبي سلمة قال: [سألت عائشة: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟، قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقيّة ونشّا، قالت: أتدري ما النشّ؟، =

وقال عمر ﷺ: [أَلاَ لاَ تُغَالُوا صَدُقَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ][(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها: [أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا][(٢)]، وفي رواية الطبراني: [أنّ عروة راوي الحديث عن عائشة قال: وأقول إنّ من أوّل شؤمها أن يكثر صداقها].

وعن عائشة: [أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً][(٣)]، قال الإمام الشوكانيّ: «قوله: [أيسَرُه مؤنة]: فيه دليل على أفضليّة النكاح مع قلّة المهر وأنّ الزواج بمهر قليل مندوب إليه لأنّ المهر إذا كان قليلا لم يستصعب النكاح من يريده فيكثر الزواج المرغّب فيه ويقدر عليه الفقراء ويكثر النسل الذي هو أهمّ مطالب النكاح، بخلاف ما إذا كان المهر كثيرا فإنّه لا يتمكّن منه إلاّ أرباب الأموال فيكون الفقراء الذين هم الأكثر في الغالب غير مزوّجين فلا تحصل المكاثرة التي أرشد إليها النبيّ ﷺ كما سلف في أوّل النكاح»[(٤)].

ومن هذه النصوص الشرعيّة يتبيّن الفرق الشاسع بين ما قصدته

= قلت: لا!، قالت: نصف أوقيّة فتلك خمسمائة درهم]. رواه الجماعة إلاّ البخاريّ والترمذيّ.

(١) رواه النسائيّ وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي. [الروضة النديّة] (٣٦/٢، ٣٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد والحاكم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(٤) [نيل الأوطار] (٣١٣/٣).

الشريعة الإسلاميّة من خلال تشريع المهر وبين واقع المسلمين الذين حوّلوا النعمة إلى نقمة والرحمة إلى عذاب!.

تقول (س) تحت عنوان:

أبي سببُ عنوستي:

« ﴿قُل لَن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، إنّها قصّة الألم الدائم والعذاب المتواصل، أنا والعياذ بالله من كلمة أنا فتاة جزائريّة وُلدت قبل الاستقلال بعامين (١٩٦٠)، وكنت قُرّة عين والِدِيّ لا سيّما بعد وفاة أخي الأكبر.

ومرّت السنوات في حياتي سريعة، وصارت الطفلة الصغيرة البريئة امرأة يافعة غضّة قبل أن تلج العقد الثاني من عمرها، كنتُ وأنا في الرابعة عشر مقصد الخطّاب ممّن أُعجبوا بأخلاقي العالية ومهارتي في كلّ ما يخصّ العمل المنزليّ، وكانت البنات في مثل سنّي يتحسّرن غيرة كلّما طرق بابي خاطب، وكغيري من بنات قريتي الصغيرة لم يكن لي الحقّ في إبداء رأيي بالموافقة أو الرفض!، بل كان والدِي هو صاحب القرار الأوّل والأخير، وكان سامحه الله مغترًا بهذا العدد من المتقدّمين لخطبتي، فكان يرفضهم لأتفه الأعذار، فيرفض هذا لأنّ شكله لم يُعجبه، ويرفض ذاك لأنّ أُمّه صغيرة السنّ مدّعيا أنّه يخاف عليّ من غيرتها!، وظلّ يرفض ويتشدّد في مهري ويُغالي فيه وقطار الزمن يمضي ...!؛ والتفتُ ورائي فإذا رفيقات سنّي قد تزوّجن بأبسط السبل، والتفتُّ أمامي فإذا الخطّاب قد انفضّوا من حولي فارّين من

طلبات أبي المرهقة وشروطه التعجيزيّة، ونظرتُ في مرآتي فإذا الشعيرات البيض تزحف فوق رأسي رويدا رويدا مُذكّرة إيّاي بأنّ العشرين قد ولّت وأنّ الثلاثين قد لحقتها والأربعين على وشك.

وأصبحتْ أُختي الصغرى التي لو تزوّجتْ باكرا لأنجبتُ بنتا في سنّها يأتيها الخطّاب من كلّ حدب وصوب، ولكنّني هذه المرّة لم أسمح لوالديّ أن يوقفا قطارها كما فعلا معي، بل وقفتُ لهما بكلّ أدب وطاعة، ودافعتُ عن حقّ أُختي في تقرير مصير حياتها، وهي تستعدّ الآن لدخول قفصها الذهبيّ.

وأنا كما أنا عزائي دائما هو ذكر ربّي، قيل أنّ هناك من سحرني، وقيل أنّ زواجي بيد عرّافة، وقيل وقيل. ولكنّني أقول دائما ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن هو وليّي في الدنيا والآخرة. أُختكم المعذّبة (س)».

كيف نعالج غلاء المهور؟:

يُجيبنا عن هذا السؤال العلاّمة الدكتور نور الدين عتر واضعا الدواء على الداء فيقول: «ولقد يظنّ بعض الناس أنّ هذا أمر يمكن علاجه بوضع قانون يحدّ من المبالغة في المهر، إلاّ أنّ الواقع أنّ القوانين لن تفلح في هذا ما دامت روح المجتمع تميل إلى التغالي في المهور، يجب أوّلا أن نربّي في المجتمع معاني الأمانة على الحقوق كي يطمئنّ الناس على مستقبل بناتهم وتطمئنّ النساء إلى أزواجهنّ، ويجب ثانيا أن نحوّل تيار المجتمع إلى الاتّجاه المعاكس أعني إلى التفاخر بتيسير المهور وأثاثات البيوت ....

إنّ التقاليد الاجتماعيّة والأعراف يصنعها أفراد قلائل يتمتّعون في نظر

الناس بالمكانة العالية، فلو أنّ أفرادا من هذه الطبقات عملوا بهذه السنّة لقلّدهم فيها الناس.

كم من أساتذة جامعيّين يئنّون من غلاء المهور فإذا تزوّجوا أو خطب إليهم لم يتوقّفوا لحظة عن المغالاة فيها، وكم من وزراء وزعماء تزوّجوا أو زوّجوا بناتهم فإذا مهور نسائهم تبلغ من الآلاف أرقاما لا تسبق!.

ماذا لو أنّ أحدهم عمل بما يدعو الناس إليه من عدم التغالي في المهور وأذيع عقد النكاح بأجهزة الإعلام مع تقدمة مناسبة، أليس مثل هذا يُحيي روح التعقّل والحكمة ويكفّ من نهم الطامعين؟.

لقد كان زعماء المجتمع الإسلاميّ يفعلون هذا، فعمر ابن الخطّاب يُحذّر الناس من التغالي في المهور، ولم يتراجع عمر عن هذا التحذير إنّما رجع عن تهديده بأخذ ما زاد إلى بيت المال!، وسعيد بن المسيّب من كبار علماء التابعين يزوّج ابنته لتلميذه ابن أبي وداعة على درهمين وقد خطبها الخليفة لوليّ عهده بِزِنَتِها ذهبا فأبى!، والإمام السمرقنديّ الفقيه الحنفيّ صاحب كتاب [تحفة الفقهاء] شَرَحَ تلميذه علاء الدين الكاسانيّ تحفته فزوّجه ابنته ....، وغير هؤلاء من عظماء الإسلام كثيرون في كلّ عصر من عصور تاريخنا الإسلاميّ يضربون المثل للناس في تقدير القيم العالية لدى الشاب الخاطب ويغرسون هذه الروح في نفوس الناس.

فيا أيّها الآباء والأمّهات، ويا أيّها المصلحون والمفكّرون، ويا أصحاب المكانات الاجتماعيّة الرائدة، لن يكفينا منكم التذمّر والشكاية ما لم تسعوا بتصرّفاتكم لتغيير هذا التيار الاجتماعيّ الفاسد، وما لم تزيحوا من طريق الفضيلة

وبناء الأسرة السعيدة عقبات التغالي في المهور والتفاخر بالأثاث والقشور، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» اهـ(١).

٤) تعنّت الفتيات أنفسهنّ:

ورفضهنّ لكلّ خاطب في انتظار فارس الأحلام الذي صَوّرنَه في مخيّلاتهنّ عند مشاهدة الأفلام المصريّة والبرازيليّة المترجمة!، فيتصوّرن فارس الأحلام هذا رقيق المشاعر عظيم الفكرة مفتول العضلات لا تعجزه السيّارة والمال، وتترسّخ هذه الصورة أو مثيلاتها في ذهن الفتاة وتؤمن بها وتنتظر تحقّقها في الواقع، وكلّ خاطب يتقدّم لها إلاّ وتقيسه بمقياس عَالمَ المثل والخيال الذي تعيشه، وتتحوّل تصوّرات هذه البنت إلى عائق زواجها وفكرها سبب عنوستها. وتصعد إلى عالم الخيال وهي شابّة الكُلّ راغب فيها ويتمنّى يدها والحصول عليها، وتنزل إلى عالم الواقع مجبرة وهي على مشارف العنوسة حيث الكلّ يرفضها ويأباها والمجتمع يُلاحقها بنظرات العار ....

والعانس في هذه الحالة قد خالفت التعاليم النبويّة الواضحة التي تحثّ البنت على الزواج إذا جاءها كفء لها كقوله ﷺ: [إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ](٢)، وتكون قد أخّرت ما حقّه التقديم، وتكون قد دخلت في عموم النهي الوارد في قوله ﷺ: [ثَلاَثَةٌ يَا عَلِيُّ لاَ تُؤَخِّرْهُنَّ: الصَّلاَةُ إِذَا أَتَتْ،

---

(١) [ماذا عن المرأة؟] (ص:٦٣-٦٥).

(٢) أخرجه الترمذيّ.

وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفُؤًا][1].

ليس معنى هذا أنّ البنت توافق على أوّل طارق لا أبدا!، وإنّما كما ورد في الحديث: [وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفُؤًا] والكفء كما سبق الدين والخلق.

٥) تحكّم أولياء الأمر في تزويج بناتهم:

خاصّة إذا كانت البنت عاملة فيمتنع الوالد من تزويجها طمعا في مالها!، حيث يعمد هذا الوليّ (الظالم) إلى اختلاق مختلف الأسباب للخطّاب يُبعدهم بها عن معنيته، فيظهر أمام بنته في صورة الحريص على مستقبلها وفي الحقيقة يخفي السبب الحقيقيّ الذي يدفعه لرفض تزويجها وهو مال البنت وما تدرّه عليه من خير، وغالبا ما تكتشف البنت خداع الوالد وهي على مشارف العنوسة، فلا مالا ادّخرت لعاقبتها ولا زوجا يؤانسها ويسترها!.

وقد شارَكْتُ في تزويج بنت كادت أن تتعنّس لسبب رفض والدها للخطّاب مظهرا حرصه عليها وأنّ جميع هؤلاء الخطّاب لا يدانونها قدرا!، حتّى اطّلعتْ في يوم من الأيّام على بعض وثائق والدها فوجدتْهُ يستعمل أوراقها واسمها ووثائقها في تجارة السيّارات!، فعلمَتْ سرّ رفضه للخطّاب، فبنته بالنسبة له مجرّد وسيلة تجاريّة لا غير، لا يهمّه تحطيمها وحرمانها من الأمومة في سبيل الحصول على المال!.

وقد أطلقت الشريعة الإسلاميّة السمحة على مثل هذا التصرّف

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.

مصطلح (الإعضال)[١]، وهو منع المرأة من الزواج بالقوّة والقهر وإجبارها

---

(١) العَضْلُ: المنع، يُقال: عَضَلَ فلان ابنته إذا منعها من التزوّج فهو يعضُلُها ويعضِلُها بضمّ الضاد وبكسرها، وأنشد الأخفش:

«وإنّ قصائدي لكِ فاصطنعي كرائم قد عضلن عن النكاح»

وأصل العضل في اللغة الضيق، يقال: عضلت المرأة إذا نشب الولد في بطنها، وكذلك عضلت الشاة، وعضلت الأرض بالجيش إذا ضاقت بهم لكثرتهم.

قال أوس بن حجر:

«ترى الأرض منّا بالفضاء مريضة معضلة منّا بجيش عرمرم»

وأعضل المريض الأطبّاء أي أعياهم، وسمّيت العضلة عضلة لأنّ القوى المحرّكة منشؤها منها، ويقال داء عضال للأمر إذا اشتدّ، ومنه قول أوس:

«وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمّك إن ولّى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا صاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا»

انظر [التفسير الكبير] (للإمام الفخر الرازيّ) [البقرة:٢٣٢]، و[الأساس في التفسير] (للعلاّمة سعيد حوّى) (١/٥٤٥)، و[جامع البيان] (للطبريّ) (٢/٢٩٩) (دار الفكر)، و[المغنيّ] (٧/٣٦٨)، و[أحكام القرآن] (لابن العربيّ) (١/٢٠١) (دار المعرفة).

كان لرجل من العرب ثلاث بنات وقد عضلهنّ ومنعهنّ الأكفّاء، فقالت إحداهنّ: «إن قام أبونا على رأيه ذهب حظّ الرجال منّا فينبغي لنا أن نعرض له بما في نفوسنا لعلّه أن يتفهّم لذلك»، وكان أبوهنّ يدخل على كلّ واحدة منهنّ يوما.

فلمّا أراد الانصراف تقدّمت إليه الكبرى وقالت:

«أيزجر لاهينا وينهى عن الصبا وما نحن والفتيان إلاّ شقائق
يؤبن حيّات مرارا كثيرة وتنبان أحيان بهنّ البوائق»

فساءه ما سمع منها غاية الإساءة، وخرج عنها مغضبا حرجا، فلمّا كان =

على التعنّس، قال تعالى ينهى الأولياء عن الإعضال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ [البقرة]، وسبب نزول هذه الآية كما روى الحسن عن مَعْقِلِ بن يَسار: [أَنَّهُ زَوَّجَ أُخْتَهُ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا كَانَتْ، ثُمَّ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً لَمْ يُرَاجِعْهَا حَتَّى انقَضَتِ الْعِدَّةُ، فَهَوِيَهَا وَهَوِيَتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا مَعَ الْخُطَّابِ، فَقَالَ لَهُ: يَا لُكَعُ أَكْرَمْتُكَ بِهَا وَزَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا؟!، وَاللهِ لاَ تَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبَدًا آخِرُ مَا عَلَيْكَ، قَالَ فَعَلِمَ اللهُ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا وَحَاجَتَهَا إِلَى بَعْلِهَا فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، فَلَمَّا سَمِعَهَا

= من الغد دخل على الوسطى فقامت إليه وجلسا وتحدّثا، فلمّا أراد الانصراف تقدّمت إليه وقالت:

«ألا أيها الفتيان إنّ فتاتكم ... دهاها سماع العاشقين فحنّت

فدونكم انعوها فتى غير مرمل ... وإلاّ صبت تلك الفتاة وجنّت»

فزاده ذلك إساءة، وخرج من عندها وسار لمكانه وقد زاد به القلق واشتدّ به الأرق وحار فيما يصنع، فلمّا كان من الغد سار إلى منزل الصغرى فقامت إليه وسلّمت عليه، فجلسا يتحدّثان ساعة ثمّ أراد الانصراف، فتقدّمت إليه وقالت:

«أما كان في ثنتين ما يزع الفتى ... ويفعل هذا الشيخ إن كان يعقل

فما هو إلاّ الحلّ أو طلب الصبا ... ولا بدّ منه فأتمر كيف يفعل»

فلمّا علم تواطؤهنّ على ذلك زوّجهنّ من ساعته. [تحفة العروس] (للتيجاني) (ص:٣٧٦،٣٧٧).

مَعْقِلٌ قَالَ: سَمْعًا لِرَبِّي وَطَاعَةً، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ](١).

وقد فسّر علماؤنا الآية بقولهم: «وإذا طلقتم النساء معشر المؤمنين وانقضت عدّتهنّ تماما فلا يجوز لكم أيها الأولياء أن تمنعوهنّ من العودة إلى الزواج بالزوج السابق بعد الطلقتين الأولى والثانية، ولا يجوز لكم أيها الأزواج أيضا أن تمنعوهنّ بما لكم من النفوذ من الزواج بزوج آخر بعد الطلقة الثالثة وانقضاء العدّة إذا حصل التراضي بين المرأة والخاطب لها وكان الخاطب كفؤا وبمهر المثل ولم يكن هناك محظور شرعيّ، وعلى الأمّة أيضا ممثّلة بوجهائها وعلمائها وحكّامها وعقلائها أن تكون متكافلة متضامنة في تحقيق المصلحة العامّة، فلا تمنع المعروف ولا تقرّ المنكر فتهلك وتتضرّر».

ذلك الذي تقدّم من نهي الأولياء عن عضل النساء وأحكام التشريع يوعظ به أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، فهم الذين يتقبّلونه وتخشع له قلوبهم امتثالا لأمر ربّهم، فشأن المؤمن الطاعة والعظة، وذلك النهي عن ترك العضل أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام، أي أنّ فيه بركة وصلاحا لمتّبعيه، وفيه الطهر بحفظ العرض والشرف وعدم التسبُّب في الفسوق والفساد وانحراف المطلّقات والنجاة من التورُّط في الآثام والمحرّمات والذنوب والسيّئات، والله يعلم ما في ذلك من النفع والصلاح لكم والزكاة والطهر وصون السمعة.

فامتثلوا أوامره وأنتم لا تعلمون الحقائق وأبعاد المستقبل ومخاطر ترك المرأة الأيّم أو الثيّب من غير زواج، إرضاء للأهواء وحظوظ النفس المريضة

(١) رواه البخاريّ وأبو داود والترمذيّ، زاد ابن مردويه: «وكفّرت عن يميني».

غير المتعقّلة وإنّما التي تتّبع الأوهام أو تنساق مع الأنفة والكبرياء(١).

لقد بلغ من طغيان بعض الآباء والأهل درجة لا يتصوّرها العقل!، وهؤلاء سلبتهم الشريعة الولاية أصلا.

فالرجل الذي يبيع ابنته بالمال لا يمكن أن يراعي مصلحتها، والرجل الذي يجبر بناته على البغاء لا يمكن أن يكون وليّا يحنو عليهنّ ويُحافظ على كرامتهنّ.

واقرئي معي أُختيّاه هذا الاعتراف المدميّ.

لم أتزوّج لأنّ أبي باعني!:

«قال تعالى في حديث قدسيّ جليل: [يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا](٢).

إنّها قصّة الصبر الطويل ....، قصّة التضحيّة اللاّ منتهية، قصّة كتبتها الأيّام بمداد هو دمعي وريشة هي آهاتي العميقة.

إنّني فتاة من ولاية (عين الدفلة) عاشت مأساة حقيقيّة لم تكن سببا فيها ولكنّها عاشتها ....

---

(١) [التفسير المنير] (للزحيلي) [البقرة:٢٣٢]، وانظر [يسألونك في الدين والحياة] (للإمام الشرباصي) (فتوى حول منع البنات من الزواج).

(٢) رواه مسلم.

ومن بداية الولادة تبدأ المعاناة، فتحتُ عيناي على الدنيا في أُسرة فقيرة من قرية صغيرة، لم أعش حنان والداي سوى خمس سنوات!. ونظرا للفقر المدقع الذي عانته الأسرة وعدم تلبيتها لمطالب الحياة فقد انتقلتُ إلى أُسرة تعيش في بحبوحة من العيش ولكنّ المجتمع لا يرحم، فلم أكن قُرّة عين هذه الأسرة ولكن كنت (خادمة)، مهمّتي الغسل والتنظيف والطبخ ....، ورغم نعومة أظافري وبَدَلَ أن أقضي طفولتي في اللعب والمرح كبقيّة البنات في مثل سنّي وبدلَ أن تُداعب يداي شعري كانت لا تُفارق الماء ومواد التنظيف ....

مرّت الأيّام ويموت أبي الحقيقيّ، فذهبتُ للتعزية كأيّ شخص لم يذق طعم الأبوّة منه، وعند وصولي انكببتُ بين أحضان أُمّي أتوسّلها لتُبقيني عندها، فحنّت أُمّي لطلبي ولكنّها لم تستطع فعل شيء ... لماذا؟!، بكلّ بساطة قالت الأمّ: «إنّ أباك باعكِ لهذه العائلة!».

فرجع تفكيري إلى الوراء، وعلمتُ لماذا يُعاملاني كخادمة بدل ابنة، فرجعتُ دون أن أعزّي أُمّي لأنّني في الحقيقة عزّيتُ نفسي على ضياع حياتي بين عائلة حقيقيّة باعتني وأُخرى اشترتني لأكون خادمة!.

رجعتُ إلى المدينة في نفس اليوم وقد آلمني كثيرا أن أعلم أنّ أبي باعني!، طعنتُ في قلبي بخنجر فهو يثعب دما لحدّ الساعة، رجعتُ إلى القصر عفوا إلى السجن وأنا أتجرّع كأس المرارة، صرتُ مثل الزهرة الذ ابلة.

وجاء اليوم الموعود الذي أحسستُ فيه بنسمة تشدّني للحياة تُعيد لي بسمة حُرمتُ منها طيلة حياتي، تقدّم لخطبتي رجل من أصدقاء العائلة،

ولمستُ فيه رغبة وإصرارا على تغيير حياتي جذريا، فأراد أن يرسم مكان الألم والحزن فرحا وسعادة ... ولكن! تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فأنانيّة العائلة لم تقبل الطلب وأشارت على هذا الإنسان بخطبة امرأة أُخرى بحُجّة أنّني لا أُناسبه، وزواجه منّي سوف يُقلّل من شأنه.

وتستمرّ المعاناة بين آهات لن يجيب عليها غير جدران القصر (السجن)!، أثّر ذلك في نفسي كثيرا فانطويتُ وانعزلتُ عن هذا المجتمع الذي حرمني حتّى من أبسط حقوقي في الحياة، حقّ امرأة تحلم ببيت سعيد وزوج قريب وفلذات أكباد يُنادونني أُمّي.

رغم أنّه ليس من فطرتي الظلم ولكن ظلم المجتمع وهذه العائلة زرع في نفسي كُرها للحياة، فقرّرتُ مُحاربة هذه العائلة بنفس سلاحها، فأصبحتُ أجمع الأموال يوما بعد يوم، أي منذ ٢٠ سنة وأنا الآن على مشارف الأربعين.

وبوفاة هذين السيّدين وتركهم ولدين يشعران مثلي ويتجرّعان فراق الأحبّة والوالدين استيقظ ضمير أحد الأبناء خاصّة بعد زواجه من امرأة يملأ قلبها الحب والحنان، تحمل في طيّاتها رأفة ورحمة أوحت إليه أنّه من حقّي أن أستريح بعد معاناة دامت ٤٠ سنة!، واعترافا بجهودي في خدمة العائلة وتكفيرا عمّا جنته عليّ وتعويضا للأيّام العصيبة، قرّر أن يشتري لي منزلا وفعلا فعل ذلك.

وأنا الآن أعيش فيه وحيدة بين جدرانه، فلا أنيس ولا جليس، تكاد الوحدة تخنقني وتقتلني، وإنّني أُفكّر في تربية طفل أُعوّضه عن حنان أُمّه التي

حُرم منها، وأمدّه بما لم أستطع أخذه من والديّ.

وأتمنّى من الله العليّ القدير أن يغفر لوالديّ وأن يُعطيني قوّة مسامحتهما، لأنّ ظروف الحياة تحكّمت في مصيري ... ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]. (أُختكم المحتسبة) (الجزائر في ١٥ مارس ١٩٩٧)».

٦) تقصير الدولة في تقديم المساعدة للشباب الراغب في الزواج:

لم تهتمّ الدول العربيّة إطلاقا بمشكلة العنوسة باستثناء بعض التجارب الحديثة جدّا خاصّة في دول الخليج، بل على العكس من ذلك انصبّ اهتمام الدول العربيّة على موضوع (تحديد النسل)، ولكِ أن تتفهّمي إعراض الدول العربيّة عموما عن الاهتمام بالموضوع، فكيف لدولة تنسب جميع مشاكلها لكثرة النسل تعمد إلى تشجيع الزواج ومحاربة العنوسة؟!.

يكاد يكون موضوع (النموّ الديمغرافيّ) مشجبا تعلق عليه جميع أزمات الدول العربيّة بدءا بالأزمات الاقتصاديّة إلى هموم السكن والصحّة والمواصلات والبطالة والفلاحة ...، المتّهم في كلّ هذا (النموّ الديمغرافيّ)!.

وأخشى أن يكتشف أشباه المثقّفين وبعض وسائل إعلامنا مستقبلا أنّ (النموّ الديمغرافيّ) هو المتسبّب في ثقب طبقة (الأوزون) وتلوّث المحيطات والنفايات النوويّة في الصومال والأبارتيد في جنوب إفريقيا وإباءة الهنود الحمر

والعنصريّة في أمريكا ومشكلة كورسيكا في فرنسا وأزمة الحدود بين الهند والباكستان وتهريب المواد النوويّة من روسيا وانفجار صاروخ الفضاء (تشالنجر)...!، في كلّ هذا تتجه أصابع الاتهام إلى كثرة الولادات وزيادة النسل!، وهكذا تحملن النساء وتضعن ما في أرحامهنّ وهنّ يحملن عقدة الذنب!.

ولتفادي تقصير الدول العربيّة في مساعدة الشباب على الزواج نقترح ما يلي:

☆ **إنشاء الصندوق الوطنيّ لمساعدة الشباب على الزواج:** يمُوّل من خزينة الدولة وميزانياتها إلى جانب الزكاة والتبرّعات، يُشرف الصندوق على مساعدة الشباب الراغب في الزواج من ناحية المهر ونفقات العرس وكراء المساكن وتجهيز العروس ....

☆ **تقنين بعض الامتيازات للمتزوّجين:** تشجيعا للشباب على الزواج وإعلاء من قيمة المتزوّج في المجتمع، كتقديم منحة خاصّة بالزواج، وتسهيل الحصول على السكن أو توفير وسائل البناء، أو امتيازات في مجال النقل والتجارة والسياحة أو الاستيراد، أو تخفيض مُدّة الخدمة الوطنيّة وربّما الإعفاء منها أصلا، وكذلك جعل بعض المناصب حكرا على المتزوّجين، واشتراط وثيقة الزواج في الملفّات الإداريّة حتّى يظهر للشباب والشابّات قيمة الزواج وفضله على المجتمع، كذلك في مجال العقوبات والأحكام القضائيّة المتعلّقة بالسجين كتخفيض مدّة العقوبة

بسبب زواج الجاني ....

☆ **برمجة موضوع الزواج ومحاربة العنوسة في البرامج الرسمية للدولة:** خاصّة وزارة الشؤون الاجتماعيّة ووزارة الشؤون الدينيّة والمجلس الأعلى للشباب، وتكثيف برامج التضامن والتوعية من خلال وسائل الإعلام الثقيلة لصالح شريحة العزّاب والعوانس.

☆ **إنشاء أوقاف خاصّة يُنفق من ريعها على الراغبين والراغبات في الزواج.**

٧) البطالة:

وهي من مخلّفات النظام الاقتصاديّ المعاصر، ونحن نتحدّث عن البطالة الإجباريّة حيث يرغب قطاع كبير من الشباب في العمل لكن لا يجدون العمل!، بل حتّى العامل ليس مطمئنًا لوضعه لأنّه قد يُسرّح من عمله في أيّ وقت!. والشاب البطّال لا يمكنه توفير متطلّبات الزواج، وبالتالي كلّما أُجبر شاب على البطالة كلّما تعنّست فتاة![1].

٨) أزمة السكن:

وهي من أخطر الأزمات وأبشعها لما يترتّب عليها من مشاكل اجتماعيّة

---

(١) تجدون مزيدا من التفاصيل حول موضوع (البطالة) في طبعاتنا القادمة إن شاء الله تعالى.

وأخلاقية، وهي من معوّقات الزواج في كثير من أقطارنا العربيّة لأنّ العجز عن توفير المسكن يُؤدّي حتما إلى العجز عن الزواج، خاصّة أنّ نسبة كبيرة من الفتيات يشترطن السكن المنفرد فرارا من أهل الزوج وخاصّة من (الحماة) التي حوّلتها القصص الشعبيّة إلى مصدر رعب لكلّ فتاة[1].

٩) الحبّ:

نعم الحب!، ولعلّك أُختيّاه تتساءلين: ما دخل الحب في التعنيس؟!، أوليس الحب أقوى دعائم الزواج؟!.

والجواب: أنّ الحب فيما مضى من تاريخنا الإسلاميّ العظيم بل حتّى في تاريخ العرب الجاهليّ كان جسرا للزواج ورافدا من روافده، لأنّه لم يكن أكثر من عاطفة صادقة نحو المحبوب يدفع صاحبه لطلب الاقتران به.

ولم يقع من (جميل بثينة) أو (كثير عزّة) أو (قيس ولبنى) أو (المجنون وصاحبته ليلى) أو (عروة بن حزام وصاحبته عفراء) أو (ابن عجلان وهند) أو (ذي الرمة ومي) أو غيرهم من العشّاق الذين دوّنوا حبّهم في أشعارهم حتّى سارت بأخبارهم الركبان، لم يقع منهم إلاّ الهوى الصادق على مستوى القلب، ولم يخطر ببالهم أبدا الفحشاء والزنى، بل العرب ترى أنّ الحب يَفسد كما قالوا إذا نكح أي إذا طلب صاحبه الفحشاء.

---

(١) تجدون مزيدا من التفاصيل حول موضوع (السكن) في طبعاتنا القادمة إن شاء الله تعالى.

وكثيرا ما جرّب الحبيب محبوبه فإذا ما رأى منه عفافا نما حبّه وزكى، وإذا رأى منه غير ذلك تركه لمجونه وفسقه.

وممّا ورد من أخبار توبة (ابن حَميّر بن أسيد الخفاجيّ) وكان مفتونا بحبّ امرأة اسمها (ليلى) شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب أنّه زارها يوما ثمّ قال لها مختبرًا: «مكّنيني من تقبيل يدك[1]»، فأنشدت:

«وذي حاجَة قلنا له لا تَبُح بها فليس إليها ما حييتَ سَبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأُخرى صاحبٌ وخَليلُ»

ففطن أنّها استرابت منه، فحلف أنّه لم يُرِد سوءًا وأنّ نفسه قد حدّثته بأن يجرّبها، ثمّ ودّعها على استحياء ومضى[2].

وينام (جميل بثينة) على فراش الموت، فينظر إلى سهل الساعديّ ويسأله: «ما تقولُ في رجل لم يزنِ قطّ ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله منذ خمسين سنة؟»، فيجيبه سهل الساعديّ: «مَن هذا فإنّي أظنّه ناجيا؟!»، فيقول جميل: «أنا!»، فيقول له سهل: «عجيب منك تُشبِّب ببثينة هذه المدّة وأنتَ كذلك؟!»، فيجيبه جميل: «أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمّد إن كنت وضعت يدي عليها بريبةٍ، وأكثرُ ما كان منّي أن أُسند يدها إلى فؤادي أستريح ساعةً»،

---

(١) وفي [الروض النضير]: أنّه سألها قُبلة.

(٢) [تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق] (١/٢٦٠).

ثمّ أُغمِيَ عليه[١].

وقد سُئِلَ أعرابي: «ما تصنعَ إن ظفرت بمحبوبك؟»، قال: «أمتّع عيني من وجهها وسمعي من حديثها وأستُر منها ما يُحرَم كشفه إلاّ عند حِلّه».

وأنشد إبراهيم بن عرفة:

«كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياءُ وخوف الله والحذرُ
وكم قد خلوتُ بمن أهوى فيقنِعُني ... منه الفكاهة والتحديثُ والنظرُ
أهوى الحسان وأهوى أن أُجالسهُم ... وليس لي في حرامٍ منهُم وَطَرُ
كذلك الحبُ لا إتيان معصية ... لا خير في لذّةٍ من بعدها سَقَرُ»

وعن سعيد بن عقبة الهذاليّ قال لأعرابيّ حضر مجلسه: «ممّن الرجل؟!»، قال: «من قومٍ إذا عَشَقوا ماتوا»، فقال: «عذريٌّ[٢] وربِّ الكعبة»، ثمّ سأله علّةَ ذلك فقال: «لأنّ في نسائنا صباحةً وفي فتياننا عِفّةً».

وفي معناه أنشد حربٌ[٣]:

«ما إن دعاني الهوى لفاحشة ... إلاّ عصاني الحياءُ والكرمُ
فلا إلى محرمٍ مددتُ يدي ... ولا مشت بي لزلّة قدَمُ»

ومن أشعار المحبّين قولهم:

(١) [تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق] (١/١١٦).
(٢) أي من قبيلة بني عذرة وهي قبيلة مشهورة بالعشق والعفاف.
(٣) [تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق] (١/٣٧،٣٨).

«ماذا أردتَ إلى روحٍ معلَّقةٍ عند التراقي وحادي الموتِ يحْدُوها
حثثت حاديها ظُلْمًا فجَدَّ بها في السير حتَّى تولَّت عن تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشةٍ وإنَّ عُقْبَاكَ دُنيانا وما فيها
لقلتُ لا والذي أخشى عقوبتَه ولا بأضعافها ما كنتُ آتيها
لولا الحياءُ لبحنا بالذي كتمت بنتُ الفؤاد وأبدَيْنا أمانيها»

ومن شعر داود الظاهريّ الفقيه المشهور:

«أُنَزِّهُ في رَوض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال المحرّما
وأحملُ من ثقل الهوى ما لو أنّه على جامد الصلدِ الأصمِّ تهدّما
ويُظْهِرُ سِرِّي عن مُترجَمِ خاطري فلولا اختلاسُ الطرفِ عنه تَكَلَّما
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلِّهم وما إن أرى حُبًا صحيحا مسلَّما»

وفي كتاب [امتزاج النفوس] عن رجل من أصحاب الحديث قال: «دخلتُ دِيرًا كنتُ أعرف فيها راهبا معروفا بالأخبار، فوجدته مسلما وجميع مَنْ في الدير!، فسألته عن السبب فقال: «عَشَقَتْ جاريةٌ منّا غُلاما مسلما عابدا وافتُتِنَت به، ودعته إليها فأبى، فلمّا زادَ بها الوجدُ أعطتْ مصوِّرا مالا فَنَقَشَ لها صورتَهُ، فكانت تُقبِّلُها وتبكي كُلّ يوم إلى الغروب وتنصرف، فبلغها موتُ الغلام فعمِلت مأتما، ثمّ التزَمَتْ لَثْمَ الصورة، فلمّا أصبحنا وجدناها ميّتة إلى جانبها (إلى جانب الصورة) وعلى يدها مكتوبٌ:

«يا موتُ دونكَ رُوحي بعد سيّدها خُذْها إليكَ فقد أودَتْ بما فيها
أسلمتُ وجهي للرحمن مُسلِمَةً ومتُّ موتَ حبيبٍ كان يعصيها
لعلّها في جنانِ الخلد يجمعُها يومَ الحسابِ ويوم البعث باريها

مات الحبيبُ وماتت بعده كَمَدا ... مُحبَّـةٌ لـم تـزل تُشقِي مُحبِّيهـا»

فشاع ذلك حتّى بلغ المسلمين، فأخذوها ودفنوها إلى جانبه، فرأيتها في النوم فقلت: «ماذا فعل الله بك؟!»، فأنشدت:

«أصبحتُ في راحة ممّا جنته يدي ... وبـتُّ جـارةَ فـردٍ واحـدٍ صَمَـدِ
محا الإله ذنوبي كُلّها وغدا ... قلبي خليّا من الأحزانِ والكَمَدِ
لمّا قدمتُ على الرحمن مسلمةً ... وقلتُ إنّك لم تولد ولم تلدِ
أثابني رحمةً منه وأسكنني ... مع من هويتُ جِنانًا آخر الأبَدِ»

فعلمتُ أنّ الإسلامَ حقٌّ فأسلمتُ وأسلم أهل الدير بسببها»[1].

وحكى الشيزريّ في [روضة العشّاق] عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح، قال: «سُئِل عن سبب إسلامه فحكى أنّه كان عندهم جاريةٌ نصرانيّة تبيع الخبز، فهويها شابّ مسلم واشتدّ حاله في حُبّها، فسلّطت عليه الصغار فضربوه، فلمّا علمت صدقه عرضَتْ عليه نفسها في الحرام فأبى، فعرضَت عليه التنصُّر فأبى، فأمرت الصغار بضربه حتّى مات وهو يقول: «اللهمّ اجمع بيننا في الجنّة»، فرأته في النوم وقد انطلق بها إلى الجنّة فمُنِعت الدخول لأجل الإسلام، فأسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال: «هذا لي ولك وستأتين بعد خمسِ ليال»، فاستيقظت فأسلمت ولزمَت قبره حتّى ماتت بعد خمس ليال، فأسلمتُ لذلك»[2].

---

(١) [تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق] (٢/١٠٣،١٠٤).

(٢) نفس المرجع.

ويطول حبّ أحد الأعراب لجارية فيُسأل: «ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما إلاّ الله تعالى؟»، فيجيب: «إذًا والله لا أجعله أهون الناظرين، ولكن أصنع منها ما أصنع بحضرة أهلها، حديث طويل ولحظ كليل وترك ما يكرهه الربّ وينقطع به الحبّ».

وحكى أبو الفرج قال: «كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار من بني جُشَم بن معاوية ينزل مكّة وكان من عُبّاد أهلها، فسُمّي القَسّ لعبادته، فمرّ ذات يوم بدار سلاّمة المغنّية المعروفة بسلاّمة القَسّ، وإنّما سمّيت به لأنّه سمعها يوما وهي تغنّي فوقف فتسمّع غناءها، فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها ليسمع منها فأبى، فقال له: «إنّي أقعدك في مكان تسمع منه ولا تراها ولا تراك»، فقال: «أمّا هذا فنعم»، فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناءها، ثمّ أمرها فخرجت إليه، فلمّا رآها علقت بقلبه فهام بها واشتهر وشاع خبره، وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّة طويلة، ثمّ إنّ مولاها خرج يوما لبعض شأنه وخلّفه مقيما عندها؛ فقالت له: «والله إنّي أحبّك»، فقال لها: «وأنا والله كذلك»، قالت: «ما يمنعك؟!، فوالله إنّ المكان لخالٍ»، قال: «يمنعني قول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، فأكره أن تتحوّل مودّتي لكِ عداوة يوم القيامة»، ثم نهض فخرج وهو يبكي فما عاد إليها».

تفنى اللذاذة ممّن نال شهوته	من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبّتها	لا خير في لذّة من بعدها النار

هذا هو الحبّ كما عرفه المسلمون وكما عرفه العرب في الجاهليّة قبل

الإسلام!، أمّا مفهومه في الثقافة الغربيّة التي غزت ديارنا فاستعبدت عقول شبابنا وشاباتنا فهو مرادف للزنى والفسق والحرام والمعصية ...!.

باسم الحب هذا هتكت أستارا وحطّمت ديارا ...، لا يتصوّر شبابنا حبّا إلاّ مقرونا بالجنس، فمن لم يمارس الجنس لا يعرف الحب!.

هكذا تعلّم شبابنا الحب من خلال القنوات الأجنبيّة والمجلاّت الخليعة، وهذا المفهوم الغريب للحب والخطير هو الذي أنتج آلاف الأمّهات (العازبات) وآلاف الأبناء غير الشرعيّين وآلاف المنتحرين والمنتحرات، وكان من أخطر نتائجه مرض (السيدا) الذي يُرعب البشريّة الآن، وكم قرأنا وكم سمعنا عن آلاف قصص الحب التي تنشرها يوميّا مئات الجرائد والتي تبدأ غالبيّتها بعبارة إعجاب من شاب طائش لتنتهي بحملٍ في الحرام لا يعرف مصيره إلاّ الله سبحانه وتعالى.

وها أنا أذكر لكِ أختاه بعض الأمثلة الواقعيّة لشابّات كنّ فريسة حب غربيّ لا يَرى منهنّ إلاّ جانب الأنوثة!.

كتبت إحدى ضحايا هذا الحب المزيّف رسالة نذكرها كما هي تحت عنوان:

مُعذّبة حبّ كاذب !

فتاة في الثانية والثلاثين من عمرها، عاشت في أسرة كبيرة محافظة من أسر (خميس مليانة)، وشاء الله أن يكون ترتيبها الثالث بعد أخوين، ولأنّ الأيام تمرّ سراعا من عمر الإنسان كبرت وتخطّت طفولتها دون أن تعيش كباقي أقرانها لأنهم عشرة من الإخوة والحال ميسورة.

«تزوّجتْ أُختي الكبرى وأتمّ الله نعمته عليها بأن رزقها الذرّيّة الطيّبة. أمّا أُختكم في الله تعالى فقد تهافت الخطّاب على الظفر بها لسماحة أخلاقها وطيب معشرها، ولكنّني ما قبلتُ أحدا منهم على اختلاف مستوياتهم، وكانت أسرتي في بادئ الأمر تتقبّل هذا الرفض منّي مُعتبرة إيّاه حقّا من الحقوق التي لا يجوز لها مطلقا التدخّل فيها.

لكنّ الصبر ينضب والمستور لا بدّ أن تكشفه شمس الحقيقة، فقد ضاق والدي ذرعا بهذا التهرّب الواضح من الزواج، وحاول مرارا معرفة السبب ولكنّني كنتُ أختلق الأعذار وألتمس المهرب دائما.

واحد فقط كان يعلم ما بداخلي، إنّه ربّ العزّة الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

نعم ... كان وراء هذا الرفض سببٌ رأيته حينها وجيها، ذلك أنّه كان قد استقرّ في غلالة قلبي حبّ دفين لإنسان تمكّن من فؤادي كلّ التمكّن،

والله وحده يعلم أنّ حبّي هذا كان عفيفا شريفا خالصا، وكنت أراه مقدّمة لبناء بيت وتكوين أسرة يُحبّها الله ورسوله.

وكان ذلك الإنسان لا يفتأ يقنعني بحبّه وإخلاصه، بل كان يقسم بأغلظ الأيمان أنّه لن يرضى عنّي بديلا ولا بسوى حبّي عشيرا وقرينا، وصدّقته بكلّ ما في فؤادي من طيبة مشاعر ونبل عواطف، صدّقته وحين صدّقته قيل عنّي (ساذجة)، ولكنّني ما تأثّرت ولا شككت فيه لحظة من عمري.

ومرّت الأيّام تبعتها السنون والأعوام ولا شيء تغيّر!، أنا في بيت أهلي وفارس أحلامي بعيدا!، اعتقدت أنّ البعد بعد ماديّ فقط ولكنّني أيقنت بعد طول تلك السنين وبعد الانتظار الطويل أنّ بُعده عنّي كان وجدانيّا صريحا!.

وكعادة الإنسان عندما تُحيط به الهموم من كلّ جانب لجأت إلى صديقة كانت بمنزلة الأخت منّي، وأفضيتُ بكلّ ما يختلج في نفسي من مشاعر اتّجاه ذلك الشاب وكذا بكلّ مخاوفي وآلامي، ورجوتها أن تكتم سرّي وتحفظه.

مرّت الأيّام وشاء الله أن يرتبط أخي بهذه الصديقة وحدث ذلك فعلا؛ وهنا بدأتْ حلقة الهموم تضيق حولي، فقد أَفضَتْ زوجة أخي سرّي لزوجها بل ونشرته في أوساط عائلتي!، وهكذا انكشف من أمري ما كان مستورا، وعلم الجميع أنّ عزوفي عن الزواج لم يكن سوى لانشغال قلبي بحبّ هذا الشاب الذي تواري عنّي وتركني في بحر الأسى غارقة وكحال اليائس

الذي اسودّت الدنيا في وجهه.

كرهتُ أسرتي وكرهتُ زوجة أخي بل وكرهتُ نفسي التي بين جوانحي لا سيما بعد أن أصبحت زوجة أخي تفتعل الخصومات لتذكيري كلّ مرّة بالماضي ناعتة إياي بالغباء والسذاجة، ولم يكن إخوتي أرحم منها في معاملتي.

وهكذا انسدّت أبواب الأمل في وجهي وأنا أرى رفيقات دربي قد تزوّجن واستقررن في بيوتهنّ، وأنا أُعاني الأمرّين في بيت أهلي.

هذه قصّة أيّامي الحزينة أكتبها دموعا كي لا تنخدع أخواتي بهذا الذي يسمّونه (حبّا). وأرجو من الله سبحانه وتعالى الصلاح في الدنيا والآخرة».

قصّة (إيمان)

قصة فتاة مسلمة عاشت مع أسرتها في أمريكا، جرفها التيار الماجن فخرجت عن طاعة أبويها ورمت بنفسها في أحضان فتى أمريكي قادها إلى أسوأ حال لولا أن تداركتها رحمة الله ....

«هاجر (خالد) إلى أمريكا مع زوجته وابنه وابنته ليكمل رسالة الدكتوراه في علوم التاريخ ليعود إلى وطنه مدرّسا بالجامعة، لكن كان أشدّ ما يقلقه بعد أن عزم على الهجرة مستقبل ابنه (سامي) الذي أنهى المرحلة الثانويّة وابنته التي أنهت دراسة المرحلة المتوسّطة، ولم يكن مبعث هواجسه حاجتهما إلى التقوية في دراسة اللّغة الإنجليزيّة لإمكان مواصلة دراستهما في مدارس وجامعات أمريكيّة، بل خوفه من المجتمع المتحرّر في بلاد العمّ سام وهما في هذه السنّ المبكّرة من حياتهما بحكم نشأتهما في بيئة إسلاميّة متديّنة إذ كان والده من رجال الدين المعروفين، وحاول أن يُبقيهما في بلده لمواصلة تعليمهما امتثالا لنصح والده لكن زوجته تشبثت بفلذتي كبدها وأصرّت على أن يسافرا معها.

وما أن استقرّ به المقام في أمريكا حتّى أحسّ بوطأة الحياة المعيشيّة وتكاليفها الباهضة وليس بوسعه إعادتهما لضيق ذات اليد وغلاء تذاكر السفر، ورضخ لما كتبه له قدره.

وحتّى يُواجه تكاليف الحياة المعيشيّة بدأ في البحث عن وظيفة مناسبة

بجانب دراسته العليا، وألحق سامي وإيمان بمدرسة لتعليم اللغة سرعان ما هضما دراستها، وواصل سامي دراسته الجامعيّة وإيمان دراستها الثانويّة، وكان حريصا في البداية على مذاكرة بعض مواد الدين والعلوم العربيّة معهما لكن مشاغل حياته العمليّة والدراسيّة وانهماك كلّ من ابنه وابنته في الدراسة حالت بينه وبين ما يهدف إليه من عدم نسيانهما علوم اللغة العربيّة والإسلاميّة.

ومضت سنوات أنهى فيها دراسة الدكتوراه وحصل على وظيفة مناسبة أملا في استكمال تعليم ابنه وابنته، حيث أنهى ابنه سامي دراسة الماجستير في العلوم الرياضيّة وإيمان دراستها الجامعيّة، وبدأ كلّ منهما يخطّط لاستكمال دراسته العليا.

وبدأ سامي في دراسة الدكتوراه، وظلّ على نشأته المتديّنة محافظا على صلاته وشعائر دينه وعضوا فعّالا في إحدى الجمعيّات الإسلاميّة.

أمّا إيمان ... فقد استهوتها الموسيقى وانتسبت لإحدى المعاهد العليا للموسيقى!، ولم تأبه لمعارضة أبيها وأخيها ونصحهما بإكمال دراستها العليا في علوم اللغات.

واندمجت إيمان في الوسط الفنّي وحياة التحرّر في المجتمع الأمريكيّ حتّى أنفت الحديث في نطاق أسرتها بلغتها القوميّة!، ولم تعد تواظب على صلاتها وأداء الشعائر الإسلاميّة، ولم يكن سامي راضيا عن سلوك أخته وحاول نصحها دون جدوى، وكانت أمّها بجانبها تذود عنها غضب أبيها وتكبح جماحه.

ومضى عام على حياتها الصاخبة، حتّى بلغ التوتّر حدّته في الأسرة بعد أن أمعنت في الانغماس بأندية الشباب الأمريكيّ الماجن!، وأصبحت تتغيّب عن الدار، ولم تفلح توسّلات أمّها في ردعها أو التستّر عليها حين سؤال أبيها وأخيها خاصّة بعد أن وقعت في حبّ زميل أمريكيّ له شهرة في الغناء، فكانت تغشى معه دور اللهو ولا تكاد تفارقه، وتأتي لدارها في ساعة متأخّرة من الليل.

وهنا نفذ صبر الأب فحاول منعها من الخروج من الدار وإغلاق باب غرفتها، فهربت من النافذة وأشبعها ضربا فهدّدت بالهرب والانفصال نهائيا عن الأسرة.

وساءت حال الوالدين خاصّة الأمّ لشعورها بعقدة الذنب لإخفاء كثير من تصرّفات ابنتها عن أبيها وأخيها قبل أن تستفحل، ساءت حالتها النفسيّة واضطرّ الأب لعلاجها في إحدى المستشفيات المختصّة بالأمراض النفسيّة والفتاة سادرة في غيّها ولهوها ....

حتّى كان اليوم المشئوم حين عرض فتاها الماجن الاقتران بها والذهاب إلى الكنيسة لإتمام إجراءات الزواج، وحاولت إيمان إقناعه بأنّها مسلمة ودينها يأبى هذا الزواج، وعرضت عليه الدخول في الإسلام فرفض في إباء أن يتمثّل لرأيها وخيّرها بين الزواج أو الانفصال النهائيّ.

وأصابت الفتاة الحيرة بين الردّة عن دينها الذي نشأت عليه أو الاستجابة لمن وهبته حبّها وحياتها، وسوّل لها شيطانها الرجيم إيهام الفتى بالدخول في دينه وتمّ لها ما أرادت.

وفوجئت الأسرة بالخبر المشئوم نزل عليها كالصاعقة، وعضّ الأب بنان الندم على تفريطه في تربية ابنته بل هجرته إلى أمريكا، وحاول إقناع ابنته ببطلان هذا الزواج وتوسّل إليها رحمة به وبأمّها المريضة وبنفسها وما يحلّ بها من عذاب في الدنيا ومصير مظلم في الآخرة بعد أن أصبحت في عداد الكفرة المرتدّين عن الإسلام!، ولكن لا حياة لمن تنادي، وكلّ ما فعلته الفتاة أن انسلّت من أمام أبيها وذهبت إلى زوجها للعيش معه.

وغلا مرجل الأب وفكّر في قتلها ليتخلّص من عارها، لكن القانون لن يرحم وسيكون مصيره السجن وتشريد الأسرة، وحاول أن يتّخذ أيّ إجراء قانونيّ لفسخ الزواج ومغادرة الأسرة كلّها من أمريكا ولكن ابنته قد بلغت سنّ النضج القانونيّ وتمّ زواجها باختيارها ولها حقّ اكتساب الجنسيّة الأمريكيّة.

ومضت أيّام قاسية رهيبة على الأب بين زوجة مريضة في مصحّة للعلاج وابنته آبقة مرتدّة، ولم يعد يطيق الحياة والعيش في هذا البلد، وخاف سامي أن يلحق الأب بأمّه التى بدأت تتماثل للشفاء فعرض عليه أن يذهبا لسفارة بلدهما لسلخ الابنة عن جواز السفر ثمّ الهجرة إلى أيّ بلد عربيّ إسلاميّ.

وهدأ روع أبيه ومضت أيّام عصيبة مريرة حتّى وفّقهما الله للعمل في إحدى جامعات دول الخليج العربيّ، وكان أحبّ إلى نفوسهما العودة إلى الوطن لولا الإحساس بالخزي والفضيحة وما سوف تواجهه الأسرة من سخريّة ولوم وتقريع من الأهل والأصدقاء.

حتّى إذا بدأت الأمّ تتحسّن صحّتها رحل الجميع للمقام في البلد العربيّ الذي اختاروه، وأحسّوا بالفارق الكبير بين مجتمع الكفر والانحلال والإباحيّة ومجتمع عربيّ إسلاميّ يرعى في الجار حرمة جاره، فعاشوا حياة كريمة في أمن واطمئنان وإن كان في فؤاد كلّ منهم غصّة وحسرة وألم على ابنتهم الضالّة التي أغراها شيطان الهوى.

أمّا هِيَ فلم يكد يمضي على حياتها سنتان مع فتى أحلامها التي باعت نفسها للشيطان من أجله حتّى رأت نفسها تنضمّ لجماعة (هيبز) التي أصبح زوجها واحدا من أفرادها يعيشون حياة بوهيميّة لا معنى فيها للشرف والكرامة والإنسانيّة، وزوجها لا همّ له إلاّ الدندنة على (قيتارته) وترديد أغانيه وفرقة (هيبز) من أعوانه حوله يتعاطون أنواع المسكرات والمخدّرات على نغماته الشجيّة وسط الأحراش والحقول مفترشين الأرض وملتحفين بالسماء يعشعش القمل بين شعورهم المسدلة على أكتافهم وتنبعث الروائح الكريهة من أجسادهم وهم في حالة اللاّ وعي من كثرة تعاطيهم لألوان المخدّرات.

وأحسّت الفتاة (العربيّة) وسط هذا الجوّ المعتّم الكئيب بفداحة ما ارتكبته من خطأ وذنب في حقّ دينها وأسرتها وأنّ هذا المجتمع الساقط الذي اندمج فيه زوجها ليس هو المجتمع الذي ترتضيه فتاة عربيّة مسلمة، وأجالت نظراتها في زوجها وجماعته فشعرت بالكراهيّة والحقد وعصرها الألم.

وبينما هي ذاهلة تفكّر فيما عزمت عليه تقدّم إليها أحد الجماعة يطارحها الغرام على مرأى من زوجها، فنفرت منه كالغزال الآبق وإذ زوجها يصرخ فيها

وينعتها بالتخلّف والهمجيّة، وتأخذه العزّة بالإثم فينهال عليها شتما، ولم يسعها إلاّ أن تصرخ في وجهه وتمسك بخناقه وتوسعه ركلا وضربا، وكادت تزهق روحه لولا أن خلّصته جماعته منها، وخافت على نفسها وانسلّت هاربة على إحدى الدرّاجات الناريّة والدموع تسيل من مآقيها وماء الحسرة يمزّق قلبها، حتّى بلغت دار أسرتها ولم تكن تعلم برحيلهم، وضغطت وهي تلهث تعبا وإرهاقا على جرس وإذا بها أمام سيّدة عربيّة غريبة تفتح لها الباب، فرقّت لحالها وأدخلتها صحن الدار وعلمت من السيّدة برحيل أهلها منذ عامين لجهة غير معلومة، وأسقط في يدها وشعرت بصداع يفتك برأسها ثمّ ما لبثت أن أغمي عليها.

ومن حسن حظّ الفتاة أنّ سيّدة الدار وزوجها من نفس بلدة أسرتها وكانا قد سمعا بقصّة الفتاة من أحد رجال السفارة المقرّبين إليها، وما كادت تفيق من إغمائها لهول ما أصابها حتّى انهال عليها سيّد الدار لوما وتقريعا والفتاة تبكي في حرقة وحسرة وندم، وأحسّت سيّدة الدار ما تعانيه من آلام قاسية وندمها على ما فرّطت فيه وخشيت أن تنهار أعصابها فتنتحر أو تزهق روحها فأخذت في ملاطفتها ومطالبتها بالعودة إلى دينها القويم وطلب الغفران من الله العليّ القدير وإعلان التوبة الخالصة، وشهقت الفتاة باكية حزينة وبصوت ضعيف قالت: «وهل يغفر ربّي فجوري ونكراني لديني وأهلي وما جنيته من ذنب وإثم عظيم؟!»، وأجاب سيّد الدار قائلا: «يا ابنتي إنّ رحمة ربّي وسعت كلّ شيء، وغدا هيّئي نفسك لاصطحابك لإمام المركز الإسلاميّ لتجدّدي إسلامك وتتوبي إلى الله توبة خالصة وتواظبي على صلاتك وشعائر دينك الحنيف فديننا الإسلام دين عالميّ لا يرقى إلى مستواه أيّ دين في

الوجود دين خالد أراده الله رحمة للبشريّة جمعاء»، وأحسّت الفتاة براحة نفسيّة وشعرت كأنّها خلقت من جديد في هذه الحياة بعد أن أنعم الله عليها بالهداية وأنزل على قلبها السكينة وخفق قلبها بالإيمان فسجدت لله شكرا.

ومن ذلك الحين أصبحت إيمان شخصيّة جديدة، تقرأ القرآن وتكثر من الاستغفار وتحرص على صلاتها وأداء العبادة، والتحقت بالجمعيّة النسائيّة الملحقة بالمركز الإسلاميّ تنهل من مكتبة المركز كلّ كتاب إسلاميّ يقع في يدها بعد انتهاء خدمتها بالأسرة التي حمتها من شياطين المجتمع المنحلّ.

وعبثا حاولت التعرّف على البلد التي هاجرت إليه أسرتها لتلحق بهم ولكن دون جدوى، واستقرّت مع الأسرة العربيّة كواحدة من أفراد عائلتها.

ومضت سنوات من العمر وأسرة الفتاة سعيدة بحياتها في مجتمع عربيّ إسلاميّ، وعوّض الله الأمّ الحزينة بحفيدة لابنها أغدقت عليها كلّ حبّها وحنانها، وإيمان ظلّت في كنف الأسرة العربيّة الطيّبة ناعمة البال، ترعاها سيّدة الدار كابنة لها وتخفّف عنها كلّما ألمّ بها طيف أسرتها وما سبّبته لهم من خزي وعار.

وشاءت الأقدار أن يراها زميل عربيّ مسلم لسيّد الدار فأعجب بما تتحلّى به من أخلاق إسلاميّة رفيعة، وطلب من سيّد الدار أن يقنعها بالزواج لتعود معه إلى بلده بعد أن أكمل دراسته، ولم تتردّد إيمان في القبول بعد أن أثنى سيّد الدار على خلقه وسلوكه.

وسافرت معه إلى بلده ليعيشا حياة إسلاميّة هانئة، وأنعم الله عليها

بابن أسمته سامي تيمّنا باسم أخيها الطيّب الصالح.

واشتاقت إيمان لإكمال دينها بالحجّ إلى بيت الله الحرام برفقة زوجها وطفلها، وأبت إرادة الله إلاّ أن تجمع شتات إيمان بأسرتها التي سافرت في نفس العام إلى الأرض المقدّسة لأداء فريضة الحجّ!.

وفي عرفات حيث يستجاب الدعاء رفعت إيمان يديها باكية في خشوع: «ربّي ... كما أنعمت عليّ بالهداية ورزقتني بالزوج الصالح وأنعمت عليّ بأداء الحجّ ركن الإسلام الخامس، فامنن عليّ يا ربّ العباد بلقاء أسرتي واستجب اللّهمّ لدعائي حتى تكتمل سعادتي بصفحها وعفوها ... إنّك سميع مجيب الدعوات آمين».

وفي المدينة المنوّرة طيبة الطيبة وبلد الرسول الحبيب محمد ﷺ، وبينما كانت إيمان تؤدّي صلاتها في المسجد النبويّ الشريف في الركن المخصّص للسيّدات لمحت طفلة في عمر الزهور بالصفّ الأوّل بجانب سيّدة عجوز تداعبها في حنان، وتذكّرت يد أمّها الحانية يوم كانت طفلة تربّت عليها بنفس الطريقة، ففاض الدمع من عينيها مدرارا ورفعت يدها داعية أن يستجيب الله لدعائها باللّقاء قبل أن تغادر الأرض المقدّسة؛ وبينما هي غارقة في دعائها إذ بالطفلة الصغيرة ماثلة أمامها تنظر إليها باستغراب!، وتأمّلت وجه الطفلة وأحسّت بشعور يجذبها إليها ففيها الكثير من ملامح أخيها الحبيب!، فأمسكت بها في حنان تطبع قبلة حانية على خدّها، والتفتت العجوز لتجذب الطفلة، وما أن صافح وجهها إيمان حتّى صرخت إيمان: «ماما ...!»، وتجمّدت أطراف العجوز تتفرّس وجه إيمان حتّى إذا رأت الشامة السوداء

التي تزيّن صفحة خدّها عرفتها فانكفأت عليها تضمّها لصدرها ... وكان لقاءً حارًا ساخنا سال الدمع فيه مدرارا دموع الفرحة الكبرى بلقاء الأمّ بابنتها بعد سنين طويلة من العمر!.

وفي فندق الحرم حيث كانت تنزل الأسرة تمّ لقاء الأسرتين إيمان وزوجها وطفلها ووالدها وأخوها وزوجته وطفله، وأحست إيمان بسعادة غامرة لصفح والديها وأخيها عنها بعد أن أنعم الله عليها بالهداية والتوبة واستجاب المولى لدعائها. وحمد الجميع ربّ العالمين على نعمة الفريضة التي تَحقق فيها اجتماع الشمل، إنّها فضيلة الحجّ وإحدى منافعه الخيّرة، سبحانه إنّه على كلّ شيء قدير»(١).

❀ ❀ ❀

أمّا كيف يؤدّي الحب إلى التعنيس هو أنّ المُحبّة غالبا ما تنتظر محبوبها متحدّية في ذلك أهلها وأقاربها ...، حتّى إذا ما انضمّت إلى جماعة العوانس عمد حبيبها إلى خطبة من تصغرها سنّا فتُصاب بكآبة وتفقد ثقتها في الرجال بعد خيانة الحبيب المحتال!.

ومن أغرب ما قرأت في موضوع التعنّس بسبب الحب سؤال ورد للشيخ عبد الله النوريّ قام بنشره والإجابة عليه تحت عنوان:

---

(١) من كتاب [زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه] (لمحمود محمد البابليّ).

عشق متباين

قصّة غريبة لفتاة عمرها خمس وثلاثون سنة، ماتت أمّها في حمى النفاس بعد أن ولدت أخاها الثاني وقد تجاوزت الثالثة، ومات أبوها بعد أن بلغت الرابعة من عمرها، عاشوا يتامى بلا أبوين، رعتهم جدّتهم لأمّهم وكانت تعمل طبّاخة في بيوت الموسرين، وشاء الله أن يستخدمها رجل من الأخيار عطف عليها لأنّها ربّة أيتام وكانت يومئذ في التاسعة من عمرها وفي الصفّ الثاني الابتدائيّ ...، قالت:

«كان إذا رآني آتية من المدرسة يبتسم لي ويعطيني من حنانه ومن ماله ما يكفيني لشراء حاجات المدرسة لي ولأخي الأوسط، وتركت جدّتي الخدمة في بيت الرجل المحسن ولكنّه لم يتركنا بل واصل إحسانه إلينا وتفقّده لنا.

تخرّجت من الثانويّة وكنت قد بلغت الثامنة عشرة من عمري، وكنت إذا رأيت الرجل أُقبّل يده وهو يقبل رأسي، ولكنّي شعرت أنّي أُحبّه!، أنا في الثامنة عشرة من عمري وهو دون الستّين إن لم أقل بلغها ولكنّي أحبّه!.

لم يترك لنا أبونا من حطام الدنيا شيئا سوى البيت الخراب الذي نسكنه والذي لا تتجاوز مساحته المائة وسبعين مترا، وكانت جدّتي قد رهنته

عنـد من لا يـرحم بمبـلغ زهيـد تضاعف بـتركيب الربـا حتّى استنزف قيمـة البيت، وعلم المحسن بذلك وأرسل على الدائن المرابي وفاصله في الدَّين ودفع من ماله الخاصّ قيمته وسجّل البيت باسمي الخاصّ وقاول بنّاء لترميمه حتّى يصلح للسكن.

وفي يوم من الأيّام زرته في البيت وكان لوحده جالسا في مكتبه الذي في البيت، فقال لي: «هل ستدخلين الجامعة أم ستعملين لرعاية أخويك؟، إنّ جدّتك قد عجزت فنصيحتي إليك أن تكتفي بما تعلّمت وبشهادة الثانويّة وتـدخلي ميدان العمـل»، ثمّ مـدّ يده إلى شيء مـن النقـد قائلا: «أعطيه لجدّتك مصرفا لكم»، ولكنّي لم أمدّ يدي وإنّما احتضنته وقبّلته ولم أشعر بنفسي إلاّ وهـو يدفعني عنه ويقول لي: «اعقلي يا بنت!»، قلت وأنا أبـكي: «إنّني أحبّـك يا عـمّي»، قـال: «وأنا أحبّكم كـأولادي»، قلـت: «أنـا أحبّـك كحبيب»، قال لي: «اعقلي!»، وخرجتُ وأنا خجلى من تسرّعي.

لكنّ الرجل لم يتخلّ عنّا بل جاءنا في يوم من الأيّام يقول: «هناك شـابّ لطيف متعلّم يجمع صفـات الرجولـة كلّهـا وإنّي أحـبّ أن تكـوني زوجته»، بكيت وقلت لـه: «يا سيّدي ليس في قلبي مكان لحبّ أحد، إنّ قلبي مغلق وأقـول لـك صراحة أنّي أحبّـك ...!»، بعد ذلك كان الرجل يتباعـد عنّي فلا يرضى أن أدخـل عليه وحدي بل مع أخـوي أو أحدهما أو مع جدّتي.

حتّى كان يوم من الأيّام حين أرسل كتابا يقول: «إنّ فلانا جاءني خاطبا وقد أعطيته الجواب فلا تردّي رغبته فهو كفء والفرصة لا تسنح في

كلّ حين»، كنت يومئذ في الثانية والعشرين من عمري ولكنّني رفضت وقلت له في جواب: «الزواج يحتاج إلى زوجة لها قلب يحبّ ولها عين تنظر ولسان ينطق وأنا قلبي ليس معي وعيني لا تنظر إلى أحد غيرك، لا أرغمك على الزواج منّي ولا أطلب ذلك منك بل يكفيني أنك بخير وأنّي أسمع عنك كلّ خبر مفرح، ورجائي منك أن لا تكلّمني عن خاطب ولا تخبرني عن راغب».

واليوم قد بلغت الخامسة والثلاثين وأظنّه قارب أو جاوز الثمانين وما زال إحسانه يصل إليّ في كلّ عيد وفي رمضان وفي بعض المناسبات الأخرى، لكنّني لم أره منذ عشر سنين ولم يرن، لقد فاتني القطار وأنا غير آسفة لأنّي لم أحلم بالزواج ولا رغبت بزوج ولا فكّرت فيه، خطبني كثيرون من نفسي ومنه ورفضت الجميع، وكنت أحلم أن أكون له زوجة وما زلت أحلم بهذا الحلم وأمنيتي لو كنت له زوجة أو حتّى ممرّضة وهو في مثل هذا السنّ ولكنّها أماني لم تثمر.

علّمتُ أخوي حتّى تخرّج الأوّل من الثانويّة ودخل في ميدان العمل وكان الثاني كسولا فدخل الجنديّة وأكمل الخدمة ودخل ميدان العمل، وأعنتهما على الزواج والمحسن لم يبخل بالعون بل أعان لمّا علم وتزوّجا ومازالا يقيمان معي في بيتي مع الجدّة التي بلغت أرذل العمر.

خيري كثير من مكسبي ومن فضل ذلك المحسن عليّ وعلينا جميعا، ولا ينقصني شيء إلاّ النظر إلى وجه ذلك المربّي المحبوب، مع أنّي أعلم من أخباره ما يعلمها هو نفسه ولي في معرفة أخباره دراية تعلّمتها من طول زمن حبّي له، إنّه حبّ ربع قرن!.

سؤالي: هل أنا آثمة برفضي الزواج؟، أنا على يقين أنّ أيّ زوج أقبل به لن يجد منّي سوى وسادة لا زوجة، وسأكون معه جسدا بلا قلب فأكون مذنبة بحقّه، فهل أنا آثمة؟!، أرجو الجواب».

«الجواب(١): إنّ لي في مثل هذه القصّة شأنا أيّ شأن، وكان لي في ميدان مثل ميدانها جولة حاولت فيها لمّ الشمل فلم أُوفّق، أمّا التبتّل فقد قال الفقهاء فيه بالنسبة للرجال أقوالهم، فهو حرام على من قَدَرَ عليه وخاف على نفسه العنت، وهو مستحب لمن وجد القدرة عليه ولكنّه آمِن على نفسه من الوقوع في الزلّة لقول النبيّ ﷺ: [النِّكَاحُ مِن سُنَّتِي فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي]، وقال بعضهم أنّ كلمة: [فَلَيْسَ مِنِّي] تفيد الوجوب، أمّا من أحسّ في نفسه عدم القدرة عليه فهو بالنسبة إليه مكروه إلاّ إذا وجد من ترضى به وتقبله على حاله فقد يزول ما عنده فيكون رجلا قادرا على أداء الواجب نحو الزوجة، هذا ما ذكره الفقهاء بالنسبة للرجل، أمّا بالنسبة للأنثى فلم أقرأ شيئا كتبه الفقهاء عنها!.

والمرأة مخطوبة لا خاطبة ومطلوبة لا طالبة، ورأيي أنّ من أحسّت بنفسها القدرة على أداء الحقوق الزوجيّة فحرام عليها أن تمنع نفسها من متعة الحياة ونعمة الأمومة، لكن قولك أنّكِ امرأة بلا قلب وأنّكِ إذا تزوّجت فلن يجد الزوج منك سوى وسادة قول فيه صراحة لم أقرأها إلاّ في الروايات، لكنّي أردّ على قولك فأقول لقد أحببتِ في هذا المحسن عطفه وحنوه وقلبه الكبير، وكان لليتم المبكّر الذي عشتيه أثره في أذكاء ما توهّمت أنت أنّه حبّ

(١) جواب الشيخ عبد الله النوريّ.

المرأة للرجل، ولكنّكِ في الحقيقة عشت وهما كبيرا، إنّ الزواج شيء آخر مختلف تماما عن مجرّد المساعدة والعطف وبذل الحنان ....، الزواج مستقبل حياة شركة تقوم على التفاهم والعطاء من كلا الشريكين.

على كلّ حال أعانك الله وهداك إلى الصواب، ولعلّ باستطاعة الرجل الذي يتزوّجك أن يفتح مغاليق هذا القلب فيردّه إليك، أثابك الله على إخلاصك لأخويك الوحيدين ولجدّتك، ولكِ العذر في أن تردّي الخاطبين لأنّك لم تشائي أن تظلمي أحدا منهم فأنت أدرى بنفسك وأعلم بحياتك»[1].

١٠) التعنّس بسبب الطموح:

قطاع لا يُستهان به من النساء تعنّسن بسبب الطموح، وبغضّ النظر عن شرعيّة طموحاتهنّ من عدمها وموقف الشريعة من تلك الطموحات ومدى معقوليتها وهل تصلح لتبرير العنوسة، بغضّ النظر عن ذلك كانت تلك الطموحات في العصر الحديث من أهمّ أسباب عنوسة المرأة وتعاستها!.

فالحضارة الغربيّة التي نعيشها والغزو الفكريّ الذي يُعربد فوق عقول

(١) الشيخ عبد الله النوريّ من مواليد الزبير في العراق مايو سنة ١٩٠٥، بدأ تعليمه في المدارس التركيّة حتّى سنة ١٩١٤، ثمّ في مدارس الاحتلال البريطانيّ في العراق، تخرّج من دار المعلّمين في بغداد صيف ١٩٢٢، هاجر مع أبيه والعائلة إلى الكويت في أبريل ١٩٢٣، واصل تعليمه الشرعيّ على علماء الكويت، رُشّح ليكون عضوا في لجنة الفتوى سنة ١٩٦٤، له كتاب [من غريب ما سألوني!].

نسائنا صوّر للمرأة أنّ الحياة عبارة عن غابة مظلمة تسكنها حيوانات مفترسة القويّ يأكل الضعيف، وما لم تتسلّح المرأة في هذه الغابة التي هي مسرح الحياة بالمنصب أو المال أو الجمال أو المسكن فهي حتما ستضيع في هذه الحياة!.

ولا يخفى أنّ هذا المنطق هو واقع الذين تخلّوا عن الإيمان ولم يجعلوا الشريعة نظام حياتهم، فالتفكير بتلك الطريقة في مجتمع غير إسلاميّ هو المنطق بعينه!.

والحقّ أنّ المرأة دائما هي الضحيّة سواء تسلّحت بالمال والجمال والمنصب أو لم تتسلّح بذلك، لأنّها إن لم تتسلّح بتلك الأمور في مجتمع يزن مقادير الناس حسب ما يملكون -فقدر كلّ امرئ ما كان يملكه- ينفضّ الناس من حولها ولا يجعل لها قيمة تُذكر، وإن تسلّحت بتلك الأمور فالواقع أنّ المرأة لا تصل إلى المنصب أو المال إلاّ بعد ذبول زهرة العمر وذهاب أيّام الشباب ممّا يجعل الشباب ينفضّ من حولها إلى من هي أصغر منها وأكثر فتنة، حتّى لو قدّمت بين يدي زواجها من المغريات أقصاها المال والشقّة فضلا عن التعاسة التي تركب المرأة وهي ترى زوجها لا يُعيرها أدنى اهتمام كإنسان بل ما يربطه بها المأوى والفلوس!.

وهذا أيضا يدخل فيما أُسمّيه (زواج المصلحة) الذي انتشر وذاع ولم نجن من ورائه إلاّ خراب البيوت وكثرة المطلّقات ....

كثير من النساء نتيجة اعتناقهنّ الأفكار الغربيّة يُرجئن زواجهنّ إلى ما بعد الحصول على الوظيفة أو المسكن أو الشهرة.

تقول (نورة) رئيسة قسم بإحدى المؤسّسات الصحفيّة: «عندما تحصّلتُ على شهادة البكالوريا وسجّلت بمعهد الطبّ قُرأت فاتحتي على ابن خالتي، لكن يومها أحسستُ أنّ هذا الارتباط سيُقيّدني عن تحقيق هدفي، سعيتُ بكلّ الطرق لفضّه فكان لي ما أردت، واعتقدت أنّ الأيّام التي ستحمل لي النجاح كفيلة بأن تُلاقيني بمن يتناسب مع منصبي ووظيفتي.

بقيتُ بلا زواج حتّى سنّ الثلاثين، كنت أرغب في تحقيق منصب مهمّ لذلك رفضت كلّ من تقدّم لي، عندما تجاوزت الثلاثين بقليل بدأ يُراودني التفكير في الزواج واستيقظتْ فجأة غريزة الأمومة بداخلي، أصبحتُ مع الأيّام شاردة الذهن شديدة التفكير في العثور على زوج، وبدأ ينتابني شعور بالقلق على مستقبلي!.

لم أعد طبيعيّة في تعاملي مع الرجال، أصبحتُ كثيرة التودّد لكلّ رجل رأيته، وكلّما صادفتُ رجلا وسيما إلاّ وتمنّيتُ بداخلي أن يكون زوجي، لكن أُصاب بالإحباط حين يمرّ في حياتي مرور الكرام. وتمرّ معه الأيّام والسنون تجرّ بعضها بعضا إلى أن وصلتُ السادسة والثلاثين!.

عندما أحسستُ بالخطر يُداهمني سارعتُ بإدراج اسمي ضمن عروض الزواج في الصحف!. تصوّري ... أنا التي رفضتُ الدكتور والمهندس وغيرهم أعرض نفسي لمن يتكرّم ويتزوّجني وأُغريه بشقّتي وسيّارتي ومركزي!.

تزوّجتُ نعم ولكن من موظّف بسيط يصغرني بسنتين، علاقتي به باردة على جميع الأصعدة برودة موقف عائلته من زواجنا، صدّقيني أحيانا لا أشعر بالحماية في وجوده!، أُحِسّ أنّني رجل البيت ليس بإمكاني الاعتماد

عليه في شيء فعلاقاته محدودة ودخله بسيط، لذلك أسرعت في إنجاب الأطفال لعلّ وجودهم يزيد ارتباطنا متانة ويُحسسه بالمسئوليّة تجاهنا».

وعلى خطوات نورة سارت (فضيلة) التي تجاوزت الثلاثين ولم تتزوّج، تعمل مديرة لإحدى الإكماليّات، وفي شكل أقرب إلى التحذير قالت: «من الخطأ أن تتصرّف بنات اليوم وِفق نظريّة تأخير الزواج إلى ما بعد تحقيق المستقبل العمليّ، فالعمر لا ينتظر ومع مرور كلّ عام تقلّ فُرص الزواج ويتعذّر الإنجاب، لذلك على الفتاة أن لا تُهمل حقّها في الزواج بل تُطالب به وتركض وراء نيله وهي ابنة العشرينات لأنّ أيّ تهاون منها سيركبها عربة العوانس وما أكثرهنّ!.

شبّان اليوم كلّهم يُفضّلون صغيرات السنّ، أنا أؤمن أنّ وجود الرجل في حياة المرأة لا يُكملها، لكن الإحساس بالوحدة يكاد يلتهمني ويقضي على خيط الأمل الرفيع الموجود بداخلي خاصّة وأنّ صرامتي جعلت رجالا كثيرين يتردّدون في مُفاتحتي وغيرهم يعتقدون أنّني مُتزوّجة!.

لقد رفضتُ الارتباط بحبيبي منذ سنوات خلت لأنّني كنتُ على وشك الترقية ففضّلتُ التفرّغ لعملي واعتقدتُ أنّه بإمكاني إيجاد غيره فهم كثيرون!. لم ينتظروني فالنساء كثيرات أيضا، ومن يومها لم يطرق بابي أحد غير الأساتذة والتلاميذ!. أشعر أنّ شيئا ما يكاد يصرخ بداخلي رغما عنّي ليقول هل من زوج فأنا وحيدة ...؟!، وما أشبه اليوم بالبارحة»[١].

---

(١) جريدة [الشروق] (العدد:٢٣٢).

ومن تلبيسات إبليس على بعض المتديّنات إيهامهنّ أنّ التفرّغ إلى الدعوة إلى الله أحسن من الزواج، وأنّ العمل الدعويّ مع الزواج لا يلتقي أبدا.

اتجهت إحداهنّ إلى الداعية زينب الغزاليّ بهذا السؤال:

«أُمّي الغالية، نحن في زمن كثُر فيه الظلم والفساد، إذن نحن بحاجة إلى دعاة يُصلحون ما فسد ويهدون بعونه تعالى ما ضلّ، ولاختلاف الظروف والبيئة أصبح لا بدّ أن تُشارك المرأة بدور فعّال في هذه الدعوة، وأعتقد أنّكِ توافقينني.

وبالنسبة لشخصي هناك مُشكلة أساسيّة يجب أن أفصل فيها الآن حتّى أعرف كيف أُخطّط للمستقبل جيّدا، إنّني أُفكّر لو أنّ الله وفّقني ودخلتُ مجال الدعوة فسأصرف نظري عن الزواج البتّة، فالدعوة مسئوليّة كبيرة كما أنّ الزواج مسئوليّة أكبر، ولا أعتقد أنّ التوفيق بينهما بالشيء البسيط والسهل، أرجو رأيك في هذا الموضوع وفي أقرب وقت حتّى أستطيع أن أتّخذ القرار المناسب، فأنتِ يا أُمّي الغالية عشتِ الحياة الزوجيّة والدعويّة كما لم تعشها امرأة مسلمة في عصرنا هذا. (حليمة. ب.) منْ (سكيكدة)».

١١) التعنّس بسبب الخوف من الزواج:

من الأسباب الخفيّة لانتشار العنوسة الخوف من الزواج الذي ركب قطاعا لا يُستهان به من فتياتنا.

والخائفات من الزواج أصنافا عديدة نذكر منها:

⁂ الخائفات على حرّيّتهنّ:

اللواتي يعتقدن أنّ الزواج سجن وقيد يقضي على طموحاتهنّ وتحرّرهنّ وتمتّعهنّ بالحياة ...، تنتشر هذه الفكرة غالبا عند اللواتي آمنّ بالثقافة الغربيّة واعتنقن الأفكار الغربيّة المتعلّقة بحرّيّة المرأة وانطلاقها واستقلالها المادّيّ، وقد تُضحّي الواحدة منهنّ بكلّ المبادئ والقيم والأعراف وتُكسّر كلّ القيود حتّى تصل إلى مُبتغاها ومثلُها الأعلى الحرّيّة على الطريقة الغربيّة.

فالزواج بالنسبة لها عودة إلى نُقطة الصفر، وهذا الصنف من النساء يرفضن التحوّل ولا يقبلن أبدا فكرة تحوّلهنّ إلى زوجات وأُمّهات، لا تتخيّل الواحدة منهنّ نفسها مُرضعة أو منظّفة أو طاهية المطبخ، فالحرّيّة عندهنّ لا تحمل من مدلولاتها إلاّ معنى التمتّع بالحياة والانطلاق فيها.

وفي انتظار هذا الذي يرضى بحياتهنّ ويُوافق على دخولهنّ وخروجهنّ ولا يُعارض أُسلوب حياتهنّ ... يُفضّلن العنوسة على الارتباط خاصّة إن اجتمع إلى هذه الأفكار توفّر المسكن والمال.

تقول إحداهنّ تحت عنوان:

هذا ما جنيته على نفسي!:

«أنا امرأة تجاوزت الأربعين من العمر، عشتُ أيّامي بفرح كبير غير آبهة بأيّامٍ تمضي أو تنتظر، لم أتزوّج لأنّني وجدت في هذا الارتباط قيدا قد

يحْرمني من الحريّة التي قد أبحث عنها وأسعى إليها مهما كان الثمن، لا أكتب اعترافي هذا كي تُشاطروني النصح بل أكتب حصيلة تجربة مُرّة زُيّنت لي في ريعان شبابي، ولكن على خصوصيّاتها فهي موضوع عامّ يُعانيه عدد لا بأس به من أولئك اللائي يرفضن الاعتراف بذواتهن.

أنا اليوم وصلت إلى عمر معيّن لم أعد معه قادرة على إلغاء التفكير بالآتي، ربّما أملك المال الذي يكفيني والعافية التي تؤهّلني للعيش دون تعثّر ولكنّني خلال جلساتي مع نفسي والتي كثُرت هذه الفترة أجد أنّ الوحدة هي السلاح القاتل الذي لا بدّ لي من مواجهته مع كلّ جلسة مع نفسي، قد أمضي النهار في العمل والتنزّه وأسهر الليل معظمه ولكن مجرّد ابتعادي عن الناس يُخبرني بمدى اليأس الذي وصلتُ إليه والذي بدأت ملامحه تلوح في أُفقي.

أنا لم أتزوّج لأنّ أنانيّتي لم تسمح لي بتفضيل الآخرين على نفسي حتّى ولو كان هؤلاء الآخرون زوجا وأولادا، أُعجبتُ بنفسي وغررتُ بأموالي وتمكّنت الأنانيّة منّي حتّى انعكست سلبا على خاتمتي التي لم أُفكّر فيها!.

كلمات أفكار تطاردني وتجعلني أطرح على نفسي الأسئلة، لماذا فوّتُّ الفرصة على نفسي لإقامة بيت وزوج وأولاد كبقيّة خلق الله؟!، لماذا تعاميت عن الارتباط بشخص على سنّة الله ورسوله حين كنتُ قادرة على ذلك وأبيتُ أن أرضخ لسنّة الحياة؟!، ماذا سيكون موقفي لو قرّرتُ أن أتمسّك ببقايا الحلم الذي تلاشى واندثر؟، هل أكون تلك الإنسانة التي تُحاول أن تحتفض بالماء في سلّة تمكّنت الشمس من جفاف قصبتها؟، هل بإمكاني

تعويض ما فاتني من حبّ وحنان؟!، لا أُريد الردّ ولا أطلب الإجابة عليّ ولكن هذه التساؤلات أطرحها على كلّ اللائي باستطاعتهنّ التمسك بالحلم وهنّ يرفضن ذلك. (وحيدة متعبة) الجزائر».

⁂ الخائفات من الرجال:

صنف آخر من النساء تعنّسن لخوفهنّ من الرجال، يرفضن كلّ خاطب لا لِعَيب فيه بل خوفا منه، وهذا الخوف غالبا ما يكون نابعا من تجارب سابقة عاشتها المعنيّة أو إحدى معارفها كانت المرأة فيها ضحيّة خداع رجل أوردها الموارد، كما أنّ هذا الصنف في الأعمّ الأغلب نشأ في بيت مهزوز يُسيطر عليه والد جبّار يحتقر البنات، هوايته ضرب زوجته وإشاعة الرعب داخل البيت، ميزته قساوة القلب وفحش اللسان، لا يتحرّك إلاّ والسوط في يده.

هذا المنظر المتكرّر يُولد لدى البنات كُرها شديدا للرجال، فهنّ ينظرن إلى الرجال كلّهم من زاوية واحدة ومنظار واحد، زاوية ومنظار ما قاسيناه على يد الدهن، كلّ الرجال عندهنّ سواء مخادعون أنانيّون متوحّشون متسلّطون ....، فيكرهن الرجال ويكرهن الارتباط بهم ولا يقبلن الزواج إلاّ وهنّ مجبرات!.

⁂ الخائفات من متطلّبات الحياة الزوجيّة:

صنف آخر من النساء تعنّسن لا لخوفهنّ من الرجال ولا لخوف على حريّتهنّ بل على العكس من الصنف الأوّل، هنّ يتمنّين الاستقرار في البيت

وخدمة الزوج والأولاد إلاّ أنّهنّ يعتقدن أنّهنّ لسن أهلا لذلك، فالزواج مسئوليّة وخدمة وطاعة ومُتعة وتحمّل وتجمّل وصبر وطبخ وتنظيف واستقبال ضيوف وحسن عشرة لأهل الزوج وانتقال من بيت الوالدين لبيت الزوجيّة ... وهنّ لا يحسنّ إدارة مثل هذه الأمور، تجد الواحدة منهنّ يسكنها الخوف من الزواج لأنّها في تصوّرها لا تملك مؤهّلاته خاصّة إن صادف هذا الخوف جهلا حقيقيّا بفنّ من فنون الحياة الزوجيّة.

هذا الصنف غالبا ما نشأ في بيوت مستقرّة كان للأمّ الدور الأكبر في استقراره وإبعاد العواصف عنه، هذه الأمّ التي تُحسن كلّ شيء من أدقّ الأمور إلى أعلاها، إلاّ أنّ البنات نتيجة اشتغالهنّ بالدراسة لم يستفدن من أُمّهنّ شيئا ما عدا النظر إليها كمثال لا يُمكن الوصول إليه ولا يُمكنهنّ تقديم ما قدّمته هذه الأمّ لعائلتها وزوجها.

وهكذا يرفضن كلّ خاطب لأنّهنّ يرين أنّهنّ غير مؤهّلات للحياة الزوجيّة، وفي انتظار التأهيل ونيل شهادة الحياة الزوجيّة يمرّ العمر سريعا فإذا بهنّ عوانس!، يُضاف لهذا أنّ هذا الصنف من المتواضعات يتصوّرن الحياة الزوجيّة على أنّها صراعات دائمة ومستمرّة بين الزوجة وحماتها وبينها وبين أخوات الزوج والجيران، وكونهنّ لا يُحسنّ كثيرا من فنون بيت الطاعة يعتقدن أنّهنّ سينهزمن في أوّل معركة مع الحماة، كما يعتقدن أنّهنّ عاجزات على إدخال السعادة على قلب الزوج، فالطريق المؤدّية لقلب الزوج لا بدّ أن تمرّ من خلال بطنه كما يُقال وهنّ لا يُحسنّ الطبخ مثلا!.

* الخوف نتيجة الوهم:

تتوهّم بعض النساء أنّ الحياة الزوجيّة عبارة عن جنس فقط!، فالرجال بالنسبة لهنّ لا يتزوّجون إلاّ من أجل الجنس والجنس فقط، ويذهب بهنّ الوهم إلى أن يسدّ عليهنّ جميع أهداف الزواج وفوائده ليحصرها لهنّ في العمليّة الجنسيّة فقط، فالحياة الزوجيّة عندهنّ لا تخرج من غرفة النوم أبدا. وهذه النظرة بل هذه العقدة لها أسبابها الموضوعيّة عند جيل (البرابول)[١] إلاّ أنّها تظلّ نظرة خاطئة لا تقوى على تبرير التعنيس.

تقول (صافية. م.) (من مواليد ١٩٦٤، جميلة مثقّفة جامعيّة): «منذ صغري وأنا أمقُت الزواج، كلّما تذكّرته أتذكّر مباشرة العلاقة الجنسيّة، أنا لا أحتمل هذه العلاقة الحيوانيّة!، ربّما أتزوّج إذا وجدت رجلا يكره الجنس مثلي، ولا أعتقد ذلك ما دام كلّ الرجال يتزوّجون فقط لإشباع غرائزهم الحيوانيّة ليس أكثر، قد يقولون إنّني مُعقّدة نفسيّا وأحتاج إلى طبيب نفسانيّ، ولكنّني أقول المجتمع كلّه في حاجة إلى أن يعرف أنّ الزواج مسئوليّة رسالة مُقدّسة، والعلاقة الجنسيّة هي تتويج لهذه المسئوليّة وليست هي الغاية»[٢].

هذه النظرة الخاطئة للزواج والتي تتوهّم البنت فيها أنّ الحياة الزوجيّة بطولها وعرضها وعمقها عبارة عن ممارسات جنسيّة هي التي تدفع البنت أيضا إلى الخوف من (ليلة الدخلة)، فهي كما حكت لها فلانة وفلانة عبارة عن هجوم وحش كاسر على فريسة ضعيفة ينهشها من كلّ مكان ولا يتركها إلاّ

(١) البرابول: الهوائيّ المقعّر، ويطلق عليه أهل الخليج: (الدشّ).
(٢) جريدة [الشروق] (العدد:٢٠٨).

ودماؤها تنزف!. ولا يخفى على أحد أنّ كثيرا من الرجال الجهلة من يعتقد ذلك وينتظر هذه الليلة كما ينتظر الأسد الجائع فريسته!.

لكن التخيّلات تذهب بالبنت بعيدا لتطرح أمامها مشاكل البكارة وليلة الدخلة والحبس عن الزوج وعدم الإنعاض ودماء الانفضاض وآلام الحمل وأخطار الولادة ومتاعب الإرضاع ....، هذه التخيّلات والقصص المرعبة والتجارب المريرة حملت بعض الفتيات على تأخير زواجهنّ فتعنّسن!.

١٢) ألسنة السوء والحسد:

كثيرا ما تكون البنت عفيفة شريفة من عائلة طيّبة ....، ولسبب من الأسباب وما أكثرها كخصومة بين عائلتها وإحدى عائلات الحيّ على موضوع لا علاقة له بالشرف والعفّة كغالب الخصومات الواقعة بين الجيران خاصّة في العمارات، فتعمد ألسنة السوء إلى تناولها بالسوء والثلب، ويشيعون عنها الفحشاء فيشيع أمرها فلا يقصدها الخطّاب ولا يطرقون باب عائلتها، ويكون قصد الذين أشاعوا عنها الفاحشة إذاية أبيها أو أخيها أو عائلتها عموما وإلحاق الذلّ والهوان بهم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور].

جاء في تفسيرها: «أنّ الذين يسبّون النساء العفيفات الحرائر المسلمات برميهم بالزنى ولم يتمكّنوا من إثبات التهمة بأربعة شهود رأوهنّ مُتلبّسات

بالزنى أي لم يُقيموا البيّنة على صحّة القذف الذي قالوه لهم ثلاثة أحكام:

الأوّل : أن يُجلد القاذف ثمانين جلدة.

الثاني : أن تُردّ شهادته أبدا فلا تُقبل في أيّ أمر مدّة العمر.

الثالث : أن يصير فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس سواء كان كاذبا في قذفه أو صادقا، والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى.

وهذا دليل على أنّ القذف كبيرة من الكبائر لما يترتّب عليه من التشنيع وهتك حرمة المؤمنات»[1].

ثمّ: «إنّ الله بيّن هنا حكم عقوبة من رمى المحصنات في الدنيا ولم يُبيّن ما أعدّ له في الآخرة، ولكنّه بيّن في هذه السورة الكريمة ما أعدّ له في الدنيا والآخرة من عذاب الله وذلك في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور]، وقدْ زاد في هذه الآية الأخيرة كونهنّ مؤمنات غافلات لإيضاح صفاتهنّ الكريمة.

ووصفُه تعالى للمحصنات في هذه الآية بكونهنّ غافلات ثناء عليهنّ بأنّهنّ سليمات الصدور نقيّات القلوب، لا تخطر الريبة في قلوبهنّ لحسن سرائرهنّ، ليس فيهنّ دهاء ولا مكر لأنّهنّ لم يجرّبن الأمور فلا يفطنّ لما تفطن

---

(١) [التفسير المنير] (للزحيلي) (١٨/١٤٢).

له المجرّبات ذوات المكر والدهاء، وهذا النوع من سلامة الصدور وصفائه من الريبة من أحسن الثناء، وتطلق العرب على المتّصفات به اسم البله مدحا لها لا ذمّا» اهـ[1].

قال صاحب [الظلال]: «إنّ ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات وهنّ العفيفات الحرائر ثيّبات أو أبكارا بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحا لكلّ من شاء أن يقذف بريئة أو بريئا بتلك التهمة النكراء ثمّ يمضي آمنا!، فتصبح الجماعة وتمسي وإذا أعراضها مجرّحة وسمعتها ملوّثة، وإذا كلّ فرد فيها متّهم أو مُهدّد بالاتّهام، وإذا كلّ زوج فيها شاكّ في زوجه، وكلّ رجل فيها شاكّ في أصله، وكلّ بيت فيها مهدّد بالانهيار، وهي حالة من الشكّ والقلق والريبة لا تطاق!.

ذلك إلى أن اطّراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرّجة من ارتكاب الفعلة أنّ جوّ الجماعة كلّه ملوّث وأنّ الفعلة فيها شائعة فيقدم عليها من كان يتحرّج منها وتهون في حسّه بشاعتها بكثرة تردادها وشعوره بأنّ كثيرين غيره يأتونها!. ومن ثمّ لا تُجدي عقوبة الزنى في منع وقوعه والجماعة تمسي وتصبح وهي تتنفّس في ذلك الجوّ الملوّث الموحي بارتكاب الفحشاء.

لهذا وصيانة للأعراض من التهجّم وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصبّ عليهم شدّد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنى ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق، والعقوبة الأولى جسديّة والثانية أدبيّة في وسط الجماعة، ويكفي أن يهدر قول القاذف فلا

---

(١) [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن] (للشنقيطيّ) (٨٧/٦).

يُؤخذ له بشهادة وأن يسقط اعتباره بين الناس ويمشي بينهم مُتّهما لا يوثق له بكلام، والثالثة دينيّة فهو منحرف عن الإيمان خارج عن طريقه المستقيم، ذلك إلاّ أن يأتي القاذف بأربعة يشهدون برؤية الفعل أو بثلاثة معه إن كان قد رآه فيكون قوله إذن صحيحا ويوقع حدّ الزنى على صاحب الفعلة.

والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محقّقة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخّص فيه وعدم التحرّج من الإذاعة به وتحريض الكثيرين من المتحرّجين على ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها ويظنّونها ممنوعة في الجماعة أو نادرة، وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تُصيب الحرائر الشريفات والأحرار الشرفاء وفوق الآثار التي تترتّب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت» اهـ[١].

وقد تكون أمّ البنت فاسقة أو أبوها خمّارا أو أختها مومسا فتتعنّس كذلك بسبب ما انتشر بين الناس من سوء عائلتها وفسادهم.

أمّا ضحايا الحسد فيُعَدّون بالآلاف، هذا المرض الخطير الذي انتشر في قلوب العباد وانتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم وهو تمنّي زوال نعمة الغير.

قد ينعم الله على فتاة بالجمال والعلم والأدب وتتفوّق على بنات الجيران ويقصدها الخطّاب ولا يقصدون بنات الجيران، وتمدحها النساء ولا يمدحن بنات الجيران، ويفتتن بها الشباب ولا تفتنهم بنات الجيران، وتصل

(١) [في ظلال القرآن] (لسيّد قطب) (٢٤٩١/٤).

إلى الجامعة دون بنات الجيران ....

وتتحرك آلة الحسد الرهيبة في قلوب مظلمة خالية من الإيمان فتعمل على تحطيمها وإسقاطها في أعين الناس راكبة في سبيل ذلك كلّ مركوب باذلة في سبيل إرواء غليل الحسد كلّ غال ونفيس مستعينين بالإشاعة وسوء الظنّ والوشاية والدسّ والمكيدة والحيلة ....، المهمّ أن تسقط هذه العفيفة في شباك عنكبوت العنوسة حتّى لا تُذكر بميزة وتُرمى في سلّة مهملات المجتمع ويرتدي قلبها ثيابا سودا!. ويكون السحر آخر أسباب العنوسة.

١٣) السحر:

وهو إمّا كفر أو كبيرة من الكبائر. قال الإمام الذهبيّ في [الكبائر]: «ترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون في السحر ويظنّونه حراما فقط وما يشعرون أنه الكفر، فيدخلون في تعليم (السيمياء) وعملها وهي محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفي محبّة الرجل للمرأة وبغضها له وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال» اهـ[1].

قلتُ وكذلك يعمد السحرة الفجرة إلى تنفير الخطّاب وإبعادهم عن دقّ باب الفتاة حتّى تتعنّس، بل قد يسحرون الفتاة نفسها لتظهر في صورة بشعة منفرة على خلاف حقيقتها، وقد يُسمّى هذا (سحر التخييل) وهو الذي فعله سحرة فرعون مع سيّدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال أيضا:

(١) [الكبائر] (للذهبيّ) (ص:١٥).

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾﴾ [طه].

والدليل على أنّ السحر كفر ما ورد في سورة البقرة صريحا: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قال ابن كثير: «وقد استدلّ بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلّم السحر، واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا محمد بن المثنى أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله قال: [من أتى كاهنا أو ساحرا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»(١)، ثمّ قال: «وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يُخيّل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق أو نحو ذلك أو عقد أو بغضة أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة» اهـ(٢).

---

(١) قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح وله شواهد أخر».

(٢) [تفسير ابن كثير] (٢٥١/١).

قال العلاّمة ابن حجر الهيثميّ في [الزواجر عن اقتراف الكبائر]: «اختلف العلماء في الساحر هل يُكفّر أو لا؟، وليس من محلّ الخلاف النوعان الأوّلان من أنواع السحر السابقة إذ لا نزاع في كفر من اعتقد أنّ الكواكب مؤثّرة لهذا العالم أو أنّ الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثّرة في إيجاد جسم أو حياة أو تغيير شكل؛ وأمّا النوع الثالث وهو أن يعتقد الساحر أنّه بلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الأدوية إلى أن الجنّ تطيعه في تغيير البنية والشكل فالمعتزلة يقرّونه دون غيرهم، وأمّا بقيّة أنواعه فقال جماعة إنّها كفر مطلقا لأنّ اليهود لمّا أضافوا السحر لسليمان صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم قال تعالى تنزيها له عنه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

فظاهر هذا أنّهم إنّما كفروا بتعليمهم السحر لأنّ ترتيب الحكم على الوصف المناسب يُشعر بعلّيّته وتعليم ما لا يكون كفرا لا يُوجِب الكفر، وهذا يقتضي أنّ السحر على الإطلاق كفر، وكذا يقتضي ذلك قوله تعالى عن الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾، وأجاب القائلون بعدم الكفر كالشافعيّ ﷺ وأصحابه بأنّ حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة، فيحمل على سحر من اعتقد إلهيّة النجوم.

هل تُقبل توبة الساحر؟:

واختلفوا: هل تُقبل توبة الساحر؟:

فأمّا النوعان الأوّلان فمعتقد أحدهما مرتدّ، فإن تاب فذاك وإلاّ قُتِل،

وقال مالك وأبو حنيفة: لا تُقبل توبتهما؛ وأمّا النوع الثالث وما بعده فإن اعتقد أنّ فعله مباح قُتِل لكفره لأنّ تحليل المحرّم المجمع على تحريمه المعلوم من الدين بالضرورة كفر كما مرّ، وإن اعتقد أنّه حرام فعند الشافعيّ ﷺ: أنّه جناية فإذا فعله بالغير وأقرّ أنّه يَقتل غالبا قُتِل به لأنّه عمد أو نادر فهو شبه عمد أو أخطأ من اسم غيره إليه فهو خطأ، والديّة فيهما على العاقلة إن صدّقته إذ لا يُقبل إقراره عليهم، وعن أبي حنيفة: أنّ الساحر يُقتل مطلقا إذا علم أنّه ساحر بإقراره أو بيّنة تشهد عليه بأنّه ساحر ويصفونه بصفة تُعلِم أنّه ساحر، ولا يُقبل قوله: أترك السحر وأتوب عنه، فإن أقرّ: بأنّي كنت أسحَر مدّة وقد تركت ذلك منذ زمان قُبل منه ولم يُقتل، وسئل أبو حنيفة: لِمَ لَمْ يكن الساحر بمنزلة المرتدّ حتّى تُقبل توبته؟، فقال: لأنّه جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد ومن هو كذلك يُقتل مطلقا» اهـ[1].

وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه [الإشراف على مذاهب الأشراف] بابا في السحر فقال: «أجمعوا على أنّ السحر له حقيقة إلاّ أبا حنيفة فإنّه قال: لا حقيقة له عندنا.

واختلفوا فيمن يتعلّم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يُكفّر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إنّ تعلّمه ليتّقيه أو ليتجنّبه فلا يُكفّر ومن تعلّمه معتقدا جوازه أو أنّه ينفعه كَفَر وكذا من اعتقد أنّ الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر، وقال الشافعيّ رحمه الله: إذا تعلّم السحر

---

(١) [الزواجر عن اقتراف الكبائر] (لابن حجر الهيثميّ) (٢/١٦٨،١٦٩) (طبع: دار الفكر).

قلنا له: صف لنا سحرك؟، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرّب إلى الكواكب السبعة وأنّها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وإن كان لا يُوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر؛ وهل يُقتل بمجرّد فعله واستعماله؟، فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعيّ وأبو حنيفة: لا.

فأمّا إن قَتَل بسحره إنسانا فإنّه يُقتل عند مالك والشافعيّ وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يُقتل حتّى يتكرّر منه ذلك أو يقرّ بذلك في حقّ شخص معيّن، وإذا قَتَل فإنّه يُقتل حدّا عندهم إلاّ الشافعيّ فإنّه قال: يُقتل والحالة هذه قصاصا.

وهل إذا تاب الساحر تُقبل توبته؟: قال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تُقبل، وقال الشافعيّ وأحمد في الرواية الأخرى: تُقبل؛ وأمّا ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة: أنّه يُقتل كما يُقتل الساحر المسلم، وقال مالك وأحمد والشافعيّ: لا يُقتل، يعني لقصّة لبيد بن الأعصم.

واختلفوا في المسلمة الساحرة، فعند أبي حنيفة: أنّها لا تُقتل ولكن تُحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل، والله أعلم» اهـ[1].

---

(١) [تفسير ابن كثير] (٢٥٨/١) بتصرّف يسير.

❋ فائدة عظيمة:

اعلمي أخيّتاه أنّ السحر علم وهو من أفعال الشياطين، وعلى هذا الأساس فلا يَتوصّل إليه إلاّ خواصّ السحرة ممّن أخلصوا عبادة الشيطان وتفانوا في حبّ الشرّ والبحث عن الضرّ!.

أما غالب ما يشتكي منه الناس اليوم فليس بسحر بل هي أمور عاديّة يفعلها المشعوذون!، يهدفون من ورائها إلى تنغيص حياة من يريدون إذايته وإدخال الهمّ والوسوسة والأرق عليه، فتقلّ شهيّته للأكل ويعمد لشرب الأدوية ... وليس به شيء حتّى يتضرّر حقيقة!.

يعمد بعضهم مثلا إلى صورة شخص فيضع فوقها شيء من الشمع ويغرس فوقها إبرة ... وهو يفعل هذا ليس استنادا إلى قواعد السحر وإنّما لعلمه بأنّ ذلك الشخص سيعتقدها سحرا!، ثمّ يضع تلك الصورة بحيث يراها المعنيّ بالأمر، فبمجرّد ما تقع عينه عليها تتغيّر حياته إلى نكد لا لأنّها سحر بل لأنّه سيعتقدها سحرًا وسيُفسّر كلّ مشاكله على هذا الأساس، رسوبه في الامتحان لم يعد بسبب كسله بل سببه السحر، وسقوطه من على السلّم ليس لهرولته بل هو بسبب السحر، نسيانها للقِدر حتّى احترقت ليس سببه الأفلام المصريّة ... بل هي بسبب السحر، وغضب زوجها ليس بسبب طول لسانها بل بسبب السحر، وهكذا يعمد هؤلاء إلى هذه الحيلة لإدخال الضرّ على غيرهم.

فعلى الأخت المسلمة أن لا تنخدع وأن لا تجعل السحر محور حياتها،

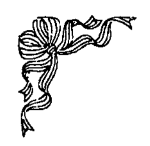
وأن تتدبّر جيّدا قوله تعالى عن السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ويكفي في إذهاب الهمّ والوسوسة الالتجاء إلى الرقية الشرعيّة.

قال ابن كثير: «أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوّذتان، وفي الحديث: [أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ يَعْنِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ](١)، وكذلك قراءة آية الكرسيّ فإنّها مطردة للشيطان»(٢).

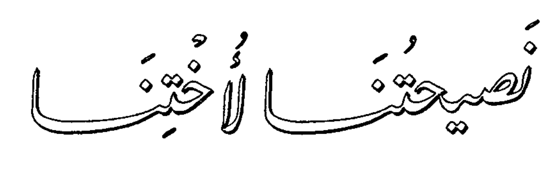


(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) [تفسير ابن كثير] (١/٢٥٩).




الفصل الثالث



نَصيحتُنا لأُختِنا العانِس




نَصيحتُنا لأُختِنـا العانِس

الصبر أوّلاً:

أنت مبتلاة بالعنوسة!، فاستقبلي البلاء بالصبر والرضا، وأكثري من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ تنالي رحمة الله تعالى وثوابه ويفرّج كربك ويحوّل حالك من حال إلى حال، امتثلي قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقد وردت أحاديث كثيرة في ثواب الاسترجاع[١] عند المصائب، من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أمّ سلمة قالت: [أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلاً فَسُرِرْتُ بِهِ، قَالَ:

---

(١) **الاسترجاع:** قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

لاَ تُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟!.

فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي، فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَقَعَدَ عَلَيْهَا، فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ!، فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ] اهـ(١).

وعن أمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أنها قالت: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا](٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه مسلم.

جاء في [التفسير المنير] للعلاّمة الزحيلي: «الاسترجاع هو إذعان[1] وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]، وقد جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين لما جمعت من المعاني المباركة، فإنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: توحيد وإقرار بالعبوديّة والملك، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: إقرار بالهلاك على أنفسنا والبعث من قبورنا واليقين أنّ مرجع الأمر كلّه لله تعالى، قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: «لم تعط هذه الكلمات نبيّا قبل نبيّنا، ولو عرفها يعقوب لما قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]».

وبشارة الصابرين إمّا بالخلف كما أخلف الله لأمّ سلمة رسول الله ﷺ، وإمّا بالثواب الجزيل، وقد أنعم الله على الصابرين المسترجعين بنعم عظمى هي المغفرة والرحمة، لأنّ الصلاة من الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إيّاه في الدنيا والآخرة، وقال الزجّاج: «الصلاة من الله عزّ وجلّ الغفران والثناء الحسن»، وقيل أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة والمغفرة، والرحمة عدل إلهي، وزاد الله الصابرين شيئا ثالثا وهو الهداية ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧]» اهـ[2].

وما أروع قوله ﷺ: [مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الْهَمّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ][3].

---

(١) إذعان: رضوخ، خضوع.

(٢) [التفسير المنير] (للزحيلي) (٢/٤٤،٤٥).

(٣) رواه البخاريّ ومسلم والترمذيّ وأحمد.

وفي [الصحيحين] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا][١].

قال العلاّمة المنبجيّ الحنبلي: «ومما يُسلّي المصاب أن يوقن نفسه على أنّ كلّ مصيبة تأتيه هي من عند الله وأنّها بقضائه وقدره وأنّه سبحانه وتعالى لم يُقدّرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذّبه وإنّما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه وشكواه إليه وابتهاله له ودعاءه، فإن وُفّق لذلك كان أمر الله قدرا مقدورا وإن حُرِم ذلك كان ذلك خُسرانا مبينا».

وقال أبو الفرج ابن الجوزيّ: «علاج المصائب بسبعة أشياء:

الأوّل : أن يعلم بأنّ الدنيا دار ابتلاء والكرب لا يرجى منه راحة.

الثاني : أن يعلم أنّ المصيبة ثابتة.

الثالث : أن يقدّر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

الرابع : النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإنّ التأسّي راحة عظيمة.

الخامس : النظر في حال من ابتلي أكثر من هذا البلاء فيهون عليه هذا.

السادس : رجاء الخلف إن كان من مضى يصحّ عنه الخلف كالولد والزوجة.

(١) رواه البخاريّ ومسلم والترمذيّ وأحمد ومالك.

السابع : طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم فإن ترقّى إلى مقام الرضى فهو الغاية» اهـ[1].

وألحق العلاّمة المنبجيّ الحنبليّ بهذه السبع ما يلي:

الثامن : أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خيرٌ له.
التاسع : أن يعلم أنّ تشديد البلاء يخصّ الأخيار.
العاشر : أن يعلم أنّه مملوك وليس للمملوك في نفسه شيء.
الحادي عشر : أنّ هذا الواقع وقَعَ برضى المالك فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به السيّد.
الثاني عشر : معاتبة النفس عند الجزع أنّ هذا الأمر لا بدّ منه، فما وجه الجزع ممّا لا بدّ منه؟.
الثالث عشر : إنّما هي ساعة فكأن لم تكن.

فاصبري أُختيتاه على ما أصابك من بلوى التعنيس، واصبري أكثر على هذا المجتمع الجاهل الذي يرميك يوميًا بنظرات العار ويقذفك بعبارات العيب ... اصبري فإنّ موعدك الجنة!.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى:

---

(١) [تسلية أهل المصائب] (ص:٢٩، ٣٠).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد ﷺ]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ (الآية) [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

ولإن صبرت أُخيتاه واسترجعت وحمدت الله على ما قسمه ورضيت بقضائه فأنت في كلّ هذا مقتدية بأنبياء الله تعالى الذين أُوذوا وشرّدوا وعذّبوا فصبروا!، فنبيّ الله إبراهيم يُكابد النار ويؤمر بذبح ولده، ونبيّ الله يعقوب يبكي على يوسف حتّى ذهب بصره، ونبيّ الله موسى يقاسي المحن من فرعون وقومه، وعيسى عليه السلام يُبتلى بتأليه النصارى له، ونبيّنا ﷺ يُصابر الفقر وإذاية قومه ويتمه وموت عمّه وقتل عمّه حمزة وموت ولده إبراهيم.

بل أنت أُخيتاه في صبرك متخلّقة بأخلاق من لا يغفل ولا ينام، فمن أسمائه تعالى الصبور، قال سيّدنا وحبيبنا وقدوتنا وقائدنا محمد ﷺ: [مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ][1].

وهذا الحديث العظيم يهوّن عليك ما تسمعينه من أهلك وجيرانك ويُسلّيك، فارتاحي أُخيتاه ولا داع لحب المجتمع لك ما دام أنّ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

وهذا المعنى هو الذي أشارت إليه أُمّك الصالحة (رابعة العدويّة)

(١) رواه البخاريّ ومسلم.

في أبياتها الخالدة تخاطب ربّها:

«فليتَكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك تَرضَى والأنامُ غِضابُ
وليت الذي بيني وبينك عَامِرٌ ... وبيني وبين العالمين خَرابُ
إذا صَحَّ منك الوُدُّ فالكلُّ هَيّنٌ ... وكلّ الذي فوق الترابِ تُرابُ»

الصوم ثانيا:

ننصحك أُختاه بالصوم فإنّه يُضعف الشهوة ويخمدها، وقد أرشد رسول الله ﷺ الشباب العاجز عن مؤنة الزواج بالصوم لمّا قال: [يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ](1).

قال العلاّمة ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «واستدلّ به الخطابيّ على جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية، وحكاه البغوي في [شرح السنّة]، وينبغي أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دون ما يقطعها أصالة»(2).

وقال الشوكانيّ: «والإرشاد إلى الصوم فيه من الجوع والامتناع عن مثيرات الشهوة ومستدعيات طغيانها»(3) اهـ.

وقال العلاّمة البغويّ في شرحه: «وفي الحديث دليل على أنّ من لا

---

(١) رواه البخاريّ ومسلم.

(٢) [فتح الباري] (للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانيّ) (٩/١١١).

(٣) [نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار] (للإمام الشوكانيّ) (٣/٢٢٩).

يجد أهبة النكاح يجوز له المعالجة لقطع الباءة بالأدوية لأمر النبيّ ﷺ بالمعالجة لقطعها بالصوم»[١] اهـ.

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان في [المفصّل]: «قد يُقال: إنّ الحديث يُخاطب الشباب لأنّ في أوّله: [يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ]، ومعنى ذلك أنّ أحكامه تخصّ الشباب ولا تخصّ النساء، فكيف نحتجّ به ونسحب حكمه على النساء؟!.

والجواب: أنّ الأصل في الخطابات الشرعيّة وما فيها من أحكام أنّها تشمل جميع المكلّفين من الرجال والنساء ولا تختصّ بأحد الصنفين إلاّ بدليل يدلّ على هذا الاختصاص، ولا دليل هنا يدلّ على أنّ أحكام هذا الحديث تخصّ الذكور دون الإناث، وأيضا فإنّ الأحكام تُناط بعللها، وعلّة الأخذ بالصوم هو لإضعاف الشهوة ولمنعها من الجموح بصاحبها والانحراف بها إلى الفاحشة، وهذا المعنى كما هو ملاحظ في الرجل ملاحظ في المرأة أيضا، وكما أنّ الشرع يُريد حماية الرجل وصيانته من الزنى عن طريق إضعاف شهوته وضبطها بالصوم يُريد أيضا حماية المرأة وصيانتها من الزنى عن طريق إضعاف شهوتها وضبطها بالصوم، وأيضا فإنّ المرأة كالرجل مُكلّفة بالابتعاد عن الزنى ممّا شرعه الإسلام وأرشد إليه الرسول ﷺ من سبل الوقاية من الزنى ومنها الصوم يُشرع أيضا للمرأة.

وعلى هذا إذا وجدت العلّة أو المعنى الذي من أجله أوصى

---

(١) [شرح السنّة] (للإمام البغويّ) (تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط) (٦/٩) (طبع: المكتب الإسلاميّ).

رسول الله ﷺ بالصوم فإنّ هذا الصوم يلزم الأخذ به سواء وُجدت العلّة أو المعنى في الرجل أو في المرأة بل في الشيخ أو الكبيرة السنّ لأنّ المنظور إليه في ترتّب الأحكام هو وجود عللها فبهذه العلل تُناط وتُثبت.

وقد نبّه إلى هذا المعنى الإمام ابن حجر العسقلانيّ رحمه الله تعالى بالنسبة إلى الشيوخ إذا وُجدت فيهم الشهوة إلى الوطء وخيف عليهم من الوقوع في الزنى بسبب هذه الشهوة، فقال رحمه الله وهو يشرح حديث [يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ]، قال ابن حجر: «خصّ الشباب بالخطاب لأنّ الغالب وجود قوّة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبرا إذا وُجد السبب في الكهول والشيوخ أيضا»(١).

وقياسا على قول ابن حجر هذا نقول أيضا: وإنّ المعنى أي الشهوة الداعية إلى النكاح معتبر أيضا في النساء، فإذا وُجد فيهنّ وجب عليهنّ الصوم» اهـ(٢).

هذا هو منهج الإسلام في علاج مشكل الإثارة الجنسيّة، منهج عمليّ بسيط مضمون النتائج عذب المذاق، يرشدنا رسول الله ﷺ إلى الصوم لأنّ الغذاء هو وقود الشهوة، فإذا ما صامت المرأة انطفأت أو قلّت شهوتها فتتّزن شخصيّتها وتتوازن نفسيتها وتقوى أكثر على استعمال عقلها.

والصوم كما هو معلوم لا يُشترى من الصيدليات أو يُسلّم بعد جهد من

(١) [صحيح البخاريّ بشرح العسقلانيّ] (١٠٨/٩).

(٢) [المفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلاميّة] (للدكتور عبد الكريم زيدان) (٣٧/٦، ٣٨).

البلديّات أو يحتاج للحصول عليه إلى قرض من البنوك والمؤسّسات ...!، لكي تصوم يكفي أن تريد فقط، أوَلم يتّفق علماء الطبّ والصيدلة أنّ الشرط الأساسيّ للعلاج هو إرادة الشفاء؟!.

ما أعظمك يا سيّدي يا رسول الله، هكذا تستطيع الغنيّة والفقيرة أن تعالج لأنّ الصوم في متناول الجميع.

الإسلام لا ينشر المثيرات في كلّ مكان ثمّ يحمل عصى التهديد للغاوين لا أبدا!.

ونؤكّد في هذه النصيحة على مختلف المؤسّسات الرسميّة أن تلتفت لأهمّيّة الصوم خاصّة وزارات الصحّة في مختلف الدول العربيّة حيث يرشدون الشباب والشابّات إلى عشرات الطرق (المشروعة وغير المشروعة) حتّى لا يلتهمهم فيروس السيدا، ينصحونهم مثلا باستعمال الواقي والحبوب وممارسة الجنس مع شريك واحد ...!، وهذه الإرشادات إلى جانب كونها في الواقع لم تؤدّ إلى أيّ نتيجة تُذكر مخالفة للشريعة الإسلاميّة.

ثالثا: العفّة

العنوسة لا تُبرّر الزنى ... فليس للحرام مبرّرات!.

ولإن فقدتِ الزوج فلا تفقدي عفافك الذي هو رأس مالك وكنزك الذي لا يفنى.

تأكّدي أنّ الزوج لن يدخلك الجنّة لكن تخلّيك عن عفافك يدخلك

النار حتما.

اعلمي أُخيتاه أنّ الزنى من أكبر الكبائر عند الله تعالى، وقد توعّد الله مرتكبه بمضاعفة العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

بل إنّ الله سبحانه وتعالى حرّم حتّى القرب من الزنى الذي يشمل مصافحة الأجنبيّ والخلوة وترقيق الكلام واللباس الفاضح والنظرة المسمومة والمشية المائلة المميلة والأفلام الخليعة والمجلاّت الفاسقة ....، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، تدبّري معي أُخيتاه قوله تعالى: ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

وأنت في عفافك تطبّقين قول ربّك: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣].

اُخطبي لنفسك رابعا:

يجوز للمرأة أن تخطب لنفسها من تتوسّم فيه الصلاح، ولا عيب في ذلك ولا قلّة مروءة.

وقديما خطبت أُمّك خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي من هي مالا وجاها وشرفا ونسبا سيّدنا رسول الله ﷺ، ولم تر في خطبته لنفسها

حرجا ولا عيبا، ولم ير رسول الله ﷺ في ذلك ما يخدش حياءه أو يعرض بكرامته، والمجتمع آنذاك مجتمع جاهليّ!.

كانت خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه، فلمّا بلغها عن رسول الله صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليَخرُج في مالها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره ومعه غلامها ميسرة، وقد قبل محمد ﷺ هذا العرض ورحل إلى الشام عاملا في مال السيّدة التي اختارته، ويظهر أنّ التوفيق حالفه في هذه الرحلة أكثر من سابقتها مع عمّه أبي طالب فكان ربحها أجزل، وسرّت خديجة بهذا الخير الذي أحرزته ولكن إعجابها بالرجل الذي اختبرته كان أعمق.

إنّها امرأة عريقة النسب ممدودة الثروة وقد عُرِفت بالحزم والعقل، ومثلها مطمح لسادة قريش لولا أنّ السيّدة كانت تحقر في كثير من الرجال أنّهم طلاّب مال لا طلاّب نفوس وأنّ أبصارهم ترنوا إليها بغية الإفادة من ثرائها وإن كان الزواج عنوان هذا الطمع. لكنّها عندما عرفت محمدا عليه الصلاة والسلام وجدت ضربا آخر من الرجال، وجدت رجلا لا تستهويه ولا تدنيه حاجة، ولعلّها عندما حاسبت غيره في تجارتها وجدت الشحّ والاحتيال، أمّا محمد ﷺ فقد رأت رجلا توقفه كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز فما تطلّع إلى مالها ولا إلى جمالها، لقد أدّى ما عليه ثمّ انصرف راضيا مرضيا.

ووجدت خديجة رضي الله عنها ضالّتها المنشودة، فحدّثت بما في نفسها

إلى صديقتها نفيسة بنت منبّه وهذه ذهبت إلى محمد عليه الصلاة والسلام تفاتحه أن يتزوّج من خديجة، فلم يُبطئ من إعلان قبوله ثمّ كلّم أعمامه في ذلك، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عمّ خديجة عمرو بن أسد إذ أنّ أباها مات في حرب الفجّار وخطبوا إليه ابنة أخيه وساقوا إليها الصداق عشرين بكرة، ووقف أبو طالب يخطب في حفل الزواج قائلا: «إنّ محمدا لا يوزن به فتى من قريش إلاّ رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا، وإن كان في المال قلاّ فإنّما المال ظلّ زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك»، فكان جواب وليّ خديجة عمّها عمرو: «هو الفحل الذي لا يقدع أنفه»، وأنكحها منه.

كان محمد عليه الصلاة والسلام في الخامسة والعشرين عندما تزوّج خديجة وكانت هي قد ناهزت الأربعين!، وظلّ هذا الزواج قائما حتّى ماتت خديجة عن خمسة وستين عاما كانت طوالها محلّ الكرامة والإعزاز، وقد أنجب رسول الله ﷺ أولاده جميعا منها ما عدا إبراهيم(١).

ومن تناقضات هذه المجتمعات الجاهلة أنّهم لا يرون العيب في كثير من الأمور التي هي في حكم المنطق والشرع من الآفات لكنّهم يرون العيب في قضايا حكمت الشريعة الغرّاء بجوازها وربّما باستحبابها.

ماذا لو قامت امرأة اليوم وعرضت نفسها على إمام المسجد؟، أو كيف ينظر الناس إلى امرأة تنادي على إمام يوم الجمعة على الملأ طالبة تزويجها ممّن يحب؟، الأكيد أنّ نظرات الناس ستتّجه إمّا في اتّجاه الشفقة

---

(١) [فقه السيرة] (للشيخ محمد الغزاليّ) (ص:٧٨-٨٠) بتصرّف.

على عقلها لجنونها أو في اتّجاه الشفقة على أخلاقها لفسقها!.

ما أجهل الناس لحقائق الإسلام وحقائق الحياة. ولنقرأ معا بعض عناوين البخاريّ في باب النكاح باب: هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد؟، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، نعم عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير هذا هو التفتّح والعصرنة في أعلى صورها، تفتّح على الخير وأسلمة العصر.

وإنّي لأتساءل!، هل نحن وآباؤنا أشدّ غيرة على بناتنا من عمر بن الخطّاب ﷺ؟، لا أبدا!، ولكن عمر الذي تفتّح عقله لمعاني الإسلام الصحيحة لا يرى غضاضة أن يعرض ابنته حفصة على عثمان بن عفّان بل وأن يُكرّر له العرض، ثمّ لا يخدش كرامته أن يعرضها بعده على أبي بكر الصديق، وقد وردت الواقعة مفصّلة في [صحيح البخاريّ]، فعن سالم بن عبد الله: [أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ

اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا](١).

وقد استنبط ابن حجر من الحديث فوائد جمّة قال: «وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه وأنّه لا استحياء في ذلك، وفيه أنّه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوّجا لأنّ أبا بكر كان حينئذ متزوّجا» اهـ(٢).

لا تُصدّقي الثعابين البشريّة خامسا:

اعتقد كثير من الشباب (الطائش) أنّ العانس فريسة سهلة، فهي في تصوّرهم كمن ملّ الوقوف فعَرَضَ عليه عَارِضٌ كرسيّه ليستريح، فهل يُمانع؟، وهل يملك أن يرفض؟.

كذلك العانس ملّت انتظار الزوج، فبمجرّد ما يعرض عليها تُعبان أُلعبان تافه الزواج تستجيب وتخضع!، فهي تخشى فوات هذه الفرصة التي قد لا تُعوّض، ومن هنا وجب الحذر!.

لا تُصدّقي أُخيّتاه من يعدك بالزواج خاصّة إن رافق وعده طلب الخروج سويّا والتفسّح والخلوة والتعارف أكثر حتّى ترتفع العُقد كما يقولون!، وانظُري إلى الأمر لا من زاوية عقلك فقد يكون عقلك مخدّرا بمعسول الكلام

(١) رواه البخاريّ.

(٢) [فتح الباري] (١٧٨/٩).

ولا بمنظار عاطفتك فهي تحت ضغط الحاجة إلى الارتباط ولكن انظري إلى الأمر بمنظار الشرع والشرع وحده.

والشريعة الإسلاميّة كانت واضحة وضوح الشمس في أمر التفسح والخلوة، قال رسول الله ﷺ: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ](١).

«وقد أباح الشرع التعرّف على المخطوبة من ناحيتين فقط:

الأولى: عن طريق إرسال امرأة يثق الخاطب بها تنظر إليها وتخبره بصفتها، فقد روى أنس: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ تَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ فَقَالَ: شُمِّي عَوَارِضَهَا وَانْظُرِي إِلَى عُرْقُوبِهَا](٢)، والعوارض: الأسنان التي في عرض الفم وهي ما بين الثنايا والأضراس، والمراد اختبار رائحة النكهة، وأمّا المعاطف: فهي ناحيتا العنق، والعرقوب: عصب غليظ فوق العقب، والنظر إلى العرقوب لمعرفة الذمامة والجمال في الرجلين، وللمرأة أن تفعل مثل ذلك بإرسال رجل فلها أن تنظر إلى خطيبها فإنّه يعجبها منه ما يعجبه منها.

الثانية: النظر مباشرة من الخاطب للمخطوبة للتعرّف على حالة الجمال وخصوبة البدن، فينظر إلى الوجه والكفّين والقامة، إذ يدلّ الوجه على الجمال، والكفّان على الخصوبة والنحافة، والقامة على الطول والقصر.

---

(١) رواه أحمد عن جابر، وفي معناه حديث متّفق عليه عن ابن عبّاس. [نيل الأوطار] (٦/١١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي، وفيه كلام، واستنكره أحمد والمشهور أنّه مرسل. [سبل السلام] (٣/١١٣)، [نيل الأوطار] (٦/١١٠).

وقد دلّ الشرع على جواز رؤية من يريد الرجل خطبتها، روى جابر عن رسول الله ﷺ قال: [إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ، قَالَ: فَخَطَبْتُ جَارِيَةً مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَكُنْتُ أَخْتَبِئُ لَهَا تَحْتَ الْكَرَبِ حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا بَعْضَ مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا فَتَزَوَّجْتُهَا][1]، وعن المغيرة بن شعبة: [أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا[2]][3].

فقد أرشد النبيّ المغيرة إلى رؤية خطيبته قبل الخطبة لما في النظر من فائدة هي صلاح حال الزوجين وتحقيق الألفة والمودّة بينهما» اهـ[4].

تذكّري دائما الفرق بين من يرغب في الزواج وبين من يبحث عن المتعة المجانيـة!، الأوّل يخطبك من أهلك تحت ضوء الشمس بحضور أهله أو علمهم وينظر إليك أمام محارمك أو يستغفلك ولا قصد له من وراء ذلك إلاّ الزواج والإحصان والعفاف، لا يطلب منك أبدا الخروج إلى الفلوات والخلوات لما ركب فيه من رجولة تأبى عليه تدنيس شريكة حياته بنجاسة تلك الأماكن!، ثمّ هو لا يَعدك إلاّ بالوفاء والحفاظ عليك، لا يبني لك الأبراج العاجية ....، أمّا الثاني وبما أنّ غرضه المتعة فقط فلا يستغني أبدا

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود ورجاله ثقاة وصحّحه الحاكم. [سبل السلام] (٣/١١٢،١١٣).

(٢) قوله ﷺ: [أحرى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا]: أي أحرى أن تَدُومَ المَوَدَّة بينكُما.

(٣) رواه الخمسة (أحمد وأصحاب السنن الأربعة). [نيل الأوطار] (٦/١٠٩) وما بعدها، [سبل السلام] (٣/١١٣).

(٤) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته] (٧/٢٢،٢٣).

عن طلب الخروج معك مستعملا شتّى المبرّرات مثل أن يعرفك على حقيقتك أو حتّى تتقارب أفكاركما ....، فهو لا يغريه منك إلاّ جانب الجسد!، ويختار من الأماكن كلّها على شساعة المعمورة ما كان خاليا موحشا كالقفار والغابات والحدائق الكثيفة ....، يعدك بالزواج لما يعلمه من تشوّقك له ويتّخذه طعمة لاصطيادك، يعدك بالعطف والحنان والإخلاص، يمنّيك باسم الحب!، ويقسم بأغلظ الأيمان أنّه لن يتخلّى عنك أبدا وكيف يتخلّى عن قلبه النابض؟، فأنت له الهواء الذي يتنفّسه والماء الذي يشربه أنت الأمل والحلم ....، وتذوبين في كأس الخديعة ذوبان السكّر في الماء، فإن رأى منك ذلك زاد في إسماعك ما تحبّين فالمرأة غالبا تحب بسمعها.

حتّى إذا صدّقت قال لك أنّه لا يمكنه الحياة دونك وأنّه سينتحر لو رفضت حبّه!، فتسلّمينه نفسك قائلة: ولِمَ الامتناع وسيصير زوجي بعد أيّام؟!، فيلهو فوق جسدك ما شاء له هواه ويغرس بداخله كلّ أنواع الرذيلة والشذوذ ....

وتمرّ الأيّام تتوالى مسرعة ولا يدقّ باب بيتكم، وتنتظرين الطارق مسلّية نفسك بأنّ الحبيب ما تأخّر إلاّ لأجل تحضير متطلّبات الخطبة، وبينما أنت في انتظار دقّات الباب ... تتحرّك الحياة في أحشائك فتسرعين أنت إلى بابه تخبرينه بما في بطنك ترجّينه القدوم لطلب يدك تقبّلين رجليه متوسّلة له أن يسترك قبل ظهور الفضيحة ... فيتنكّر لك وينكر أنّ ما في أحشائك منه ويقذفك في غيابات اللاّ معقول حين يقول لك: «أنت ساقطة فاسقة ... ما الذي يُطمئنني أنّك لم تزن مع غيري؟!، لو كنت عفيفة صالحة ما سلّمتني أعزّ ما تملكين بتلك السهولة!»، في هذه اللحظة تقفين وحدك تجاه المجهول،

تعودين إلى بيتك تجرّين رجليك والخيبة والصدمة كبيرة والفاجعة خطيرة، وكلّ هذا وأحشاؤك دائما تنمو وتنتفخ وتُغلق أبواب الأمل في وجهك!.

أُشاهدك الآن ذليلة كئيبة ذابلة تعضّين أنامل الندم والحسرة، لا تجدين أمامك إلاّ التخلّص من الجنين البريء أو الانتحار أو الفرار.

وأنت تُفكّرين في الحلّ يمرّ بذهنك شريط حياتك وكيف كنت بنتا شريفة عفيفة قرّة عين والديك وإخوتك، تتذكّرين يوم أن وضع والدك على رأسك تاج الثقة لمّا أذن لك في مواصلة دراستك الجامعيّة ...، وتتذكّرين نصيحة والدتك العجوز وكيف كنت تستهزئين بنصائحها وتُضحكين صديقاتك عليها فهي في تصوّرك أُمّيّة متخلّفة لا تفهم في قضايا الحب شيئا!.

هذه أُختيّاه غالبا نتيجة تَصدِيق الثعابين البشريّة، وما ذكرته لك ليس من نسج الخيال فلو شئت الاستشهاد على ذلك بآلاف القصص الواقعيّة التي تصلنا من خلال المراسلات أو التي تنشرها المجلاّت والجرائد يوميّا، ونادرا ما يختلف سيناريو الأحداث، والسبب أنّ أساليب الشيطان في غواية العباد واحدة فهو يغيّر الممثلين لكن المسرحيّة دائما نفسها!.

إلاّ أنّنا نكتفي بذكر الأمثلة التالية التي ذاقت صويحباتها المرارة نتيجة استهتارهنّ بالدين وتصديقهنّ للثعابين، وهنّ الآن كما ذكرنا تائبات قانتات يُقدّمن لكِ النصيحة حتّى لا تسقطي سقطتهنّ.

تعترف (نعيمة) (٢١ سنة) فتقول: «كنت طالبة جامعيّة بكلّيّة الحقوق، قدمتُ من إحدى مدن الجنوب الجزائريّ حيث حصلت على

شهادة البكالوريا، فعارض أهلي من أعمامي وأخوالي وإخوتي الذكور ذهابي إلى الجامعة لكنّ أبي تصدّى لهم جميعا وقال لهم أنه يثق فيّ ولهذا سيرسلني إلى الجامعة، جهّزت نفسي ورحلت صوب العاصمة.

كنت فتاة محتشمة مؤدّبة، وضعت نصب عيني هدفا واحدا هو دراستي والنجاح فيها وإسعاد أبي وتحقيق هدفه وأن أكون محامية، وحقّقت نتائج مشرّفة في سنواتي الثلاث الأولى.

ومع بداية عامي الرابع تعرّفتُ على شاب يدرس معي، كان محطّ أنظار كلّ الفتيات وكان يتلاعب بهنّ كما يشاء وكان يُلاحقني بين الحين والآخر ويتغزّل بي ويقول لي أنّه يعشق السمراوات إلى حدّ كبير.

دافعته جهدي حتّى عييتُ، ولكنّني في الأخير سقطتُ بين يديه سقوط الطفل الصغير بين يدي الجبّار الكبير!، وتمكّن منّي بكلامه المعسول، وكان يزورني كثيرا أمام باب الحيّ الجامعيّ في المساء ثمّ في الليل!.

ثمّ بدأت علاقتنا تتّسع نحو آفاق أُخرى حيثُ كان يملك (أستوديو) رفقة صديقه، وبدأنا نقضي فيه الليالي الطوال، وتحوّلت العلاقة إلى علاقة زوج وزوجة بلا عقد شرعيّ!. بعد شهرين انقطعت عنّي العادة الشهريّة وتيقّنتُ (أنّ الفاس وقعت في الراس).

رجوته أن يتزوّجني فقد سرق منّي عفّتي فأصبحتُ ذليلة النفس حزينة القلب أستثقل الحياة وأستبطئ الأجل، وأيّ لذّة في العيش لامرأة لا تستطيع أن تكون زوجة لرجل ولا أُمّا لولد؟!، بل لا أستطيع حتّى أن

أعيش في مجتمع إلاّ وأنا خافضة الرأس مسبلة جفني واضعة خدّي على كفّي ترتعد أوصالي وتذوب أحشائي خوفا من عبث العابثين وتهكّم المتهكّمين.

رجوته وقبّلتُ رجليه ....، ووافق على الزواج منّي بشرط أن أدفع له ٥٠ ألف دينار جزائريّ!، فتدبّرتُ أمر هذا المبلغ، وخطبني من أهلي وتمت مراسيم الاستعداد للزفاف في أقرب وقت، وهكذا تمّ الزواج ودخلتُ عروسا إلى دار أهل زوجي وكنتُ سعيدة جدّا وأحببته أكثر لأنّني رأيته رجلا شهما.

لكن ... كانت تنتظرني مفاجأة غير سارّة! -وهنا أغرورقت عيناها بالدموع وراحت تشدّ شعرها تريد تمزيقه-، وسط أهلي وأهله وليلة دخلتي فضحني وقال للجميع: «لن أتزوّج امرأة مجرمة ساقطة لن أتزوّج امرأة حاملا!»، وراح يضربني ويركلني وهو يعلم أنّه المجرم الساقط وما هذه الجريمة ولا تلك السقطة إلاّ صنعة يده وجريرة نفسه ولولاه ما كنتُ مُجرمة ولا ساقطة، كذب عليّ في دعواه أنّه يُحبّني وما كان يُحبّ إلاّ نفسه!، وكلّ ما في الأمر أنّه رآني السبيل إلى إرضائها فمرّ بي في طريقه إليها ولولا ذلك ما طرق لي بابا ولا رأيتُ له وجها.

فضحني بعدما وثقتُ فيه وأنّه سيسترني وسرق شرفي، ويشهد الله أنّني ما عرفتُ رجلا آخر غيره، وسرق مالي ومجوهراتي وفضحني ليلة دخلتي ورماني في الشارع بعدما حاول أهلي قتلي، همتُ على وجهي وبين جنباتي نار تضطرم وجنين يضرب.

ومع مُضايقات الناس في الشارع وكثرة الذئاب وجدت نفسي هنا

محرومة من ولدي الذي احتفظوا به في المستشفى وأنا هنا للعلاج، وكم مرّة حاولتُ الانتحار لأنني لم أعد أفقه معنى لوجودي، وبعدما تنتهي مدّة العلاج سأهيم على وجهي مرّة أخرى إلى أن يلتقطني الموت، أمّا ذلك الرجل فالله وكيله والله يمهل ولا يُهمل ....، ورجاءً دعوني»[1].

وتعترف إحدى التائبات تحت عنوان:

ثـمرة العلاقة غير الشرعيّة واللـذّة والجنون ! :

«عرفته عام ١٩٨٥ بمدينة الورود، كان لا بدّ أن أعرفه بحكم الزمن أو الظروف أو الطبيعة الإنسانيّة، كان رجلا مهذّب اللسان موظّفا رزينا هادئا ذكيّا، يوحي للأنثى بالرجولة وما معناها بالسلطة والهيبة، فوجدتُ فيه الرجل الذي يؤمّن الحماية ... فتعلّقتُ به أيّما تعلّق.

لم أكن لأمنعه جسدي وأعزّ ما تملك المرأة، ولم أكن لأُمانع من زيارة المراقص علب الليل وفنادق بعدَ النجوم، أقصد كذلك السهر والليالي الحمراء التي كان فيها كلّ الشقاء، كنّا لا نبحث سوى عن اللـذّة والهروب بأقصى سرعة إلى المتعة والرقص وكلّ الرخاء، لم يكن ينقصه مال، ولم أكن تنقصني فتنة وجمال!.

طفولتي كانت مؤلمة، فقد حُرمتُ حنان الوالدة في وقت كنت في أمسّ الحاجة إليه، حُرمتُ من اللعب والمرح ككلّ الأطفال الأبرياء، أُسرتي مشتّتة، وضعيّتي مُزرية، وكلّها أسباب وعوامل تراكمت لتفقدني توازني وتدفعني لأن

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:١٦٣).

أقع فيما وقعتُ فيه ولا شيء غير ذلك، وحدث أن حملتُ منه!.

ولـم يكـن ليعيش لأنّ أبـاه تحـوّل إلى رجـل مؤمـن بـالنظم والدساتير والعقائد التي داس عليها قبل حين!.

الـواقع أنّي لـم أكـن أعـرف مـا هـو الحـب ومـا معنى أن تتعلّـق المـرأة بالرجل!، ذلك لأنّه إذا تعلّقت به وأحبته فإنّي أفعل كلّ شيء ولا قيمة لشيء سواه، فهو مصدر أفراحي زينتي ألواني وأحزاني.

وطبيعيّ جدا في مثل علاقتي المشبوهة أن ينتفخ بطني ويسوء ظنّي ويبدأ الجنين ينمو ويكبر والأسى والألـم والعـار يتضاعف، نقلتُ له الخبر الذي لـم يكـن كباقي الأخبار، اضطرب وتصنّع الهدوء، ماذا عساه يفعـل وهو متزوّج ولـه ابنـة كلّها براءة؟!، ومـاذا أفعـل أنا بجنيني الـذي كـان ثمـرة العلاقة غير الشرعيّة واللذّة والجنون؟!.

كم هي قاسية هذه الحياة التي تخدعنا بالزينة بالمظاهر والقشور، حياة كلّهـا نفـاق وشقـاق لا وفـاق ولا أمـل في السعـادة والهنـاء، هـل المـراقص و(الكباريهات) والخمرة هي كلّ الحياة؟!، من دون شكّ لا وألف لا!.

ومـاذا تنتظرون وقد كـانت الـدار خالية من الأب والأمّ والأخ الفقير أقصد في الأخلاق والتربية والعقيدة؟!.

وبسبب الجريمـة جريمـة رفض العشيق تبنّي طفله الجنين وتصحيح خطئه قبـل فوات الوقت خامرتني فكرة الانتحار ثمّ فكرة الانتقام منـه بقتله وتمزيقه، ثمّ فضّلت الإجهاض!.

سيّدي الرجل: أين قوّتك أين حكمتك أين عقيدتك؟!، وأين أين رسالتك؟!، أين إخلاصك وثقافتك العالية وعصرنتك الغالية؟!.

إنّ المرأة دون حشمة وكرامة مثل الوردة اليانعة التي تنبت في القمامة ولا ينفعها جمالها لتسقط حتما في القمامة!.

ثمّ أطرح هذا السؤال على السادة الرجال: أين هو ذلك الرجل الذي ينظر إلى جسد الحسناء فينسى الجمال واللذة ويرى فيها الرحمة؟!.

بهذا أكتفي، عساني قلت كلمة وأريد أن أسمع منكم كلمة، وأنا الآن زوجة مُكرّمة مؤمنة قنوعة تائبة وهي أُمنيّة أتمنّاها أيضا لكلّ النساء، أنتظر منكم فقط الدعاء بأن يقبل الله توبتي، وأرجو أن لا يُكرّر القرّاء ما أقدمتُ عليه أنا وليعتبروا من قصّتي التي قرّرتُ نشرها من أجل أن يعتبر منها الجميع ولا شيء غير ذلك. (ح.ع.) من ولاية (البليدة) الجزائر»[1].

وتقول (ف) من (شرشال): «عرفته منذ خمس سنوات بمدينتي (تيبازة)، كان لا بدّ أن أعرفه بحكم الطبيعة الإنسانيّة، إنسان هادئ رزين مُهذّب موظّف رسميّ يوحي بالرجولة، فوجدتُ فيه الرجل الذي يؤمّن الحماية فتعلّقتُ به أيّما تعلّق لا لماله ولا لجماله إذ لم يكن غنيا أو جميلا ولكن لحنانه وعطفه وحبّه لي!.

كانت علاقتنا في بداية الأمر لا تتعدّى حدود الرسائل، وبعد سنة تطوّرت الاتصالات عبر المكالمات الهاتفيّة، وبعد ستّة أشهر أخرى بدأت

(١) جريدة [الشروق] (العدد:١٥١).

اللقاءات قرب باب المدرسة التي كنت أدرس فيها، وكان يبدو لي حنونا إلى درجة تبعث على الاطمئنان.

طفولتي قضيتها وسط عائلة فقيرة لكنّها محافظة وشريفة، الأبوان لا مثيل لهما والإخوة لا يُعوّضون بكنوز الدنيا، لكنّني لم أجد الحنان الكافي لكثرة الأطفال فوجدته لدى الحبيب!.

دامت العلاقة مدّة طويلة وازدادت ثقتي به لأنّه لم يُحاول ولو مرّة لمس يدي، لكنّه طلب منّي ذات يوم أن أذهب معه لزيارة صديقه بمنزله، بدأت الشكوك تنتابني فطلبت في منتصف الطريق أن نعود من حيث أتينا فرفض!، ودخلنا منزل صديقه الذي يبدو أنّه تواطأ معه فانسحب ليتركنا وحيدين!.

هنا تحوّل الحبيب من خروف وديع إلى ذئب شرس!، حاولت أن أُعيده إلى صوابه دون جدوى، لقد أحكم التنفيذ كما أحكم التخطيط، ونفّذ جريمته ونال منّي ما كان يُريد، طلبتُ منه أن يُصحح خطأه ويتزوّجني فرفض وخطب ابنة خالته!.

وبعد شهرين من الحادث اكتشفت أنّني حامل منه!، نقلتُ له الخبر فقال لي بصوت مُتهدّج لا مبال: «افعلي ما تريدين فأنا لم يعد يهمّني شيء بعد الآن ...»، توسّلتُ إليه باكية لكن تحوّل من الحبيب الحنون إلى وحش قاس لا رحمة لديه ولا إحساس، ماذا أفعل أنا بعد أن ينتفخ بطني؟!.

فكّرتُ في قتله والتخلّص منه، ثمّ في الانتحار، ثمّ فكّرت في الإجهاض لكن خوفي من عقاب الله على قتل نفس بغير نفس جعلني أقرّر أن يعيش

ابني مهما كان الثمن الذي سأدفعه.

أخذتُ حقيبة ملابسي من المنزل بعد أن كتبتُ ورقة لأمّي وتركتها على سريري وخرجتُ من المنزل لا أعرف إلى أين أتّجه ذات صباح باكر!، ركبتُ الحافلة ولحسن حظّي ولدعوات الخير التي كنت أتلقّاها من والدي والناس وجدتُ عجوزا قدّرت ظروفي وأخذتني معها إلى بيتها، حتّى وضعتُ ابني في سبتمبر ١٩٩٣ بالبليدة وتركته هناك بعد أن رفض أبوه تسجيله وإعطاءه لقبه العائليّ!. عدتُ إلى منزلنا بعد أن غفرت لي أُمّي. لكنّ أبي أقسم على أن لا يرى وجهي ما دام حيّا يُرزق ... إنّني أُقدّر موقفه.

أتساءل الآن: هل يُسامحني ابني على فعلتي ويُقدّر موقفي وظروفي التي دفعتني لتركه في المستشفى؟!، تمنّيتُ لو كان إلى جانبي أحضنه وأسهر عليه وأعطيه حناني حتّى لا يشبّ محروما منه، لكن ما باليد حيلة، ربّما ساعدتني الظروف على استعادته يوما فهذه الفكرة لا تزال تراودني.

أدعو الله أن يقبل توبتي وأن يغفر لي ما اقترفته في حقّ ابني الذي لم أسعد به كالأمّهات وأن يغفر لي ما ارتكبته في حقّ عائلتي.

وأقول للذي حطّمني ورمى بابنه دون اسم في مجتمع لا يرحم إنّ الله يمهل ولا يهمل فهو خير منتقم وكما تدين تدان، كم أبكيتني وحرمتني من الفرحة ومن ابني البريء الذي سوف يبكي يوما على فقدان حناني وقد يبحث عنّي وعن أبيه لمعرفة أصله ...»[1].

---

(١) جريدة [الشروق] (العدد:١٥٦).

تخلّي عن حواجزك الفكريّة سادسا:

عليك أُختياه أن تتخلّي عن حواجزك الفكريّة، فكثيرا ما وقفت الحواجز الفكريّة حاجزا دون زواجك. ومن أخطر الحواجز الفكريّة:

حاجز عقدة التفوّق:

كأن تعتقد البنت أنّها نادرة عصرها في الجمال أو وحيدة القرن في الفكر والثقافة!، وعقدة التفوّق هذه لا توجد إلاّ عند غير المتفوّقات فعلا، فحيثما وجد تفوّق فلا عقدة وحيثما وجدت عقدة فلا تفوّق.

تواضعي أُختياه في نفسك ولا تنظري للآخرين بعين الضعف، ولا تجدي في كلّ خاطب نقصا فالمرء لا يخلو من نقص أبدا.

كم حالت الحواجز الفكريّة دون زواج الفتاة خاصّة:

حاجز المستوى الثقافيّ:

وعلى الخصوص الشهادة الجامعيّة، والأصل أن لا تعتدّ الفتاة كثيرا بالمستوى الثقافيّ أو بالشهادة أو بالتخصّص، وعليها أن تقبل من يقاربها أو من توفّرت فيه صفات الشهامة والرجولة، وأن تعلم أنّها هي التي تملك الشهادة فلا تكن سجينتها!.

لو كان المستوى الثقافيّ يؤدّي حتما إلى الزواج السعيد ما طلّق طبيب طبيبة ولا معلّم معلّمة ولا مهندس مهندسة!، والملاحظ أنّ نسبة الطلاق

والتعاسة مرتفعة لدى أصحاب المستوى الثقافيّ المماثل للمَلَلِ الذي يجده كلّ واحد في صاحبه حيث لا يرى فيه جديدا، بينما نرى عائلات مستقرّة تظلّلها السعادة مكوّنة من زوجة أمّيّة وزوج مثقّف أو العكس، فمن الاختلاف نصنع أجمل وأروع نماذج الائتلاف!.

وإليك قصّة زواج مبارك والد الإمام الجليل عبد الله بن المبارك، أرسله سيّده لصيانة الرمّان، وبعد مدّة طويلة خرج سيّده إلى حديقته وطلب منه أن يأتيه برمّانة حلوة فأتاه بواحدة فوجدها حامضة، فأمره أن يأتيه بأخرى فأتاه فوجدها حامضة كذلك، فقال له: «عجبا لك يا غلام لك في الحديقة شهران ولا تعرف حلوه من حامضه؟!»، فقال له مبارك: «أنت إنّما قلت لي صن ولم تقل صن وكل، فوالله لا أعرف حلوه من حامضه».

فلمّا رأى السيّد من دينه وصلاحه وأمانته ما رأى قال له: «يا مبارك إنّ لي ابنة كما علمت وقد خطبها منّي الأمراء وأنا الآن أستشيرك فيها»، فقال له: «يا سيّدي لتعرف أنّ الناس في أمر الزواج على ثلاثة أصناف: فناس يرغبون في مصاهرة ذوي الحسب وهم العرب، وناس يرغبون في مصاهرة ذوي المال وهم أبناء زمانك، وناس يرغبون في ذوي الدين وهو ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه، فاختر لابنتك أيّ الأقسام شئت»، فقال سيّده: «لا أختار إلاّ ما كان عليه الصحابة وقد رأيت من دينك وصلاحك وأمانتك ما رأيت وأنا أُحبّ أن أزوّجها منك»، فقال: «يا سيّدي أوَ تهزأ بي؟!»، فقال: «لا والله مثلي لا يهزأ ولكن قم بنا نستشير في هذا الأمر»، فدخل سيّده على أمّ الابنة فعرّفها بما رأى وبما عرض عليه، فقالت له: «أنت وما تريد»، فقال لها: «وإن رضيت أنت فقد لا ترضى الابنة قومي فاعرضي عليها الأمر!»،

فعرضت عليها أمّها الأمر فقالت: «لا أمر لي معكما»، فزوّجها منه فولدت له عبد الله بن المبارك الذي طبق الآفاق بعلمه وزهده وكرمه وعلوّ رايته[1].

هكذا تزوّج حارس الحديقة من صاحبة الحديقة!.

تجنّبي المثيرات الجنسيّة سابقا:

تجنّبي كلّ ما يثيرك جنسيّا من مجلاّت خليعة وأفلام ساقطة ومناظر إباحيّة وقصص هابطة ....، فغالبا ما تؤدّي هذه الأمور إلى تهيّج المخّ فيؤدّي إلى تهيّج خلاياك الجنسيّة، وقد لا تستطيعين المقاومة فتسقطين في الرذيلة!.

ولا تثقي في نفسك فتدّعي (كاذبة) أنّ هذه الأمور لا تؤثّر عليك، فغالبا ما يمهّد الشيطان لانتصاراته بمثل هذه الأفكار، تذكّري دائما أنّك لست معصومة ولست أفضل من اللواتي سرن في طريق المثيرات الجنسيّة فسقطن في مخالب تجّار المتعة.

وقد تتساءلين: كيف أتجنّب هذه الأمور وهي تملأ مجتمعنا؟!، كيف أتجنّب المثيرات وكلّ ما حولنا يدفعنا إلى الإثارة؟!.

أقول: نعم إنّه لمن الصعوبة بمكان تجنّب المثيرات على كثرتها وتنوّعها وانتشارها، لكنّ الاستسلام عين الخطأ، ثمّ تهويل الأمر إلى حدّ الاعتقاد بأنّ كلّ ما حولنا يدعونا إلى الإثارة افتراء، فكم في الوجود من مناظر تدعونا للهدوء والاطمئنان....، فحوّلي سمعك من سماع الأغاني العاطفيّة كما يقولون

(١) [إكمال إكمال المعلم] (للأبيّ المالكيّ) (٤/٩٢،٩٣).

إلى سماع القرآن الكريم والأناشيد التربويّة الروحيّة، وغضّي بصرك عن الأفلام الخليعة وافتحيها على كثير من الأفلام المفيدة الهادفة الهادئة، ولا تمدّي يدك إلى المجلاّت الرخيصة واقبضي على المجلاّت المفيدة وعشرات المجلاّت العلميّة والتثقيفيّة ....

ثمّ اعلمي أنّك مجاهدة في باب العبوديّة لله وحده، أنت مجاهدة نعم لأنّ كثيرا ممّا حولك يدعو للحرام، فجاهدي نفسك حتّى لا تخترقها الأهواء.



إنّني أتّهم:

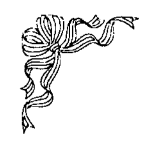
أتّهم كلاّ مِن:

- الآباء المتعصّبين الجاهلين.
- الأئمّة والدعاة والخطباء الغافلين.
- الحكّام المقصّرين.
- العزّاب القادرين.
- المستغربين المردّدين المقلّدين.
- الكتّاب والمثقّفين والإعلاميّون.
- الأزواج (المؤمّين).
- الحسّاد والنمّامين والمشعوذات والمشعوذين.
- رؤساء القبائل والعروش والبطون.

- وجوه المجتمع وأصحاب الرأي فيه والمتصدّرين، وأخصّ بالاتّهام السياسيّين.
- منظومتنا التربويّة خاصّة المبرمجين.

أتّهم هؤلاء بالمشاركة من قريب أو من بعيد في تكريس نظرة المجتمع للعانس بل في وجود العنوسة في مجتمعنا وما أدّت إليه هذه الآفة الخطيرة، وأحمل رجال السياسة القسط الأكبر من المسئوليّة، فهم الذين نجحوا في صرف اهتمامات المجتمع عن مشاكله الحقيقيّة إلى مشاكل وهميّة لا توجد إلاّ في رءوس السياسيّين، هم الذين أنفقوا الملايير من أجل النجاح في حملاتهم الانتخابيّة!، بينما كان يمكن صرف تلك الأموال في تزويج آلاف الشباب والشابّات بل حتّى في توفير المساكن، لكن لعن الله السياسة التي أوحت إلى هؤلاء وحسّنت لهم إنفاق الملايير في تلصيق صورهم على الجدران وأقنعتهم أنّ ذلك أولى من إنفاقها على العوانس واليتامى والمعوّقين والمشرّدين وطلبة العلم والأرامل والمطلّقات ومشاريع الخير ....






الفصل الرابع

أخطار العنوسة

على المرأة والعائلة والمجتمع






أَخْطَارُ العُنوسَةُ
على المرأة والعَائلة والمجتمعْ

العنوسة كما سبق وأن ذكرنا حالة غير طبيعيّة تعيشها المرأة لظرف من الظروف التي سبق ذكرها، ولها انعكاساتها الخطيرة على المرأة أوّلا وعلى الأسرة ثانيا والمجتمع ثالثا، وها نحن نذكر بعض آثار العنوسة على الجميع إجمالا وباختصار.

أخطار العنوسة على المرأة:

أوّلا: الكآبة:

وهي حالة خانقة تُسيطر على العانس، تُؤدّي بها إلى كره شديد للحياة، وتصيبها نتيجة شعورها برفض المجتمع لها، ومن أعراضها القلق المستمرّ والتوتّر الدائم والحزن الواضح؛ والعانس كئيبة لأنّها تعيش وضعا غير طبيعيّ بالنسبة لها، فالأصل أنّها في بيت زوجها لا في بيت والديها ومع أولادها

لا مع أولاد أخيها!.

هذه الوضعيّة غير الطبيعيّة بالإضافة إلى انسداد الأفق وانطفاء شمعة الأمل ... تُؤدّي مجتمعة إلى الكآبة، وهي داء خطير لمن لا يعرف، يكفي أن نعلم أنّها غالبا ما تؤدّي إلى الانتحار!، والشائع المعروف أنّ الكآبة تصحبها الأعراض الآتية: الأرق البكاء ضيق التنفّس الشعور القاتل بالوحدة فقدان الشهيّة القرحة المعديّة النسيان.

وها هو اعترافٌ لإحدى العوانس التي أشارت لنفسها (ب. متمرّدة) من (سيدي عيسى) يجسّد بوضوح الصراع الواقع داخل نفسيّة العانس واليأس الذي يصيبها حتّى تفقد كلّ لذّة في الحياة، الاعتراف هذا صريح وواضح يدلّ بصدق على معاناة داخليّة رهيبة تعيشها العانس ونقاش يَقِظ يسيطر على عقلها تقول:

«يتساقط السؤال حرفا حرفا ... يصبح وجعا وشجِنا حتّى يتحوّل إلى أصداء شبيهة بخطوات غريبة في سكون الليل كغربة إنسان هذا العصر الذي أضاعه القلق بعثرته المادّيات المجحفة بتأمّلاته وصفاء روحه، يتسلّق السؤال صدورنا إلى أذهاننا إلى عيوننا إلى شفاهنا التي سئمت الثرثرة ودجّنها الملل من حشود الكلمات التي نترافع بها عن رغباتنا وسقطاتنا، لكنّ السؤال لا يتعب لا ينكمش إنّه يزداد جموحا وتمدّدا وطعنا في النفس ... (هل نظلّ نجري وراء وهم اسمه البحث عن الرجل؟!).

كان من الصعب عليّ أن أمسك دموعي، ففي هذه اللحظة النادرة التي أعترف لكم فيها تجمّعت حولي كلّ سحابات الخوف الرعب القلق

والوحدة، من الصعب على المرأة أن تشعر أنها بلا سند في هذا الزمن الجارح!، المرأة عندنا تحتاج إلى قلعة تحميها، القلعة قد تكون الزوج قد تكون العمل وقد تكون المال أو الجمال، المهمّ أن الجميع لا يمكنهم أن يتصوّروا المرأة بدون تلك القلعة الحصينة.

الشعور بالخوف من المستقبل من المجهول، هل أجد الرجل الحلم أم أنني لن أجده؟!، الوقت يمرّ العمر يمرّ اللحظات تمرّ الأيّام تمرّ وكلّ يوم أشاهد صديقة لي تتزوّج أو قريبة لي تنجب والعمر يمرّ ...!، أخشى أن أستسلم وأرضخ لكلّ عروض الزواج وأرتبط برجل لا أعرف عنه شيئا سوى أنّه حاز إعجاب العائلة.

يعتبرونني المتمرّدة، والبعض سامحه الله يتقوّل عليّ بما هو أقسى وأقدح، اليوم ... لا أعرف بالضبط ماذا أفعل وإلى أيّ جزء من العالم أتّجه وأيّ اختيار أختار؟!.

مشكلتي أنّني غير قادرة على أن أكون قاسية، الصدق يحتاج إلى قسوة والكذب يحتاج إلى قسوة ومصيبتي الكبرى أنّني غير قادرة على ممارسة هذه القسوة!، فأنا لا أستطيع أن أكذب لأنّني أكره الكذب ولا أستطيع أن أصدق لأنّ الجروح التي بداخلي تمنعني من تحويل نظريّاتي إلى حقيقة.

مشكلتي مع الصدق أنّني أقوله تعبت من ممارسته، أصبح الصدق يشكّل لي مسئوليّة عبثا، أتعبني الصدق وجعلني أخرج من علبة سباق الحياة لاهثة متعبة غير قادرة على استنشاق الهواء، في الوقت ذاته لا أستطيع أن أكذب!، لا أستطيع أن أتزوّج رجلا لا أُحبّه أو آكل طعاما لا يعجبني

أو أشتري فستانا لا أريده أو أزور صديقة لا أحبها، لا أستطيع أن ألعب لعبة المجاملات والواجبات الاجتماعيّة، لا أستطيع أن أبيع مشاعري لكلّ من حولي دون أيّ منطق أو داع.

صعوبة موقفي أنّني كلّما جلست مع نفسي شعرت بأنّي أقلّية محدودة جدّا في هذا العالم، هاهي أحزاب الكذب والمجاملات والنفاق الثرثرات المنتديات الحفلات والهدايا غير المبرّرة وباقات الورود وبطاقات التهاني غير الصادقة تملأ سماء المدينة التي أعيش فيها، هذا هو قانون التواجد في هذه المدينة، هذه هي قواعد اللعبة التي يتعيّن عليّ أن أقبلها، عليّ أن أجامل في كلّ شيء ابتداء من قبول الوظيفة حتّى اختيار شريك الحياة!، كيف يمكن لإنسان حرّ عاقل يحترم عقله وضميره أن يرضى بأن يعيش مثل هذه الحياة؟!، هل يمكن لي أن أكون عضوا في قطيع الحياة أم يتعيّن عليّ أن أقف صلبة قويّة صادقة؟!، الثمن فادح وكبير لكن الجائزة تكون دائما أكبر، ففي نهاية الأمر إن صدّقت لن أفعل إلاّ ما أؤمن به ولن أختار إلاّ ما اختار قلبي وعقلي.

دقّ ناقوس الخطر هزّني هزّا لكن ... ماذا لو دفعت ثمن الصدق ولم أحصل على الموقف الرجل الحلم الجائزة؟!، ماذا لو ظللت أحلم بالفارس ولم يأتِ؟!، ماذا لو ظللت أرفض مغريات النفاق والمجاملات وأصمد ثمّ لا أحصل على شيء؟!، ما الذي سأحصل عليه ...؟!، وأتمنّى الإجابة بسيطة وهادئة (ستكسبين نفسك).

فالبحث عن رجل أيّ رجل ليكون زوجا مأساة تتكرّر يوميا!، أسوأ

أنواع البحث هو البحث البائس، أن تبحث المرأة عن شيء أيّ شيء تلك هي الكارثة!، البحث الحقيقيّ هو الذي يكون عن معنى مجدّد عن قيمة بذاتها تجتمع كلّها في شخص واحد بالتحديد دون سواه في العالم!.

أصعب الأمور أن يتحوّل الإنسان إلى (لغم متحرّك!) وأن يصبح جرحه هو شخصيّته وأن يصبح ألمه هو سلوكه، كادت الكوارث أن تضيّع العقل منّا وتحفر أمواج اليأس والخوف من ضياع العمر والشباب في شواطئ تماسكنا فتنهار كلّ قلاع الإنسانيّة في داخلنا ونصبح مجرّد حيوانات جائعة تبحث عن صيدها في غابة الحياة، حين تسقط حصون المرأة أمام اليأس يسقط كلّ شيء ويخرج مارد الدمار من القمقم السحريّ ويقول لها: شبّيك لبّيك دمارك بين يديك.

المرأة اليائسة هي المرأة البائسة، اليأس قد يدفعها إلى رؤية النذل شهما والقبيح وسيما واللصّ شريفا والكاذب صادقا والقاتل رحيما والرافض لها محبّا، اليأس قد يدفع المرأة أن تنسى كتب المبادئ التي تعلّمتها ووصايا الأمّ ونصائح الأب ومسئوليّات الضمير والتزامات الإنسانيّة، اليأس قد يدفع المرأة إلى الحبوب المنوّمة والحبوب المخدّرة والاستهتار بكلّ شيء، فلا شيء له أيّ معنى لأنّه لا يوجد شيء، كلّ شيء في حياتها مفرغ من معانيه من قيمه من صفاته، اليأس هو بداية النهاية، هو الحبّة الأولى من حبوب (الانتحار!)، هو بداية لفّ حبل المشنقة حول رقبة المرأة؛ هناك سنّ اليأس وهذه قضيّة طبّيّة بيولوجيّة لها حلولها، وهنا يأس السنّ هو أن يدركنا اليأس المعنويّ وليس اليأس البيولوجيّ؛ البحث اليائس عن أيّ رجل وعن أيّ شيء لا يبرّره أنّ المرأة لم تجد من كانت تبحث عنه، البحث اليائس لا يبرّره أن تقولي:

الجميع سعداء وأنا وحدي تعيسة، البحث اليائس مبرّره أن اليأس قهرنا.

سيّدي، قد يكون اعترافي من نوع آخر إلاّ أنّه اعتراف حوّاء على لسان حوّاء، اعترافي حقيقة أعيشها وتعيشها آلاف من النساء، قد أعتبر نفسي أشجّعهنّ بطرحي هذه المسألة. (متمرّدة) من (سيدي عيسى، المسيلة)»[1].

وتقول أخرى تحت عنوان:

العنوسة أضعفت إيماني ومعنويّاتي!:

«أنا فتاة أبلغ من العمر ٢٨ سنة من عائلة متوسطة الأحوال، عشت في بيت يسوده الاحترام والطاعة والشرف أنا وأخواتي الأربع ووالداي وإخوتي الذكور.

بعد أن كبرت وبدأت أحلم ببيت مستقرّ وزوج وأولاد أربّيهم وأرعاهم لم يتقدّم أحد لخطبتي كما لم يتقدّم أحد لخطبة أخواتي!، وحينما طال الانتظار بدأت روح السأم واليأس تدب في نفسي.

وحينما بلغت الثامنة والعشرين ولم يطرأ جديد انخفضت أكثر روحي المعنويّة وتغيّر مزاجي لأصبح قلقة متوتّرة بعد أن كنت هادئة مثاليّة، وحتّى الصلاة التي كنت أؤدّيها بانتظام وفي أوقاتها منذ سنّ العاشرة بدأت أتكاسل في أدائها بل أؤدّيها متى أشاء وبدون خشوع وكأنّني أمارس الرياضة، كما تركت تلاوة القرآن، وتغلّبت عليّ الوساوس والقلق وكثرة التفكير

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:٩٠).

والنوم المضطرب.

أمّا والدتنا فقد نصحتنا نحن البنات بالتردّد على كاهن أو مشعوذة!، فبنات الحيّ كلّهنّ تزوّجن سوانا، لكنّنا رفضنا الشرك وأقسمنا أن لا نزور مشعوذا حتّى ولو بقينا عوانس طوال حياتنا!.

ولأنّ سنّي يتقدّم وقلقي يزداد وصبري ينفذ وكلام الناس لا يرحم ارتأيت التوجّه إلى الإخوة القرّاء عسى أن أجد رفقة أخواتي ما نريده وشكرا. (ب) من (سطيف)»[1].

ثانيا: الانتحار!:

قد تلجأ العانس إلى (الانتحار!) إمّا طالبة للراحة أو فرارا من العذاب أو للتعبير عن رفضها وكراهيتها للحياة التي أصبحت بالنسبة لها عبئا ثقيلا لا تقوى على حمله.

فالحصار الذي يضربه المجتمع على العانس ونظرته الخاطئة إليها والفراغ العاطفيّ والروحيّ والكآبة المهيمنة على حياتها والجراح المتكرّرة التي تتغذّى من ألسنة السوء ورفض الآخرين والإشاعات والفراغ واليأس ... كلّ هذه الأسباب تُضاف إليها ضعف الإيمان بالقضاء والقدر ومراقبة الله ونسيان ذكر الله تعالى تُؤدّي بالعانس إلى الانتحار وإنهاء حياتها!.

وقد أشارت إحدى العوانس من مدينة (باتنة) في اعترافها إلى بعض

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:٢٢٩).

الأسباب التي تؤدّي بالعانس للتفكير في الانتحار، فتقول تحت عنوان:

حصار في ٣٦ من العمر!:

«بعدما انتابني اليأس وأصبحت لا أرى حلاً لمشكلتي لجأت إليكم لتفيدوني بنصائحكم لعلّي أجد فيها شفاء لعذابي.

أبلغ من العمر ٣٦ سنة بدون أمل ومستقبل، وهبني الله تعالى نعما عديدة أحمده عليها ليلا ونهارا، وهبني الأخلاق الحميدة والإيمان والصبر والقناعة، ولكنّي رغم كلّ شيء فشلت وحُكِم عليّ بالشقاء!.

إنّني أعيش خارج الزمن وخارج الحياة لأنّ الزمن لم يعدّ لي معه حساب، فهل مَن يقضِ نحبه في الفجر يعنه أن تشرق الشمس؟!.

ماكثة بالبيت يائسة تعيسة على أبواب الانهيار في أيّ لحظة، خواطري السوداء تلحّ عليّ لأفارق هذه الحياة والهروب من ظلم الطبيعة، هذه الطبيعة التي وهبت لي قامة ضئيلة وقدّا نحيلا وكأنّي فتاة لم أتجاوز الرابعة عشر من عمري!.

لقد تعبت من التفكير وضاق صدري بما أحمل من هموم واسودّت الدنيا في عيني ... فماذا أفعل؟!، آه ... كم أتمنّى أن أنام ولو ليلة واحدة مطمئنّة، أن أشعر بالأمان ... ولكن نفسيّتي ممزّقة وعيناي لا تريان إلاّ الظلام ولا تعرفان إلاّ الدموع.

أنا حزينة وخائفة لأنّني لا أدري إن كان حرماني هذا نعمة أم

نقمة؟!، فأنا منهارة نفسيا وشعلة الأمل تكاد تنطفئ وأستسلم للموت البطيء.

فالأهون والأمرّ كلّه ظلم مجموعة من الجاهلات، إنهنّ من الأقارب، تُدمّرن حياتي بكلّ أنواع الكلمات والنظرات والهمسات والقهقهات التي تعذّبني وتدمي قلبي ....، إنهنّ من الأقارب والأباعد وما هنّ إلاّ تماسيح تظهر باكية لكن أسنانها فوق كل اعتبار.

لا يمكنكم إدراك مبلغ الأثر الذي تتركه في نفسي تلك الإهانات، إنّها تحاصرني حصارا قاتلا وتضيّق عليّ الخناق، تقتلني ألف مرّة في اليوم وتجعلني أدعو الله في كلّ وقت أن يجعل الموت راحة لي!، فالموت غالبا هو نعمة؛ تصوّروا قرّائي الكرام إنسانا محاصرا والإبَر في جسمه من كلّ ناحية والأمل لديه معدوم في فكّ الحصار ... ماذا يفعل؟!، ليس أمام المسكين إمّا أن يلقي بنفسه من أعلى الأسوار ليدقّ عنقه ويستريح من هذا العذاب أو ينزوي في ركن مظلم بعيدا عن الأنظار في انتظار مصيره المحتوم!.

لقد اخترت المسلك الأوّل وهو الانتحار!، لكنّني جنّبت لأنّني مؤمنة بالله وبقضائه وقدره وأجهل ما يُخفيه في القدر وكلّ شيء بقدر وقضاء من الله.

إنّني أموت في كلّ يوم على غير عادة الناس، فبكائي في قلبي ودمعي في دمي، إنّني بشر لا يقوى على حفظ كلّ همّ وغمّ وإهانات مُرّة في صدره وهي تعذّبه باستمرار ويرى من الضروريّ أن يبوح بها ليخفّف عن نفسه.

لو كان الأمر يتعلّق بالصبر والرضا بالقضاء والقدر لهان، فأنا مؤمنة

بقضاء الله وقدره، لكن المشكل هو هذا المجتمع الذي لا يرحم!، فلو كان الانتحار حلالا لكنت أرحت نفسي والمجتمع منّي.

لهذا فضّلت أن أطرح مشكلتي بين أيديكم لعلّي أجد من يتفهّم جيّدا مأساتي وينقذني.

أنقذوني بربّكم قبل أن أجن، فهل تنصفوني يا أهل الرأي؟!، وجزاكم الله خيرا، إنّ في جوابكم سعادتي أو شقائي ... وحسبنا الله ونعم الوكيل. (المعذَّبة) من (باتنة)»[1].

العلاج هو الرضا بالقضاء والقدر:

وعلاج الكآبة والقلق والانتحار هو الرضا بقضاء الله تعالى، فجنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى[☆].

فالاعتقاد أنّ كلّ شيء صادر عن الله تعالى وِفقَ حكمة يعلمها هو والرضا بذلك هو الترياق الشافي من كلّ آلام النفس البشريّة.

اقرئي معي أُختِاه هذه الكلمات لبعض المحقّقين قال: «من كان نظرُه في وقت النعمة إلى المنعِم لا إلى النعمة كان نظرُهُ في وقت البلاء إلى المُبتلي لا إلى البلاء، وحينئذ يكون غريقا في كلّ الأوقات في معرفة الحقّ سبحانه،

(١) جريدة [الشروق العربيّ] (العدد:١٤٨).

(☆) [جنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى] هو عنوان كتاب العلاّمة (أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي).

وكلّ من كان كذلك كان أبدا في أعلى مراتب السعادة، أمّا من كان نظرُهُ في وقت النعمة إلى النعمة لا إلى المنعِم كان نظره في وقت البلاء إلى البلاء لا إلى المبتلي، وكان غريقا في كلّ الأوقات في الاشتغال بغير الله، فكان أبدا في الشقاوة لأنّه في وقت وِجدان النعم يكون خائفا من زوالها فكان في العذاب وفي وقت فوات النعمة كان مُبتلًى بالخوف والنكال في محض السلاسل والأغلال؛ ولهذا التحقيق قال لأمّة موسى عليه السلام: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة:٤٠]، وقال لأمّة محمد ﷺ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]» اهـ[١].

أخطار العنوسة على المرأة والأسرة:

انتشار الخرافة والإقبال على المشعوذات:

تُؤدّي العنوسة إلى انتشار الخرافة انتشارا مضحكا!، والمرأة من أجل زواجها على استعداد لتصديق أيّ شيء ولتجريب كلّ شيء، والعوانس هنّ الزبونات المفضّلات لدى محلاّت الشعوذة والسحر، فهنّ على استعداد للدفع أكثر!.

وهكذا تشيع أخبار الدراويش والسحرة المخادعين وبائعي الأحجبة والبخور ....، ويزيد إقبال النساء على المشعوذات محمّلات بما لذّ وطاب من قطع قماش وديكة ودنانير ....، الأمر الذي يُنمي أرصدة المشعوذات ويزيد من مداخيلهنّ، وتتحوّل الدروشة واللعب بعقول وعواطف الناس إلى مهنة

(١) [جنّة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى] (٨/١١٨،١١٩).

تدرّ الملايين!.

وأخشى ما تخشاه أميرات الزندقة وعصابات الشعوذة ... أن تصحو عقول الشباب فيقبل على الزواج وأن تتيسّر أمور الزواج لتحصل كلّ بنت على نصيبها أو تزول وإلى الأبد ظاهرة العنوسة!.

هذا ما يُخيف أوكار الجهل والخداع، فالقضاء على العنوسة بالنسبة لهنّ يعني الإفلاس والفقر، فهنّ يحصلن من مهنة السحر أضعاف أضعاف أجرة طبيبة شريفة أو معلّمة متفانية.

لهذا تعمل هذه الأوكار على نشر العنوسة باستعمال السحر تحت غطاء محاربة العنوسة ومساعدة البنات على الزواج!، فتطلب من البنت مثلا أن تأتيها بقميصها أو جزء من شعرها أو شيء من مقتنيات خطيبها، وتأتيها المسكينة بكلّ ما طلبت ظنّا منها أنّها تعمل لها ما يعجّل زواجها أو ينمي محبّتها في قلب خاطبها أو يصرفه عن غيرها أو يحفظها من عيون حاسداتها، ولكنّ الشرّيرة المخادعة تضع لها السمّ في الدسم!، تضع لها السحر من حيث تعتقد الضحيّة غير ذلك؛ والمشعوذة تفعل ذلك حتّى لا تفقد زبوناتها، وربّما وجدتها مسحورة فتزيل عنها ذلك السحر لتتزوّج وتضع لها سحرا آخر يبغضها إلى زوجها لتعود إليها مطلّقة!، المهمّ ألاّ تذهب الزبونة!؛ فيشاع في وسط النساء أنّ كلّ من زارت فلانة إلاّ وتزوّجت، فتزيد شهرة الساحرة وشعبيتها وبالتالي ينمو رصيدها البنكي!، إنّه إذا الاستثمار بدموع الأخريات وآهاتهنّ وعذاباتهنّ.

ومن الخرافات الشائعة بين النساء حتّى المثقّفات منهنّ: أنّ أوّل

الجالسات على كرسيّ العروسة تتزوّج فورا!، وأنّ من لبست حذاءها كثر خطّابها!، وأنّ المسك بطرف ثوبها مُجرّب في الإسراع بتزويج الفتاة!، وشاع المثل الشعبيّ القائل: (شدّي في جلالها تذيك معاها)!، وأنّ حِنّاء العروس تجلب السعد!، وأنّ تخطّي سبع موجات ورمي الحلويات في البحر مُجرّب!، وجمع الماء من سبع حنفيّات بالحمّام ... وضرب الخفيف يُؤدّي إلى خفّة البنت بعد أن كانت ثقيلة على أهلها!، وفتح أحزمة العوانس بمكّة يفتح عقدة التعنيس ....!.

وآخر (ما سمعنا!) ما تفتّقت عنه عبقريّة الشعوذة وصفة: (نبتة مكّة)، وهي من أحمق الوصفات التي انتشرت بسرعة وسط النساء حتّى المثقّفات منهنّ، ونصّها كما يلي:

تُسلّم النبتة التي مصدرها مكّة المكرّمة[1] للعانس يوم الإثنين، تضعها في وعاء بحيث لا يراها أيّ رجل مهما كان، وكلّ يوم تقوم العانس بإفراز كمّيّة من الشاي ثمّ تدعو الله أن يهب لها زوجا صالحا، تستمرّ هذه العمليّة لمدّة شهر كامل على أن يتمّ السقي في الصباح فقط، ثمّ تلد هذه النبتة نبتة أُخرى كلّ إثنين، فتقوم العانس بتسليم المولود الجديد لعانس أُخرى من أجل نفس الطقوس شريطة أن تكون تُحبّها، وهكذا تلد النبتة في مدّة شهر أربع مرّات، فإذا ما استوفت مولودها الرابع وانتهى الشهر تأخذ العانس النبتة وتضعها تحت الشمس حتّى تيبس، والمهمّ أن تتمّ كلّ هذه العمليّة بعيدا عن أعين

---

(١) من الواضح جدّا أنّ ربط النبتة بمكّة المكرّمة ليس إلاّ من أجل إضفاء نوع من القداسة على النبتة؛ والغريب أنّ العنوسة موجودة حتّى في مكّة المكرّمة!.

الرجال، وبعد يبسها تقسمها إلى اثنين نصف تضعه على جسدها مثل الحرز والنصف الآخر تضعه في ملابس جهازها طول عمرها ....

ولا عجب من بلغ مثل هذه الخرافات على شعب صدّق يوما أنّ العراق سينتصر على ٣٣ دولة لمجرّد أنّ امرأة عادت من القبر وأخبرت بذلك ومن لم يُصدّق فليفتح المصحف ليجد (شعرة) في سورة البقرة![١]، وأنّ من أصابه خِراء الخطّاف سيصير (مليونيرا) ....!؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور].

وغالبا ما تجبر الأمّ بنتها العانس على زيارة المشعوذات والكُهّان بدافع الحرص على مصلحتهنّ وخوفا من بوارهنّ بل والتخلّص منهنّ أيضا!، وربّما كان سبب عنوسة البنت تعنّتها ورفضها لكلّ خاطب أو اشتراطها السكن المنفرد أو بسبب الشهادة الجامعيّة والوظيفة أو بسبب إشاعة واضحة وتهمة صريحة، ولكنّ الأمّ لا تقتنع إلاّ إذا نسبت الأمر إلى السحر لتفرض على بناتها زيارة أوكار الحرام!.

والفكرة التي تسيطر على تفكير بعض العوانس وكثير من الأمّهات سؤال: «لماذا فلانة وفلانة تزوّجن وهنّ أقلّ جمالا وجاها ومكانة منّي ومن بنتي؟!، ما الذي ينقص بنتي حتّى لم تتزوج ...؟!»، ولا يرغبن في طرح أسئلة مثل: «لماذا فلانة وهي أكثر جمالا من فلانة لم تتزوّج؟!، لماذا بنت فلان وهي صاحبة جاه ومال ولم يقصدها الخطّاب؟!، لماذا لم تتزوّج الأستاذة

---

(١) كنت أرى الناس يهرولون إلى فتح المصاحف التي أغلقوها منذ سنين!، والمثير والمدهش حقّا والمضحك في نفس الوقت أنّ الخبر نُشر في الصحافة!.

الجامعيّة وهي أوسع ثقافة من ابنتي الأمّية ...؟!»، فمثل هذه الأسئلة ستفرض على عقل الأمّ الإيمان بأنّ الزواج قسمة ونصيب ولكنّها لا تريد التسليم لله لأنّ نفسها الضعيفة والجهل المسيطر على عقلها يرضيان لها التسليم للسحرة والمشعوذين على التسليم للربّ الرحيم ... يؤمنّ بالبخور ولا يؤمنّ بسورة النور؟!.

تقول (صفيّة): «توفّي أبي وأنا في سنّ مبكّرة، وكنت أوسط إخوتي، وكان أخي الأكبر هو العائل الوحيد للأسرة ورغم قساوته ومعاملته السيّئة لي بمباركة من أمّي إلاّ أنّني أظلّ صامتة وألوم نفسي؛ وما زاد من معاناتي الحقيقيّة زواج أخي الأكبر بفتاة عمرها ١٨ سنة، هذه الأخيرة تعاملني كما لو كنت خادمة، وكلّما شكيتها لأمّي تردّ عليّ: «هي فتحت بيتا في الثامنة عشر وأنت عمرك أربعة وعشرون سنة وما زال ... (تستهلّي) كلّ شيء!».

ومؤخّرا خطبني أحد الشباب، لكن لأسباب لا يعلمها إلاّ الله لم يعاود أهله زيارتنا منذ مدّة، فأقسمت أمّي أنّ في الأمر سحرا ولا بدّ من زيارة (الشوّافات) وما أكثرهنّ وتنفيذ طلباتهنّ لمعرفة ما يخبّئه لي (المكتوب) والتدخّل في التعجيل بزواجي ...!»[1].

وتقول (أمينة) وهي يتيمة الأب في الثامنة والعشرين من عمرها: «والدتي جدّ قلقة على مستقبلي وخاصّة أنّي معوّقة إعاقة خفيفة في يدي اليمنى، وكلّما اشتدّ بها المرض كلّما ازدادت تخوّفا، ومن شدّة حيرتها ذهبت إلى (الشوّافات) بعد أن نصحتها إحدى الجارات كي تتسبّب في زواجي، ورغم

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:١٧٨).

أنّني متأكّدة من عدم جدوى مثل هذه الأعمال إلاّ أنّني أرضخ لطلبها لعلمي أنّها لا تفعل ذلك إلاّ من أجل سعادتي!»[1].

وتقول (راضية) (٣٣ سنة): «لقد حُرمتُ من نعمة الزواج لكنّي أحمد الله دائما وأواسي نفسي خاصّة عندما يصلني خبر إحدى القريبات أو بنات الجيران قد طُلّقت وتركت وراءها أطفالا وتعرّضت لمعاملة سيّئة من طرف زوجها، لكن ما يحزّ في نفسي وما يقلقني ويجعلني لا أقوى حتّى على تناسي الأمر هو إصرار أمّي على (معايرتي) بالعنوسة وحرصها على أن أستفيق صباح كلّ يوم على الكلام الجارح، وليتها توقّفت عند هذا الحدّ بل تعنّفني بقسوة وتطلب منّي التقرّب من إحدى المشعوذات حتّى تعجّل بزواجي وإلاّ فلن أرى يوما مشرقا طوال حياتي!».

حتّى الحيوان لا يريدك زوجة !:

واقرئي معي أخيتاه هذه المراسلة من أخت كريمة أشارت إلى نفسها (بالمحتسبة إلى الله)، تقول في رسالتها: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبيّ ومن اصطفى.

أمّا بعد، إخواني أخواتي أوجّه لكم سلامي الحارّ من أعماق قلبي وهو ينزف دما من مأساة أعيشها يوميّا، ولست وحدي على هذا الحال بل هنّ عديدات وإنّما أنا واحدة من اللواتي تعانين مرارة العيش وقساوة الحياة في ظلّ هذا المجتمع الظالم!.

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:١٧٨).

والمشكلة أنّي أعاني من العنوسة التي إن حلّت بالفتاة فلا مفرّ من نتائجها، وخاصّة بالنسبة للجوّ العائليّ الذي أصبح ينظر لها كأنّها خشبة مسنّدة لا إنسان له قلب من لحم ينبض ويحسّ كباقي البشر.

أنا فتاة قادها قطار العمر إلى التاسعة والعشرين دون أن يتوقّف في محطّة مكتوب عليها: (وأتزوّجُ النساء فمن رَغِبَ عن سُنّتي فليس منّي).

بدأت رحلتي حين توقّفت عن الدراسة في سنّ لا يتجاوز التاسعة عشر حينها اقتصر دوري في البيت على التنظيف والغسل والطبخ والكنس، وحين التأخّر عن أداء هذه الأعمال فالشتم والسبّ بالكلام الفاحش الجارح هو المنتظر.

ويمضي قطار العمر حِقبة بعد حِقبة، وأصبح كلّ أفراد العائلة يُلقّبونني (بالعانس)، هذه الكلمة الجارحة التي تتكرّر كلّما سمعوا بزفاف إحدى القريبات أو بنات الجيران، وما زادني عذابا هو أن أسمع هذه الكلمة من أعزّ مخلوق لديّ أمّي ... نعم هي أمّي التي طالما تمنّيتُ أن تكون عَزَائي ومعيني في هذه البليّة ولو معنويّا ولكن سامحها الله كانت تطلب منّي أن أفعل ما لا يقبله دين ولا عقل!، تطلب منّي أن أتوجّه إلى بيوت المشعوذين لكتابة (الحروز) وفتح الكتب كما يقولون ظنّا منها أنّ هذا سوف يحلّ مشكلة عنوستي ويسهّل لي عمليّة الزواج، وأنا أؤمن أنّ كلّ شيء مقدّر في كتاب مبين.

وما زاد الطين بلّة هو جوابها عندما أرفض خاطبا بسبب خلقه السيّئ تقول لي: «تمهّلي ... فإنّ الخطّاب لا يتسابقون عليكِ أنت!»، وهذا أثّر في

نفسي كثيرا إلى حدّ الشجون.

ووصلت جرأة أهلي إلى درجة أنّهم لا يطيقونني في البيت ولا يريدون رؤيتي خاصّة بعد زواج أختي التي تصغرني بكثير، فبمجرّد ما أذكرها على لساني إلاّ واتّهموني بالغيرة والحسد وأنا عَلِمَ الله لست كذلك.

وما شرخ قلبي وزاد نفسي ألما أنّهم يوجّهون لي بعض الكلمات والعبارات التي تجرح الصخور، وحتّى تشعروا ما أشعر به ضعوا أنفسكم مكاني واسمعوا إحدى هذه العبارات وتصوّروا أنّها تُقال لكم كلّ يوم: «نحن لا نطيقك»، «ابحثي عن رجل يريحنا منك»، «... مع علمنا التامّ أنّ حيوانا لن يقبلك زوجة له ...!».

هذا ما جناه عليّ الدهر وعلى الكثيرات من أمثالي، فكيف أجد راحتي في مثل هذا البيت؟!، ربّاه ... متّى أجدها؟، عجزت كلّ وسائلي لإرضائهم، أتمنّى أن أجد ضالّتي وأن أعيش مع شخص في الحلال يُخفّف عنّي ما قاسيته طيلة عشر سنوات من ١٩ إلى ٢٩، والزمن يسير يوما بعد يوم وتزداد آلامي ومعاناتي ومأساتي ....

لا أشترط فيمن يتقدّم لخطبتي أن يكون غنيا لحياتي مع فقير المادّة غنيّ بالتقوى والإيمان أفضل!، خاصّة أنّ جانب التقوى ينقصني كثيرا نظرا للجوّ العائليّ الذي أعيشه، وكلّ إناء بما فيه ينضح. وأقول وأكرّر أنّ الأحاسيس أوسع من أن تحصرها العبارات، ومهما حشدنا من عبارات وأساليب لا نقوى أبدا على تجسيد المشاعر، أُحيي فيكم شعوركم النبيل وإحساسكم بالآخرين. أختكم (المحتسبة إلى الله) من مدينة

(خميس مليانة) ولاية (عين الدفلى)».

فلتعلم الأمّهات الغافلات أنّ الإقبال على الساحرات أو (الشوّافات) أو (القلاّعات) من أكبر الكبائر في ديننا فضلا عن أنّه يزيد بناتهنّ كآبة على كآبة.

فالبنت التي تنزع ثقتها في الله تعالى لتضعها في كاهن والتي لا تطمئنّ نفسها لقضاء الله وتطمئنّ لرأي مشعوذة لا يفتح الله عليها أبدا ولا يُزكّيها ولا يمنحها الراحة التي يجدها المؤمنون رغم الابتلاءات!.

أمّا أنّ الشعوذة من أكبر الكبائر فلأنّ متعاطيها يدّعون معرفة الغيب بل هو أساس وظيفتهم، واعتقاد علم الغيب مخالف لقوله تعالى: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ [النمل]، ومخالف لقوله أيضا: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ﴾ [الجن]. وقد أخبر سبحانه عن حالة المشعوذين الذين يُسخّرون الشياطين لقضاء مآربهم فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)﴾ [الشعراء].

وأمّا مآل تصديق الكهنة والعرّافين فهو مآل خطير وخطير جدّا، فعن أبي هريرة والحسن رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: [مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ][1].

(١) رواه الإمام أحمد.

أخطار العنوسة على المجتمع:

أوّلا: انتشار البغاء:

من أخطر النتائج المترتّبة عن تفشّي ظاهرة العنوسة إن لم تكن أخطرها على الإطلاق انتشار البغاء والزنى وتجارة الجسد والاسترزاق بالفروج ....!، الأمر الذي يؤدّي إلى عواقب وخيمة على المرأة والعائلة والمجتمع، نذكر منها: الإجهاض، اللقطاء، الأمراض الجنسيّة، خراب البيوت، الفقر.

والعانس التي لم تتسلّح بالإيمان العميق والصوم المستمرّ وغضّ البصر ومجانبة الخلوة تكون قد تخلّت عن وسائل مقاومتها، فتجد نفسها مدفوعة إلى الزنى والبغاء تحت ضغط الغريزة الجنسيّة والإثارة المنتشرة في كلّ مكان.

وغالبا ما تقع العانس في الخطيئة بسبب تصديق الوعود الكاذبة والكلام المعسول الذي يحسنه ويتقنه فنّانو اصطياد العوانس، وبعد الخطيئة العابرة يبدأ الاحتراف للاسترزاق ....!.

ثمّ إنّ وجود عدد كبير من النساء بلا زواج يعني انتشار العزوبة بين الرجال أيضا، وسيبحث هؤلاء عن إطفاء غرائزهم الملتهبة إمّا عن طريق الحلال وقد غُلقت أبوابه أو عن طريق الحرام وكلّ الطرق تُؤدّي إليه، فيعملون على استمالة الطرف الآخر والبحث عنه وإيقاعه في الخطيئة، بل إنّ البحث عن الجنس أصبح عند بعض الشباب الهمّ الوحيد الذي يستحقّ الاهتمام به والعيش من أجله.

وانتشار البغاء ليس بالأمر الهيّن، يكفي في معرفة خطورته أن نعلم أنّه أخطر من القتل!، فإذا كانت حوادث الإجرام والقتل تُؤدّي بحياة مِائَة شخص سنويّا مثلا (فالسيدا) الناتج عن البغاء يؤدّي بحياة الملايين!.

يقول الدكتور محي الدين طالو العلي: «ولا يغيب عن أذهاننا أنّ شيوع الإجرام والقتل والسلب والنهب وإن كان بعضها يؤدّي إلى الآخر ذلك أنّ خطر حفنة من المجرمين أو القتلة يضرّ بأشخاص قلائل، وقد رُصدت الأجهزة والإمكانات لملاحقتهم ووضع حدّ لأخطارهم.

ولكن خطرا أعظم وأدهى تتعامى عنه الأجهزة والقيادات في البلدان التي تدّعي التقدّم ذلك هو خطر انتشار الأمراض والأوبئة الفتّاكة والناتجة عن تعاطي الرذيلة وانهيار القيم الخلقيّة، تلك الأمراض السريعة الانتشار والتي تقضي على حياة ملايين الأفراد وأكثرهم في سنّ العمل والإنتاج وتترك ملايين أخرى في المستشفيات والمصحات العقليّة وأكثر منهم ينطلقون في الشوارع والحانات وأوكار الرذيلة في بيوتهم أيضا ينشرون المرض حتّى بين أهليهم.

لقد استمرّ التعامي عن الرذيلة فترة طويلة حتّى دهمت الأمراض الفتّاكة الشعوب، ولمّا فتحوا أعينهم وهالهم ما أصابهم أسرعوا إلى مشافيهم ومخابرهم بحثا عن الدواء الشافي دون أن يأخذوا العُدّة لوقف هذا المرض والوقاية منه، فدِرهم وقاية خير من قنطار علاج، وكأنّ مهمّة الطبيب انتظار المريض حتّى ينهكه المرض ثمّ نبحث له عن الدواء ونجري التجارب عليه ناسين أنّ المهمّة الحقّة للطبيب أن يجنّب الناس غوائل وشرور وآلام

الأمراض قبل وقوعها» اهـ[1].

اقرئي معي أُختيّاه هذا الخبر الذي نشرته جريدة [الخبر] لتعلمي خطر الأفكار التي تدعو إلي البغاء بديلا للزواج ونتائج ذلك على المرأة والمجتمع والإنسانيّة.

٥٠٠ ألف مُومِس ينتقلن غربا، حرب جديدة على عواصم أوروبا:

«استأثر موضوع غزو ٥٠٠ ألف مُومِس[2] من أوروبا الشرقيّة دول الاتحاد الأوروبيّ الغربيّة بمناقشات اجتماع وزراء الداخليّة والعدل الأوروبيّين في (لاهاي) فارضا نفسه كمشكلة جديدة ولكن عويصة جدّا تُضاف إلى مجموعة المشاكل التي لا تُحصى الناجمة عن انهيار الاتحاد السوفياتيّ سابقا وتفرّق دوله!.

وذكرت التقارير التي جمعتها أجهزة أمن المجموعة الأوروبيّة أنّ زعماء الجريمة المنظّمة في القارّة يُهرّبون سنويّا إلى دول أوروبا الغربيّة نصف مليون امرأة وفتاة بعضهنّ لا تتجاوز الرابعة عشرة من العمر ليُبَعن كالمواشي بأسعار لا تُصدّق!.

ففي إحدى غارات رجال الشرطة البلجيكيّين مثلا على أحد مواخير مدينة (أنتريون) الساحليّة واعتقال ثلاث مُومِسات هنغاريّات تبيّن أنّ صاحب الماخور اشتراهنّ بمبلغ ٣٥٠٠ دولار، وأنّه سيُحقّق ربحا صافيا من

(١) مقدّمة كتاب: [الإيدز والأمراض الجنسيّة].

(٢) مُومِس: هي بنت الهوى.

تشغيلهنّ في الأشهر الستّة الأولى بمبلغ قدره ٢٥٠ ألف دولار في أقلّ تقدير، مؤكّدا ما ورد في تقرير (أوروبول) أمام الوزراء عن أنّ تجارة الحريم في أوروبا أصبحت بمجيء (غورباتشوف) وخلفه (يلتسين) اللذين أذابا المحور الشرقيّ أكثر خطورة على القارّة الغربيّة من تجارة المخدّرات.

وعلى الرغم أنّ هذه المشكلة العويصة دفعت ببعض الوزراء المجتمعين إلى الدعوة إلى ضرب وتفكيك هذه الشبكات والقضاء عليها عن طريق تضييق الخناق على المعابر الحدوديّة لمنع تهريب النسوة، إلاّ أنّ العنصريّة النسائيّة فاضت في صدر وزيرة العدل الهولنديّة (ويني سورغدراغر) طالبت بمنح أولئك الضحايا إقامات مؤقّتة في الدول المستضيفة، وقد أيّدها في هذا الحلّ وزير بلجيكيّ وإيطاليّ فيما رفضه وزير بريطانيّ وفرنسيّ فورا لأنّه لو سمح للمُومِسات بالحصول على حقّ الإقامة وتشريع مهنتهنّ بهذا القدر من الاعتراف بها وبهنّ فماذا تفعل هذه الدول باللاجئين السياسيّين وملايين المهاجرين المقيمين بطرق غير شرعية؟!.

لكنّ الحقيقة هي أنّ موقف بريطانيا وفرنسا المعارض غير نابع من مسألة قوانينها الجديدة للحدّ من الهجرة ولا هو نتيجة ترهّب الفرنسيّين والإنجليز وتحوّلهما عن مهنة المُومِسة العريقة في بلديهما كعراقة ساحتي (ترافلغار) و(الكونكورد) إلى المهنة الجديدة التي أعطتها حكومة (ميجور) الشرعيّة والمتمثلة في حقوق الشذوذ الجنسيّ حتّى داخل القوّات المسلّحة!؛ إنّ موقف الدولتين نابع من التكاليف المادّيّة الباهظة التي ستترتّب على انضمام نحو ١٥٠ ألف مُومِس شرقيّة إلى زميلاتهنّ الفرنسيّات والبريطانيّات في

حرب شوارع جديدة ...» اهـ(١).

ولا أريد طيّ صفحة انتشار البغاء دون اطّلاعك أُختيّاه على عيّنة حيّة وبالأرقام لحال جزء من البشريّة تخلّت عن منهج الله تعالى الذي سطّره لعباده واختاره لهم وانساقت وراء شهواتها تدفعها نظريّات (فرويد) و(دوركايم) ....

يقول الدكتور محي الدين طالو العليّ: «انتشرت الفحشاء في أمريكا وأوروبّا فلم يعد يُميّز فيها الرجل زوجه عن ابنته عن خليلته أو بنات الهوى اللواتي يرتعن في الطرقات ... فكلّ يصلح للفعل الجنسيّ!، وأصبح الجنس تجارة رابحة؛ يقول السيّد (دريفوس) عضو البرلمان الفرنسيّ: «إنّ مهنة البغاء والزنى لم تعد تخصّ الأفراد وإنّما أصبحت تجارة واسعة ومهنة منظّمة لما تجلبه من أرباح خياليّة»، ويقول (بول بيورو) من فرنسا: «إنّ مهنة البغاء أصبح لها نظام محكم الترتيب يخدمه كافّة طبقات الشعب: وكالات الأنباء والخطباء والمحاضرون والممثلون والشركات السياحيّة ومسئولون من الدولة» ».

وقد أوضحت صحيفة [الشرق الأوسط]: «أنّ ٨٠-٨٥٪ من الرجال البالغين في بريطانيا وأمريكا لهم عشيقة أو أكثر، وأنّ ٤٠٪ منهم شاذّون جنسيّا»، كما بيّنت أنّه: «يوجد في بريطانيا ثمانية ملايين امرأة بالغة غير متزوّجة، وأنّ أكثر من ٩٠٪ منهنّ يمارسن الجنس مع واحد أو أكثر»(٢).

---

(١) جريدة [الخبر] الجزائريّة (الصادرة في الثلاثاء ٢٠ ماي ١٩٩٧).

(٢) صحيفة [الشرق الأوسط] (الصادرة في ٢٩ ماي ١٩٨٠).

ونشرت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتّحدة تقريرا عام ١٩٨٠ تقول فيه: «إنّ بيوت الدعارة في تايلندا تشتري كلّ أسبوع ٥٠٠ طفل اختطفوا من آبائهم، وإنّ سعر الطفل من ٥٠ إلى ١٠٠ دولار، وهؤلاء الأطفال من أجل اللواط والزنى من الجنسين، وإنّ تجارة الأطفال من أجل الجنس يساهم فيها كبار رجال الأعمال وضبّاط في الشرطة ومسئولون في دولة تايلندا، وقد تبيّن أن تجارتي الزنى والمخدّرات مرتبطتان معا، والمسئولون عنها من اليهود!».

وفي تقرير هيئة الصحة العالميّة: «أنّ عدد حالات الإجهاض الجنائيّ من الزنى كلّ عام يبلغ ٥٠ مليون طفل وذلك في إحصاء ١٩٨٤».

كما تبيّن أنّ الإحصائيّات في الولايات المتّحدة تُقرّر: «أنّ هنالك خمسة ملايين حالة إجهاض سنويّا رغم استعمال مانعات الحمل عند المراهقات، وأنّ ٦٠٠,٠٠٠ فتاة دون ١٤ سنة تلدن كلّ سنة من الزنى».

وفي تقرير لجنة يرأسها عضو مجلس الكونجرس الأمريكيّ (جورج ميللر): «أنّ ١٢,٥ مليون طفل في الولايات المتّحدة يعيشون مع أمّهاتهم فقط لأنّهم لا يعرفون لهم أبا في الأصل!».

وقد تبيّن أنّه يوجد في إسبانيا والبرتغال أكثر من مليون حالة إجهاض جنائيّ ناجم عن العمل من الزنى سنويّا، وبلغ عدد الإجهاضات في أمريكا اللاتينيّة ثلاثة ملايين إجهاض سنويّا.

وفي إحصاءات دقيقة تبيّن أنّ معظم حالات حمل المراهقات كان

الفاعل فيها آباؤهنّ أو إخوتهن أو أقاربهنّ أو رجال عابرون!.

وقد انتشر الزنى كذلك بين رجال الدين من الرهبان والقساوسة، فقد نشرت مجلّة [البريد اليوميّ] اللندنيّة: «أنّ ٨٠٪ من الرهبان والراهبات يمارسون الزنى، وأنّ ٤٠٪ منهم يمارسون اللواط والشذوذات الجنسيّة الأخرى».

وقد نشرت إحدى العاهرات الفرنسيّات في مذكّراتها: «إنّه كان من زبائنها ٣ بابوات وأكاردينالا».

وبيّنت دراسة في الولايات المتّحدة: «أنّ عدد الشاذّين جنسيّا فيها هو ١٧-٢٠ مليونا، وهنالك كنائس خاصّة تقوم بتزويج الذكور من الذكور والإناث من الإناث بحفلات زفاف خاصّة، ويتمّ عقد القران بواسطة قسّيس كنائسيّ!، كما أصبح المرشّح لرئاسة الجمهوريّة يجتمع بممثّل الشاذّين جنسيّا ويتعهّد له بدعمهم وتأييدهم إذا نجح في الانتخابات، وهذا ما فعله رئيس الجمهوريّة الأمريكيّة الأسبق (كنيدي)».

وتُخصّص جامعة (جورج ليامز) في الولايات المتّحدة الأمريكيّة منحا دراسيّة خاصّة وكثيرة للشاذّين جنسيّا فقط!.

كما دخل استعمال حبوب منع الحمل وآلية عملها بشكل رسميّ في المدارس الابتدائيّة والثانويّة والجامعيّة، ورغم ذلك مازالت أعداد الحوامل من الزنى في ازدياد ....![1].

(١) [الإيدز والأمراض الجنسيّة] (ص:٥٧-٥٩).

هذه حالة المجتمعات التي يدعونا بعض أنصاف (المثقّفين) للاقتداء بها والحذو حذوها فهي الحلم بالنسبة لهم.

ومن الآفات الخطيرة الناجمة عن انتشار البغاء:

الإجهاض:

الذي يؤدّي إلى الحيلولة دون قيام النفس البشريّة التي حرّم الله إتلافها إلاّ بالحقّ، وهو في شريعة الإسلام من أكبر الكبائر، ولا يجوز الإقدام عليه إلاّ في دوائر ضيّقة جدّا تكاد تنحصر في الخوف المتأكّد على حياة الأمّ.

أمّا أن يكون للإجهاض أقلامه المناصرة وجمعيّاته المطالبة ومراكزه المنفذّة فمخالفة صريحة لقيم العقل والنقل وتقهقر إلى غيابات الجهل.

إنّ الخلافة عن الله في الأرض هي وظيفة الإنسان التعبّديّة، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، والحيلولة دون قيام أيّ نفس من نفوس بني آدم بتحقيق هذه الوظيفة بقتل الإنسان أو بمنعه من الوجود أصلا ذلك يُعتبر جريمة الجرائم وذلك يعتبر تدخّلا في شؤون الله عزّ وجلّ. هل يدري القائمون على أجهزة تحديد نسل المسلمين مدى الجرم الذي يرتكبونه؟، كيف يتدخّل الإنسان الأحمق ليُحدّد عدد المشتغلين بالخلافة عن الله؟!، ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل:٦٠]، إنه فساد العقيدة وفساد العمل والسلوك والمسعى[1].

(١) [الغارة على الأسرة المسلمة] (ص:٣١).

تعترف (فاطمة) فتقول: «أسكن منطقة جبليّة وعرة يصعب الوصول إليها بوسائل النقل الحديثة إلاّ بالأرجل أو البغال أو الحمير، منطقة محرومة من كلّ ضروريّات الحياة، لا ماء ولا كهرباء ولا بيوت مبنيّة كما يلزم الحال، إنّها بيوت قصديريّة وبيوت من الطوب الأحمر، ليلا نوقد الشمع أو القنديل (الكانكي بالمازوت) وفي النهار ننزل للواد لجلب الماء لقضاء حاجياتنا به من شرب وغسل أنا وبنات حيّي.

وفي يوم من أيّام الصيف الحارّ الناس معظمهم نيام بعد الظهيرة خرجت برفقة ثلاث بنات من جيراني لنغسل الثياب في الواد ونستحمّ به نتيجة الحرارة التي أحرقتنا وطفحتنا، خرجنا دفعة واحدة وإذا بهنّ يسبقنني!، وأنا أمشي بخطوات متثاقلة خرج شاب من بين الأشجار المتكاثفة من الغابة التي نمرّ عبرها لنصل للواد، صرخت صرخات عالية لم تسمعني رفيقاتي ولا أهل الحي، كان ذلك الشاب من قريتنا تهجّم عليّ وفعل بي فعلته الدنيئة وهرب، وأسرعت مهرولة ورجعت إلى البيت من حيث أتيت، وجدت أسرتي كلّها نياما، غيّرت ثيابي ولم أبح بالسرّ لأحد وكأنّ شيئا لم يقع.

إلاّ أنّ ما لم يخطر ببالي حصل وكشفني بين والدتي وإخوتي البنات هو أنّني أصبحت حاملا!، وبدأت أعراض الحمل تظهر عليّ بدءا بانقطاع شهيّة الأكل القيء المتواصل وحبّ أكل بعض الأشياء مثل الليمون والحوامض بصورة عامّة وانقطاع العادة الشهريّة عليّ، إلاّ أنّ والدتي بحكم خبرتها وتجربتها تفطّنت للأمر واحتارت لما علمت بالحقيقة، ندبت جسدها من أعلى إلى أسفل ولم تنس خدودها وتقطيع شعرها!، عملت المستحيل لإجهاضي حتّى لا يفتضح أمري ويتسرّب الخبر خوفا من العار والفضيحة لأنّني من عائلة

ميسورة الحال لكن معروفة بجاهها وشرفها ومحافظتها، ولو علم والدي بسرّي لقتلني وشرّد عائلتي من أكبرهم لأصغرهم.

جرّعتني والدتي كؤوسا وكؤوسا من الخلّ، وطهت لي خشبة الطلح مع زرّيعة الفلفل الحارّ أشربها كلّما احتجت للماء، كانت تدلكني في اليوم الواحد مرّات ومرّات تصعد من فوق ظهري وتطلب منّي رفع الأثقال والقفز من الأعلى، استعملت لي (السلّة) التي يطلق عليها في بعض المناطق (الطرّاح) وهي الإبرة الكبيرة التي يُخاط بها (المطرح).

وبالفعل ... سقط الجنين في شهره الرابع، تضرّرت يومها كثيرا وبقيت على تلك الحالة مدّة شهرين اصطحبني نزيف دمويّ قويّ لم ينقطع بسرعة، وأحسست بأحشائي وهي تتقطّع، تدهورت صحّتي كثيرا ونقصت في الميزان، استرجعت ثقتي في نفسي لكن خسرت صحّتي فأنا بعد ٣ سنوات لم تبرح الأقراص والأدويّة أمعائي!»(١).

هذه بعض (ثمار) العنوسة ذكرناها في إيجاز شديد، ونضيف إليها: الجنون، الجريمة، قلّة النسل، وانتشار الزواج السرّيّ.

ثانيا: انتشار الزواج السرّيّ:

وهو الزواج الذي يُوصي فيه الزوج زوجته والشهود بكتمانه عن الناس خوفا من أهله أو من زوجته الأولى أو خوفا على مركزه وسمعته ...، وغالبا ما يتمّ عُرفيّا دون توثيق لدى المصالح الإداريّة.

(١) جريدة [الشروق العربي] (العدد:٦٠).

وإذا كان الزواج السرّيّ يلتقي مع الزواج العرفيّ في عدم التوثيق فإنّه ينفرد عن العرفيّ بالسرّيّة التامّة والكتمان، وهو زواج دائر بين الكراهة والبطلان، لأنّ الكتم من أوصاف الزنى وليس من هدي الإسلام في الزواج.

وقد ثبت عن النبيّ ﷺ أنّه قال: [فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ][1]، وعن عائشة: [أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ][2]، وأخرج الإمام مالك في [الموطّأ]: [أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أُتِيَ بِنِكَاحٍ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ فَقَالَ: هَذَا نِكَاحُ السِّرِّ وَلاَ أُجِيزُهُ وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِيهِ لَرَجَمْتُ].

وقد أخرج سعيد بن منصور في [السنن][3] وابن أبي شيبة في [المصنّف][4]: [عن الحسن أنّ رجلا تزوّج امرأة سِرّا فكان يختلف إليها، فرآه جار لها فقذفه بها، فاستعدى عليه عمر بن الخطّاب ﷺ فقال له عمر: بيّنتك على تزويجها؟، فقال: يا أمير المؤمنين تزوّجتُ امرأة على شيء دُونٍ فأخفيتُ ذلك!، فدرأ عمر الحدّ عن قاذفه وقال: حصّنوا فروج هذه النساء وأعلنوا هذا النكاح، ونهى عن المتعة][5].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذيّ وقال حديث حسن والنسائيّ وابن ماجه وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبيّ.

(٢) رواه البخاريّ.

(٣) [السنن] (٣/١/١٥٩، ١٦٠).

(٤) [المصنّف] (٣/٢/١٨٠، ١٨١).

(٥) [منهج السنّة في الزواج] (ص:١٦١).

وأخرج سعيد بن منصور في [السنن]: [عن الحسن أنّ رجلا تزوّج سرّا فقال له رجل: أراك تدخل على فلانة إنّك لتزني بها!، قال فرفع ذلك إلى عمر ﷺ فقال: هي امرأتي، فلم يجلد عمر القاذف][1].

والخاسر الأكبر في زواج السرّ هي المرأة، لأنّها لا تحمل دليل زواجها لا من المجتمع وشهادته ولا من الإدارة ووثائقها، إن حملت اتُّهِمت وإن مات زوجها لم يعترف ورثته بها زوجة لابنهم أو لأبيهم ولا بولدها ولا تملك من الإثباتات ما تقنع أولادها أنّهم من فراش حلال!.

ولا شكّ أنّ هذا الزواج ليس هو الذي أمرت به الشريعة الإسلاميّة السمحة، لهذا نُحذِّر من الزواج السرّيّ كما نُحذِّر من الزواج الشرعيّ غير الموثّق، ونرى أنّ توثيق عقد الزواج من جملة المصالح المرسلة.

«ذلك أنّ بعض الأشخاص يتزوّجون ويُنكرون الزواج أصلا بعد الدخول مباشرة لعدم قيام الحجّة عليهم، الشيء الذي يُسيء إلى سمعة المرأة وأهلها، وقد يكون الإنكار بعد مُدّة طويلة يتمكّن الزوج فيها من إنجاب الولد، أو تكون الأمور عكسيّة أصلا حيث يعمد من لا خلاق له إلى ادّعاء الزوجيّة من بعض الأحياء أو الأموات للتشهير أو الكيد أو طلب المال مُعتمدا في إثبات الزوجيّة هذه على شهادة شهود الزور وما أكثرهم في وقتنا الحاضر وما أسهل أمورا كهذه عند فاسدي الذمم»[2].

---

(١) [السنن] (١٦١/١/٢). [منهج السنّة في الزواج] (ص:١٦١).

(٢) [الخطبة والزواج] (للدكتور محمد محده) (ص:٣٠٠).

«والأسباب التي تدعو بعض الأزواج إلى إجراء العقود بعيدا عن المأذون الشرعيّ والمحاكم الشرعيّة تعود إلى أمور:

الأوّل : أنّ بعض الأزواج لا تتوافر فيهم الشروط القانونيّة التي يجب توافرها حين العقد، كأن يكون سنّ أحد الزوجين أقلّ من السنّ المنصوص عليه في القانون.

الثاني : أنّ بعض الأزواج قد لا يملك الإثباتات الرسميّة اللازمة لإجراء عقد الزواج، كأن لا يكون لديه جواز السفر أو هويّة شخصيّة لأنّه دخل تلك الدولة من غير إذن أو لأنه مُطارد في الدولة التي يعيش فيها لسبب من الأسباب.

الثالث : بعض الأزواج قد يرغب في كتمان زواجه لما يُحدثه الإعلام من إشكالات له، فبعض الأزواج يكون متزوّجا وله أولاد فإذا علمت زوجته الأولى وأولاده بزواجه سبّب له ذلك إشكالات، وقد تتزوّج المرأة النسيبة الحسيبة من رجل مغمور فإذا علم معارفها وأقاربها بزواجها منه (عيّروها) بذلك فتلجأ إلى الزواج العرفيّ المكتوم»[1].

قال الدكتور محمد محده: «هذه الأمور جعلت التوثيق في وقتنا الحاضر يدخل ضمن المصالح المرسلة، وأيّ مسلم يُريد توطين ابنته وإبعاد ما يُمكن تصوّره من خصام بعد الوفاة أو الطلاق أن يوثّق زواج ابنته وأن لا يتمّ الدخول إلاّ به.

---

(١) [أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنّة] (للدكتور سليمان الأشقر) (ص:١٧٦).

ومن ثمّ وإن كان الزواج الشرعيّ غير الموثق هو في حقيقة أمره زواجا كاملا يُبيح لكلّ من الزوجين التمتّع بالآخر ويُنشيء جميع الحقوق والالتزامات إلاّ أنّي لا أنصح بالاعتماد عليه وحده وتسليم الفتاة للزوج على أساسه لما قد ينشئه من مشاكل قبل الدخول أو بعده، سواء كان من هذه المشاكل ماديّا أو متعلّقا بالعرض والنسب.

ومن ثمّ فإنّنا نقول إذا كان التوجيه الربّانيّ في القرآن الكريم قد نصّ على توثيق الأمور المدنيّة بين الناس بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:٢٨٢]، فإنّ تسجيل عقد الزواج وتوثيقه ولكونه جامعا في أحكامه قطعا أكثر من الأمور المدنيّة هو من باب أولى»[١].

كلام أهل العلم حول زواج السرّ:

يقول الأستاذ مصطفى شلبي: «لو صحّحنا الزواج بدون شهود لاختلط الحلال بالحرام، وكان ذلك ذريعة للمعاشرة المحرّمة حيث لا يعجز الفاسق الذي يُعاشر امرأة في حرام عن دعوى أنّه تزوّجها، كما يفتح ذلك أبواب الريبة والظنّ السيّء، لأنّ الناس إذا وجدوا رجلا يتردّد على امرأة تزوّجها ولم يُعلن زواجها ارتابوا في أمره وظنّوا به الظنون.

وأيضا فإنّ الزواج تترتّب عليه حقوق لكلّ من الزوجين قبل الآخر من وجوب الطاعة ولزوم النفقة وحقوق للأولاد كالنسب والنفقات وغيرها،

---

(١) [الخطبة والزواج] (للدكتور محمد محده) (ص:٣٠٠،٣٠١)

وهذه الحقوق لا يمكن إثباتها إلاّ إذا كان الزواج مُعلنا مشهورا بين الناس ليخرج عن حدود السرّيّة التي هي سمة نقيضه وهو السفاح.

ومن هنا نرى الشرائع كلّها مُتفقة على إعلانه وإشهاره وإن اختلفت مسالكها في طرق الإعلان»[1].

ويقول العلاّمة الدكتور محمد الأحمديّ: «إنّ العلاقة الزوجيّة علاقة اجتماعيّة ونواة للبنة توضع في بناء المجتمع، وعمّا قليل ستأخذ من المجتمع وتعطيه، فمن حقّ المجتمع على هذه العلاقة أن يقرّها ويشهدها ويُشهرها وأن يعترف بها حتّى يتسنّى له بذلك أن يقوم بواجباته نحوها من الرعاية والحماية بعد أن يكون قد منح هذه العلاقة كلّ ما تستأهل من مكانة ومن قداسة.

وليس الإشهاد على النكاح ثمّ إعلانه سوى الخطوة التمهيديّة لهذا كلّه، وكلّ علاقة سرّيّة يمتنع الزوجان عن الإشهاد عليها وإشهارها لا تختلف عن الزنى وإن أخذت صورة الزواج، ومن ثمّ لا يعترف بها المجتمع ولا يلتزم إزاءها بواجب بل لعلّه يُسوّي بينها وبين الزنى في بعض ما يترتّب عليه من أحكام!.

إنّ العلاقة السرّيّة تفتح منافذ الظنّ السيّء والخوض في الأعراض والتفوّه على الناس ورميهم بالزنى، وذلك أمر يعصف بكيان المجتمع ويُعرّض سلامته ووحدته وأمنه للخطر. إنّ لكلّ من القائل والمقول فيه شبهة تدرأ حدّ القذف عن القائل وحدّ الزنى عن المقذوف.

---

(١) [أحكام الأسرة في الإسلام] (ص:١٠٦).

ولا ريب أنّ الشريعة أحرص ما تكون على تنمية العلاقات الإنسانيّة وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع، ولهذا تنهى عن التقوّل في أعراض الناس الذي يتسبّب ولا شكّ في العصف بكيان المجتمع، ولكنّها لا تغفل أن تنهى قبل ذلك عمّا يتسبّب في هذا التقوّل مثل نكاح السرّ.

وفضلا عن ذلك فليس في نكاح السرّ ما يُعين على سكون النفس وطمأنينة القلب ما دام كلّ من الزوجين سيكون هدفا لأعين المتطلّعين وألسن المتقوّلين وسهام القاذفين، وما شُرع الزواج إلاّ ليسكن كلّ من الزوجين إلى صاحبه، ومن هنا جاء الأمر بالإشهاد على الزواج ثمّ الأمر بإعلانه»[1].

ونختم هذا الفصل بكلام جيّد للشيخ محمود شلتوت نذكره بتمامه تعميما للفائدة يقول: «وإذا كان الزواج السرّيّ بنوعيه الذي لم يحضره شهود أو حضروه مع التوصية بالكتمان دائرا بين البطلان والكراهة، وأنّه يحمل السرّيّة التي هي عنوان المحرّم كان جديرا بالمسلم الذي شأنه أن يترك ما يُريب إلى ما لا يُريب أن يمتنع عنه ولا يقدم عليه ولا يزجّ بنفسه في مداخله الضيّقة التي لا تُحمد عاقبتها.

إنّ الزواج الذي لا يُفارق صاحبه الاضطراب القلبيّ والرعب والخوف من الأهل والأقارب والناس إذا ظهر واشتهر لا يُمكن أن يكون هو الزواج الشرعيّ الذي امتنّ الله به على عباده وجعله سكنا ومودّة ورحمة، لا يُمكن أن يكون هذا الزواج الذي يُكوّن الأسر ويحفظ الأنساب ويُنشيء علاقة المصاهرة بين الناس لا يُمكن أن يكون هو الزواج الذي يُكوّن الأسر ويحفظ

---

(١) [منهج السنّة في الزواج] (ص:١٦٠-١٦٢).

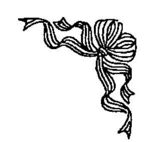
الأنساب ويُنشيء علاقة المصاهرة بين الناس، لا يمُكن أن يكون هو الزواج الذي رغّبت فيه شريعة أساسها في العقائد والأخلاق والأعمال الوضوح والعلانية وموافقة الظاهر للباطن.

وإنّ الشهادة لم تعتبر شرطا في صحة الزواج إلاّ لأنّها طريق في العادة لإعلانه وإشاعته بين الناس وبها يعمّ خبره ويشتهر ويستفيض، فإذا لم تكن الشهادة طريقا لإعلانه كان اتخاذها مجرّد احتيال بشهادة صوريّة على تحليل ما حرّم الله وكانت لا قيمة لها في نظر الشرع والدين.

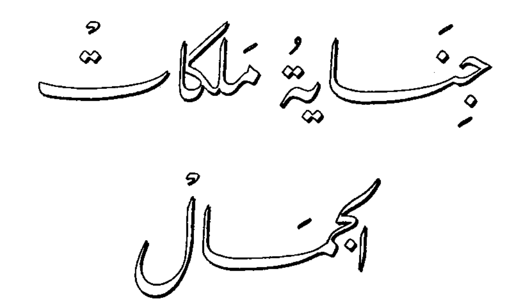
وإذا كان شأن المؤمن أن يستبرئ لدينه وعِرضه فإنّ الزواج السرّيّ يُعرّضه لريبة دينيّة من جهة الإعراض عن الأحاديث الكثيرة المرويّة عن الرسول القاضية بإعلان الزواج ولريبة عِرضيّة يحسّها في قرارة نفسه حينما يتخيّل أو يُقدّر ظهور الأمر بين الناس، ولا سبيل للتخلّص من هاتين الريبتين وهما من أقوى ما يُفسد على المؤمن إيمانه إلاّ بمكافحة الدواعي التي تُزيّن له هذا النوع من الزواج، وإنّ هذه الدواعي مهما بلغت في نظره لا قيمة لها أمام هاتين الريبتين، هذا ما يجب أن يعرفه الناس فيما يخصّ بالزواج السرّيّ»[١].



(١) [الفتاوي] (للشيخ محمود شلتوت) (ص:٢٦٩،٢٧٠).

الفصل الخامس






جنايةُ ملكاتِ الجمالُ

من نِعم الله تعالى على البشريّة أنّه وزّع الجمال في جميع جوانب الحياة، فنال كلّ موجود حظّه وقسمته من هذا الجمال الإلهيّ العظيم، وكان حظّ المرأة منه وافرا.

فليس للجمال تقاسيم ولا خطوط طول وعرض ولا مقاييس ولا موازين يوزن بها ولا شروط ولا مواصفات ....

وكما أنّ الله تعالى وزّع الجمال في جميع الموجودات اقتضت حكمته البالغة أن وزّع الأذواق والرغبات، فجعل لكلّ جمال مريدين ومحبّين وأنصارا.

وعلى هذا الأساس الربّانيّ الدقيق الحكيم كلّ امرأة مهما كانت صفاتها ومهما كان لونها وقدّها ... قد تكون جميلة في عين وذوق جزء من الرجال وذلك حظّها من الجمال، وسارت البشريّة على هذا الأساس السليم فوَجد كلّ جمال رواجه!.

تزوّجت السمينة لأنّ في أذواق الرجال من يحب ذلك، وقد سُئل امرؤ القيس: «ما أطيب لذّات الدنيا؟»، قال: «بياض رعبوبة بالحسن مكبوبة بالشحم مكروبة بالطيب مشبوبة»[١].

وتزوّجت الطويلة لأنّ في أذواق الرجال من يحب ذلك أيضا، وقد قال بهاء الدين بن زهير بن محمد المهلبيّ أبياتا يصف امرأة طويلة[٢]:

«وهيفا تحلّى الرمح لونا وقامة ... لها مهجتي مبذولة وفؤادي
لقد عابها الواشي فقال طويلة ... مقال حسود مظهر لعنادي
فقلت له بُشرت بالخير إنها حياتي ... فإن طالت فذاك مرادي
وما عابها القدّ الطويل وإنّه ... لأوّل حسن للمليحة بادي
رأيت الحصون الشمّ تحفظ أهلها ... فأعددتها حصنا لحفظ ودادي»

حتّى المرأة السوداء غمرتها رحمة الله ونالها من الإعجاب الكثير، فوجدت من أذواق الرجال من يستحسنها ويفضّلها على غيرها، ومن شِعر المكفوف في تفضيل السوداء على البيضاء:

«حب سود النساء من لذّة العيش ... على أنّه من حياة القلوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وِصال البيض ... والبيض مشبّهات المشيب»

ومن شعر ابن رشيق الأندلسيّ في جمال المرأة السوداء:

---

(١) [تحفة العروس] (للتيجاني).
(٢) [تحفة العروس] (ص:٢١٢).

«دعا بكِ الحسن فاستجيبي يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون كمقلة الشادن الربيب
فإنّما النور عن سواد في أعين الناس والقلوب»

هكذا اقتضت حكمة الله تعالى، من حق كلّ امرأة أن تتزوّج بما تتّصف به من جمال لأنّ في أذواق الرجال من يحبّ ذلك حتما.

لم يكن الجمال مُقَولبًا ولا مُحتكرا ولا مُعَولَمًا، إلى أن تلوّثت الأذواق وارتفعت الأخلاط واختلطت الأمزجة وتكسّرت أنابيب الجمال وفسدت ينابيعه ... وصار للجمال ذوقا ولونا ورائحة وكان اليهود وراء ذلك!.

نعم اليهود كانوا وراء فساد أذواق الرجال لمّا عمدوا فجعلوا للجمال مقاييس وخطوط طول وعرض وبنودا، واختاروا على أساس بنودهم (ملكات الجمال) وفق الجمال الذي أرادوه هم وأشاعوا أذواقهم الفاسدة في وسائل الإعلام التي يحتكرونها، فاستغلّوا لذلك الأفلام الإذاعات المجلاّت عارضات الأزياء ...، فأقاموا للجمال الذي أرادوه مسابقات دوليّة تحضرها شخصيّات عالميّة مؤثّرة في صناعة الرأي العام.

كلّ ذلك من أجل (عولمة الجمال) بعد عولمة الاقتصاد والثقافة!، وغزَوا عقول الرجال والشباب خاصّة حتّى صار للجمال عنوانا واحدا لا شريك له هو (الجمال الأوروبي).

ولم يُهملوا في نضالهم المستميت من أجل ترسيخ مفهوم واحد للجمال

سلاحا خطيرا وخطيرا جدا هو لعب الأطفال، فوظّفوا (الدمية) أحسن توظيف وشكّلوها وفق الجمال الذي أرادوه.

وها هي دمية (باربي) بشعرها الأصفر المتحرّر وعينيها الزرقاوين وطولها الممشوق تُرسّخ مفهوم الجمال الواحد في عقول أطفالنا وبناتنا على الخصوص حتّى ينشأ الطفل وهو لا يعرف من الجمال إلاّ ما أراده اليهود!.

وكان من ثمار ذلك أنّ غالب من يبحث عن شريكة حياته يبحث عنها من خلال الجمال الذي قرأه في إحدى المجلاّت الخليعة أو شاهده في إحدى المحطّات الأجنبيّة ....

بعد أن كان الجمال موزّعا على جميع النساء أصبحت الجميلة تقاس بمقاييس ملكات الجمال، فتعنّست آلاف الفتيات اللواتي لم يُسعفهنّ الحظّ فلم يُشبهن ملكات الجمال ولا الجمال الأوروبيّ!.

واسألوا شبابنا اليوم عن تصوّرهم للمرأة الجميلة، الجواب واحد ما شاهدوه في (البرابول) ...!، هكذا عولم اليهود الجمال؛ ولعلّك أُختِناه تتساءلين: لمَ يفعل اليهود ذلك؟، فأُجيب: الإفساد في الأرض والمال.

﴿ أمّا الإفساد في الأرض فاليهود روّاد هذا الميدان وسدنته وهي ميزة امتاز بها اليهود على غيرهم حتّى لكأنّها تبدو من خلال تاريخهم الأسود فطرة جُبلوا عليها لا يمكنهم الانفكاك عنها.

اليهود قتلة الأنبياء ومحرّفوا الكتب السماويّة حاملي لواء الرذيلة في العالم، بلغ من تدلّلهم على نبيّهم موسى عليه السلام أن طلبوا منه على مجونهم واستهتارهم

وفسقهم وخداعهم أن يريهم الله جهرة!.

اليهود الذين ما جفت أقدامهم بعد أن منّ الله عليهم بإنقاذهم من فرعون وشاهدوا بأمّ أعينهم معجزة تحوّل البحر إلى طريق فما كادت أقدامهم تطأ أرض النجاة حتّى ﴿قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

اليهود الذين حرّم علينا ديننا موالاتهم وحبّهم، بل حكم القرآن الكريم أنّ من يواليهم يصير منهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

اليهود الذين استباحوا دماء غيرهم بحجّة: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥]. وبلغ تبجّحهم وكفرهم أن قالوا: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

هم الذين يُزيّنون للعالم إقامة حفلات ملكات الجمال، والهدف واضح من وراء مثل هذه المسابقات تفجير أنوثة المرأة واستعمالها كوسيلة للإفساد وهو الفنّ الذي يتقنه اليهود أكثر. وسيستمرّون على إفسادهم [حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ][1]، وإنّ غدا لناظره قريب!.

---

(١) متّفق عليه.

- أمّا المال فأسهل طريق لكسبه هو الحصول عليه من خلال الجمال.

يجني اليهود سنويّا من وراء المتاجرة في الجمال ملايير الدولارات، فالجمال يدرّ عليهم أرباحا خياليّة نتيجة رواج بضائعهم المتمثلة في مختلف أنواع العطور خاصّة المؤثّرة على الجهاز العصبيّ للرجال ووسائل التجميل من أصباغ وفرشات وأقلام ومبارد وحقائب ومرايا وأحذية ومجوهرات وسلاسل وأقراط وخواتم وأساور ذهبيّة وساعات وباروكات وأدهان خاصّة بالشعر ومراهم وزيوت للبشرة وملابس خليعة إلى غير ذلك ممّا تفتّقت عنه عبقريّة اليهود في مجال الإفساد.

والمرأة التي اقتنعت أنّ الجمال له عنوان واحد وهو ما تُصوّره لها المجلاّت والمحطّات الأجنبيّة ... لا طريق أمامها إلاّ اقتناء أدوات الزينة الباهظة الأثمان علّها تقرّبها إلى معبودتها ملكة الجمال!.

تعنّست آلاف الفتيات لا لأنّهنّ لسن جميلات في الواقع بل لأنّ جمالهنّ لم تعد له سوق رائجة، مثلهنّ كمثل حقل من الزهور المختلفة ذات الألوان والروائح العديدة وكلّها أخّاذة وكلّها جميلة ومنعشة وشذيّة ولكنّ الناس لا تقبل إلاّ على نوع واحد من الزهور، ألا يكون مصير الأخريات الذبول؟، وهل يُلمن على ذبُولهنّ؟، وهل ذبولهنّ بسبب نقص جمالهنّ ونتن رائحتهنّ؟!، لا أبدا إنّه بسبب الطرف الآخر الذي قولبته وسائل الإعلام وحجبته عن الجمال في معناه الواسع الشاسع إلى معنى للجمال ضيّق ضامر.

وهنا ينفرد الإسلام والإسلام وحده بالعظمة ... فيكشف اللثام عن

مساحات جديدة من الجمال ما كان للناس أن يعرفوه لولا الإسلام الذي أعاد للوجود توازنه، الإسلام يلفت انتباهنا إلى فضاء واسع من جمال المرأة يعجز عشّاق الصور والألوان عن إدراكه.

يدلّنا الإسلام على نوع جديد وفريد من الجمال لا يزول ولا يتبدّل إنه جمال (ذات الدين) التي إن قُمت إلى الصلاة قامت خلفك وإن صمت صامت معك وإن قرأت القرآن تدبّرت قراءتك وإن غفلت ذكّرتك وإن أخطأت عذَرتك ....

ماذا يساوي جمال الصورة أمام جمال المرأة الهادئة والمرأة البسيطة والمرأة الخجولة والمرأة الجذّابة والمرأة الذكيّة والمرأة الحيويّة والمرأة المتواضعة والمرأة المعطاءة والمرأة الطيّبة والمرأة الحنونة والمرأة النظيفة والمرأة الوديعة الصبورة المنصفة الشريفة القنوعة ...؟.

تدبّري أُختِاه تخويف الله تعالى لنساء رسول الله ﷺ، تدبّري أنواع الجمال التي ذكرها الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ [التحريم][1].

لم تشر الآية أبدا إلى جانب الجسد بل اختارت أرقى أنواع الجمال المتعلّقة بالروح، إنّه جمال المسلمة المؤمنة القانتة التائبة العابدة الصائمة، هذه

(١) قوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾: يعني مخلصات، ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: مصدّقات، ﴿قَانِتَاتٍ﴾: مطيعات، ﴿تَائِبَاتٍ﴾: من ذنوبهن، ﴿عَابِدَاتٍ﴾: أي كثيرات العبادة لله تعالى.

الصفات يشير القرآن إلى وجودها في الثيّب والبكر على السواء.

هكذا عمل الإسلام على رفع الذوق العامّ لدى المسلم، ففتح عقله وبصيرته على جمال جديد منقطع النظير ما كان لينتبه إليه لولا هذا الدين الذي يُعلّم المسلم أنّ: [الدُّنيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ](١).

يقول ابن القيّم: «اعلم أنّ الجمال ينقسم إلى قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو جمال العلم والعقل والجود والعفّة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محلّ نظر الله من عبده وموضع محبّته كما في الحديث الصحيح: [إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ](٢).

وهذا الجمال الباطن يُزيّن الصورة الظاهرة، وإن لم تكن ذات جمال فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات، فإنّ المؤمن يُعطي مهابة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبّه وهذا أمر مشهود بالعيان، فإنّك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسودا أو غير جميل ولا سيما إذا رُزِق حظّا من صلاة الليل فإنّها تُنوّر الوجه وتُحسّنه؛ وقد كان بعض النساء تُكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت: إنّها تحسّن الوجه وأنا أحبّ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الرضاع) والنسائيّ (كتاب النكاح) وأحمد في [مسنده].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في [صحيحه] (كتاب البرّ والصلة) (١٢١/١٦) والإمام ابن ماجه في [سننه] (كتاب الزهد) (٤١٤٣) والإمام أحمد في [مسنده] (٢٨٠/٣، ٥٣٩) جميعا عن أبي هريرة.

أن يحسن وجهي.

وممّا يدلّ على أنّ الجمال الباطن أحسن من الظاهر أنّ القلوب لا تنفكّ عن تعظيم صاحبه ومحبّته والميل إليه.

وأمّا الجمال الظاهر فزينة خصّ الله بها بعض الصور عن بعض وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر:١]، قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة والقلوب مطبوعة على محبّته كما هي مفطورة على استحسانه.

وقد ثبت في [صحيح مسلم] عنه ﷺ أنّه قال: [لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ][1].

وكما أنّ الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضا على عبده يوجب شكرا، فإن شَكَرَه بتقواه وصيانته إزداد جمالا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قَلَبَهُ له شينا ظاهرا في الدنيا قبل الآخرة فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحا وشينا وينفر عنه من رآه، فكلّ من لم يتّق الله عزّ وجلّ في حسنه وجماله انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن

(١) أخرجه الإمام مسلم في [صحيحه] (كتاب الإيمان) باختلاف يسير في الألفاظ (١/١٩) عن عبد الله بن مسعود، وأخرج الإمام أحمد نحوه عن أبي ريحانة في [المسند] (٤/١٣٣،١٣٤).

يعلو جمال الظاهر ويستره» اهـ(١).

أرأيت أُختِيّاه خطر عولمة الجمال على المرأة؟، متى تُدرك المسلمات أنّ الجري وراء جمال مُقولب لا يزيدهنّ إلاّ خسارا وأنّ الأموال التي ينفقنها على أدوات الزينة تصب في الصناديق الإسرائيليّة؟!.

وأنتَ أخي المسلم، أرأيت كم كنت مغفّلا ومخدوعا لمّا صدّقتَ القنوات الأجنبيّة فأعرضت عن المرأة الطيّبة بحثا عن الطروبة، ولمّا غفلت عن ذات الدين واخترت الطين، ولمّا تركتَ ذات الاحتشام والصون والعفاف تتجرّع كأس العنوسة ورميت بنفسك في أحضان الألعبانات المتبرّجات المائلات المميلات تحت زعم إصلاحهنّ فذقت أنت مرارة الذلّ والهوان أضعافا مضاعفة؟!.

اِقرأ معي أخي الكريم ما خطّته أنامل أحد أعلام هذا العصر(٢) تحت عنوان:

وسواس خنّاس:

«زَيّن الشيطان لبعض الشباب وزيّن الوهم لهم أن يُسوّوا بين الفتاة المتديّنة الرصينة ذات الخَفَر والاحتشام فيجعلونها كغيرها ممّن أخلّت بواجب دينها بأن أماطت حجاب الاحتشام وتبرّجت أو قصّرت في واجباتها نحو دينها، وربّما تعالت عظمته طالما أنّ هذه الأخيرة بزعمهم أو زعمها تتعهّد بأن

---

(١) [روضة المحبّين] (لابن القيّم) (ص:٢٤١-٢٤٣).
(٢) [ماذا عن المرأة؟] (للدكتور نور الدين عتر) (ص:٤٧-٥٠).

تثوب(*) إلى رشدها وتُقوّم عوج طريقها، وهذا وهم فاسد يُخرج تكوين البيت المسلم عن سنّة النبيّ ﷺ وعمّا حَرَصَت عليه دعوة الإسلام.

يجب على الشباب المسلم أن يحتاطوا من الانحراف وراءه ولا يقدموا على أيّة خطوة تنفيذيّة للمفاتحة بالخِطبة ما لم تسبقها خطوات عمليّة من الفتاة تُثبت أنّها قد آلت للطريق القويم فعلا وأصبحت ذات دين حقّا.

وإنّا نُحذّر أنّ التساهل في السنّة في هذا الأمر وترك الأولويّات الشرعيّة ينطوي على نقائص كثيرة من حيث النتائج الدينيّة والدنيويّة، نذكر بعضا منها فيما يلي:

◇ إنّ الأوامر الشرعيّة صريحة في تأكيد إيثار ذات الدين على غيرها تأكيدا مطلقا، فمهما تأوّل الشاب لنفسه فهو مخالف لهذه السنّة الشرعيّة لا محالة محروم فضل التمسّك بها.

◇ إنّ عدوله عن ذات الدين إلى غيرها ممّن يظنّ أنّها ستكون ذات دين إنّما هو تشبّث بقيم دنيويّة من مال أو جمال، لكنّه يستر هذا على فطرته الميّالة للسنّة بهذا الأسلوب الخبيث، فلتكن يقظا من مثل هذه المكيدة التي تُزيّنها لك النفس.

◇ إنّ شأن الفتاة ذات الدين أنّها مأمونة السلوك والأخلاق على هدي الإسلام، أمّا تلك المخالفة التي ستكون كما تدّعي ذات الدين إذا تزوّجها الشاب المسلم المعتصم بعروة دينه الوثقى فأمرها في الغيب، وكم من

(*) ثاب (المثلّثة): رَجَعَ، تاب: نَدَمَ.

فتاة منهنّ وعدت وقطعت العهود وتظاهرت بالتنفيذ ثمّ أخذت بعد هذا تعمل سلاح الحِيل والكيد بالرضا من الزوج أو الكره ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف ﷺ] حتّى عادت سيرتها الأولى، بل إنّ منهنّ من استجرن وراءهنّ الزوج صاحب المثل الأعلى الوهميّ.

◇ إنّ الفتاة ذات الدين المتأصّل التي قد أسّست نفسها على التقوى بنفسها وبدافعٍ من ضميرها تختلف اختلافا كثيرا عن تلك التي أصلحت نفسها لغرض الزواج وإن كانت قد تزعم أنّها تحبّ التديّن بل لابدّ أنّها ستزعم ذلك، والسبب في هذا الاختلاف أنّ هذه الأخيرة تديّنها ناشئ من الانتفاع وتلك تديّنها نابع من الاتّباع مدفوع من صميم قلبها ومشاعرها بقوّة الاقتناع، وشتّانَ ما بينهما كما أنّه شتّان ما بين مسجد أُسّس على التقوى من أوّل يوم وبين بيت أُسّس على غيرها ثمّ طلي لاقتضاء الظروف بطلائها.

◇ إنّ العلاقة بين الخطيبين ثمّ بين الزوجين ذات طبيعة خاصّة غير العلاقة التي يُفتقر إليها إصلاح حال المرأة، فكلّ واحد من الخطيبين يُجامل الآخر ويتودّد له إلى أبعد الحدود، والفتاة التي يُصّر فتاها على التديّن مضطرّة لمجاراته إلى أكثر ممّا يطلبه، فإذا دخلت بيت الزوجيّة بحقوقها المترتّبة عليه وخلت إلى نفسها عن زوجها ولحَظَت سلطتها التي تملكها أصبحت علاقتها بزوجها في قوّة تملك فرض نفسها ممّا يؤدّي في كثير من الأحيان إلى عودة المسيرة إلى طريقتها الأولى أو بعض طريقها الأولى.

◇ إنّ هذا المنطق يؤدّي إلى أن تكون الفتاة التي لا تتقيّد ولا تلتزم بواجباتها الدينيّة أحسن حالاً في كسب فرص الزوج التي هي فرصة العمر

بالنسبة للمرأة، لأننا بهذا المنطق نجعل لها الفرص للزواج مفتوحة أمامها أكثر من تلك التقيّة الصالحة، لأنها بحالها هذه مستعدّة للزواج من كلّ راغب كما هو معلوم ومشاهد، أمّا تلك الديّنة الصيّنة فليست مستعدّة للزواج إلاّ ممّن [تَرضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ]، فإذا بهذا الذي تنتظره عروسه المؤمنة تحت ظلّ الإسلام يصدف عنها إلى مضادتها المواكبة لمسيرة التقليد الأجنبيّ الفاسد الفاسق!، ثمّ العَجَب أنه يريد أن يكون له سهم الذي ملك هواه على ما جاء به رسول الله ﷺ من إيثار ذات الدين كامل موفّرا!.

◇ إنّ قوام التديّن لا ينفصل أبدا عن التشبّث بأهداف الشرع من دافع قلبيّ يفرض على السلوك الاستقامة وفق أحكام الله تبارك وتعالى، وليعلم كلّ شابّ مسلم أنّ الإسلام له سياسة في الزواج تلحظ مستقبل الأمّة بأن يكون الزواج وسيلة لدعم المجتمع المسلم وإمداده بناشئة مسلمة حقّا، فهذه الزوجة التي انطلقت في تديّنها من تأثير نفعيّ مهما قلنا أنّها ستعمل لتحقيق تنشئة الأولاد على الدين فلن يكون لها من الأثر ما يكون لمن نشأت فتاة متديّنة من أصل نشأتها أو من تلقاء نفسها، لأنّ هذه السيّدة المؤمنة المتحقّقة بهذا الإيمان من يقين قلبها تنفخ في أولادها روح التديّن من قلب مكين بالإيمان وروح بعيدة الغور في أعماق النفس ممّا يجعل لها أثرها الكبير في تربية تصل إلى أعماق قلوبهم ومشاعرهم، تربّيها على التديّن والتقوى وتؤثّر فيها تأثيرا لا يوزن به تأثير غيره.

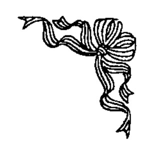
◇ إنّ لهذه النشأة الأصيلة الكريمة لنفس المرأة أثرها في قيامها بحقّ زوجها عند غيابه، فترعاه في نفسها وفي عِرضه وفي ماله وكرامته ممّا لا يوزن به جمال يفقد أثره بعد الفترة الأولى من الزفاف وقد يتحوّل ويزول أو أيّ

عرض دنيويّ آخر.

وذلك ما أشار إليه الحديث النبويّ الذي يحضّ الأمّة على رعاية عنصر الدين في الزواج ويحذّر من العدول عن هذا الأصل الهامّ الحيويّ: [لاَ تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلاَ تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ][(١)]».



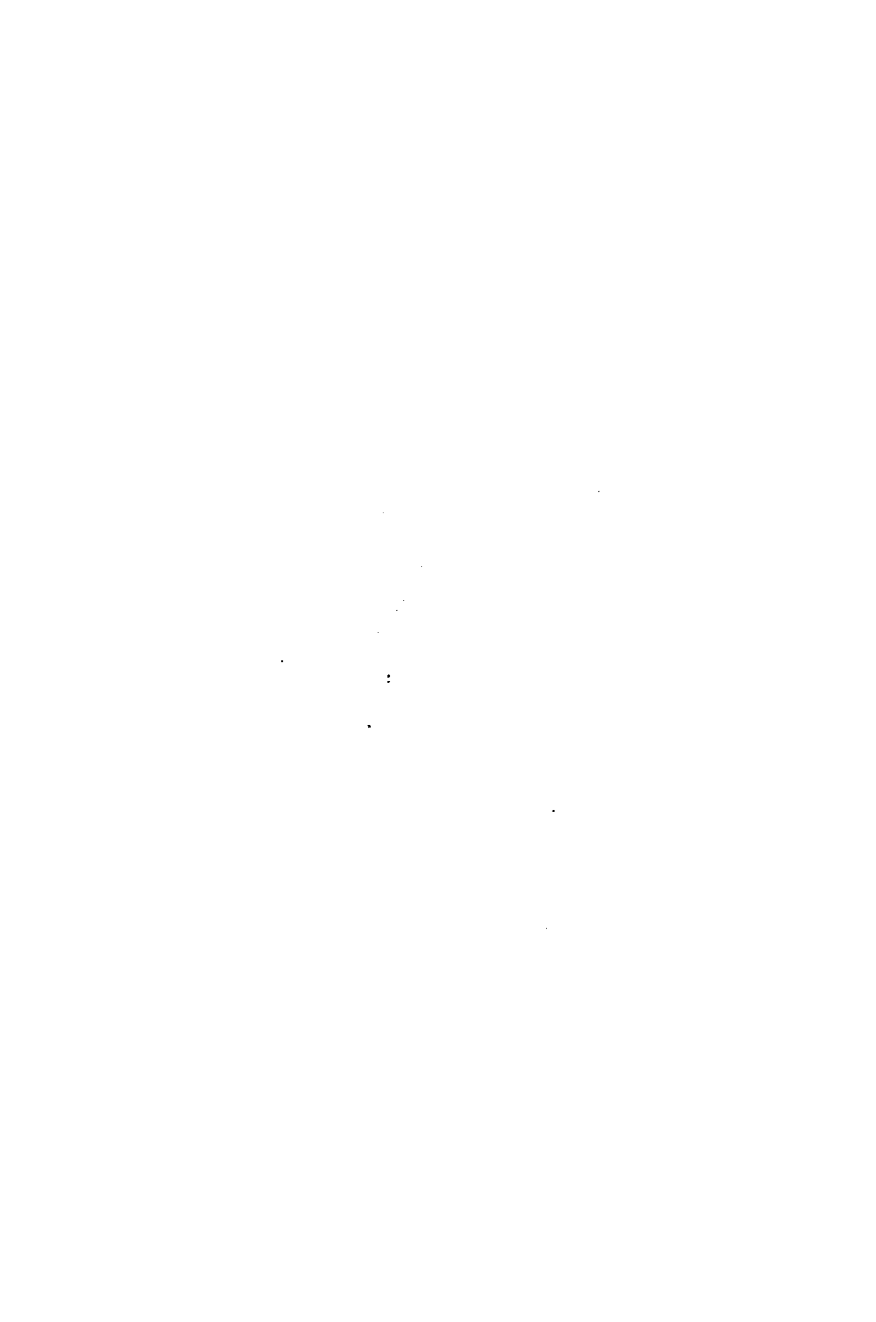
(١) الحديث ورد من أكثر من وجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن عوف بن مالك الأشجعيّ، وصحّحه ابن حبّان فأخرجه في [صحيحه]، وأخرجه أيضا ابن ماجه والبزّار والبيهقيّ.

الفصل السادس

حتى لا تتعنس فتياتنا



حتّى لا تتعنّس فتَياتنَا

١) تشجيع الزواج المبكّر:

حتّى لا تتعنّس بناتنا وأخواتنا علينا أن نشجّع الزواج المبكّر، فالقاعدة أنّ شابًا غير متزوّج تعني شابًا غير مستقرّ، وشاب غير مستقرّ تعني مجتمعا غير مستقرّ، فإشاعة الزواج المبكّر والحثّ عليه ليست لصالح الشاب والبنت فقط بل هي لصالح استقرار المجتمع كلّه.

ولا نقصد بالزواج المبكّر الزواج من الصغيرات والصبيات اللواتي لم يبلغن بعد، إنّما نقصد به تشجيع الشباب على الزواج متى توفّرت الاستطاعة وبتشجيع البنت على الزواج متى قصدها كفء لها.

إنّ آلاف الأوانس تعنّست لأنّهنّ لم يجدن من يشجّعهنّ على الزواج المبكّر، بل على العكس وجدن من تنصحهنّ باستغلال الشباب والتمتّع الحياة ...، كلّما قصدها خاطب إلاّ ووجدت من تقول لها: دعكِ من

التفكير في الزواج تمتّعي بحياتك ....، وتُصوّر لها الزواج على أنّه قيد وسجن تدخله المرأة، فتنصاع البنت لمثل هذه النصائح القذرة ولا تتبيّن زيغها إلاّ وقد تعنّست!.

٢) التخلّي عن التقاليد البالية:

حتّى لا تتعنّس بناتنا علينا أن نتخلّى عن التقاليد البالية المتحجّرة التي تسكن كثيرا من الأدمغة الفارغة والتي تكاد تحلّ محلّ الدين الحقّ أو أنّها في بعض الأحيان قد حلّت محلّه، ونخصّ منها:

١) الزواج على أساس العِرق والعرش:

الزواج على أساس العِرق كزواج الأمازيغيّ من الأمازيغيّة والعربيّ من العربيّة ... وهي بدعة جاهليّة.

وأنا أدعو إلى عكس هذا، أدعو إلى أن يتزوّج العربيّ قبائليّة وإلى أن يتزوّج الأمازيغيّ عربيّة ... حتّى تختلط الانساب، وفي اختلاط الأنساب نجني التحابّ بين أبناء الأمّة الواحدة ونكون قد حصّنّا (وحدتنا الوطنيّة) بحصن متين، ولا أرى دعما لوحدتنا الترابيّة أفضل من اختلاط الأنساب حينها يُنادي كلّ من العربيّ والأمازيغيّ ... للآخر: يا خالي، ويكون من نتائج اختلاط الأعراق أبناء لا هم بأمازيغ ولا هم بعرب ... شعارهم مسلمون وكفى!.

٢) الكبيرة أوّلا:

من التقاليد البالية المنكرة التي شاعت عند كثير من الأسر توقف زواج الصغيرة على زواج الكبيرة أوّلا!، وهي بدعة شائعة طالما تعنّست فتياتنا بسببها.

وهم يشترطون زواج الكبيرة أوّلا حتّى لا تتعنّس وتصاب في مشاعرها، وكانت النتيجة أنّهم عنّسوا جميع بناتهم!، فكلّما خُطبت بنت من البنات إلاّ ورفض والدها لأنّ أختها الكبيرة لا زالت لم تتزوّج فتتعنّس البنت بسبب أختها الكبيرة.

وهذا العمل الجاهليّ يورث لدى البنات كره أختهم الكبيرة وبغضها وتحميلها مسئوليّة عنوستهنّ لأنّهنّ ينظرن إليها كما ينظر العطشان إلى حاجز يمنعه عن الماء.

وتحت عنوان:

الكبيرة أوّلا لماذا؟:

كتب بمجلّة [النور] الكويتيّة محمد رشيد العويد: «إلى أختي العانس، لفت انتباهي خبر نقلته وكالة الأنباء الفرنسيّة في ١٥ محرّم ١٤١٧ الموافق ٠١ جوان ١٩٩١ عن إقدام ثلاث أخوات هنديّات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات لعدم قدرتهنّ على احتمال فكرة البقاء دون زوج!.

وقال ناطق باسم شرطة (بومباي): «إنّ الأخوات الثلاث كنّ يعتبرن

أنّ حظوظهنّ في الزواج تكاد تكون معدومة واعتبرن أنّهن لا يملكن خيارا آخر سوى الانتحار».

وقد انتحرت الأخوات الثلاث (فيجايانتي) ٣٠ عاما و(شاكونتالا) ٢٥ عاما و(ياموناسوفارنا) ٢٠ عاما في ضاحية العاصمة الاقتصاديّة والماليّة للهند.

وقال الناطق باسم الشرطة: «إنّ والد المنتحرات الثلاث أعلن أنّه لم يتمكّن من العثور على زوج لابنته الكبرى ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوّج الأولى!».

ويُذكَر أنّ معظم حالات الزواج في الهند يجري ترتيبها من قبل العائلات التي تختار لأبنائها أزواجا من الفئة نفسها التي تنتمي إليها، وتتزوّج الفتيات عادة صغيرات السنّ، ويجدن صعوبة في العثور على زوج بعد الخامسة والعشرين.

هذا ما جاء في الخبر نقلته إليك أختي كما نُقِل ونُشر دون إضافة منّي أو حذف، وأرى أنّ في الخبر توجيهين لك أرجو أن تقفي معي عندهما في محاولة للاستفادة منهما:

التوجيه الأوّل: نستخلصه من تلك العادة الخاطئة بعدم تزويج البنت الصغرى ما لم تتزوّج الكبرى أوّلا، هذه العادة للأسف موجودة لدى كثير من الأسر ليست في الهند وحدها ولكن في كثير من بلدان المسلمين أيضاً!.

ويخطئ الآباء والأمّهات حين يردّون الخاطبين لبناتهم وهم يقولون لهم:

لن نُزوّج أيّ بنت قبل أن تتزوّج أختهنّ الكبيرة.

سبحان الله ... قد لا تتزوّج الكبيرة أبدا فهل تبقى الصغيرات دون زواج حتّى يُصبحن كبيرات أيضا؟!، كيف يخضع الآباء والأمّهات إلى مثل هذا التقليد الخاطئ حتّى ولو كان بسبب نيّتهم وحرصهم على تزويج الكبرى؟!.

وقد تسألين أختي الفاضلة وأنت تقرئين هذا التوجيه: إنّه للآباء والأمّهات وليس لنا نحن البنات أليس كذلك؟!.

وأجيبك فأقول: بل فيه توجيه لكِ أيضا إن كنت أختا كبرى، إذ تستطيعين أن تصارحي أمّك وتقولي لها: لا تظلموا أخواتي بسببي، لماذا ترفضون من يتقدّم إليهنّ؟!، أعلم أنكم تفعلون ذلك حرصا عليّ لكنّني لا أريد أن تُظلم أخواتي بسببي، لا أريدهنّ أن يكرهنني مع الزمن حين يشعرن أنّني عثرة في طريق زواجهنّ، ستكسبين تقدير والدتك ومحبّة أخواتك ورضى ربّك إن شاء الله، لأنّك بهذا تؤثرينهنّ على نفسك وتعودين برضا عظيم في نفسك وحلاوة كبيرة في قلبك، هذا هو التوجيه الأوّل.

التوجيه الآخر: الذي يحمله الخبر بل التحذير الآخر الذي يتضمّنه الخبر التحذير من التفكير في الانتحار لا الانتحار نفسه، فالمسلمة المؤمنة تعلم أنّ الانتحار محرّم في الإسلام وأنّ مصير المنتحرين نار جهنّم نعوذ بالله منها جميعا.

إنّ المسلمة المؤمنة لا تسمح لإبليس اللعين بأن يوسوس لها بهذه الفكرة، فهي تستعيذ منها فور ورودها إلى ذهنها وتتذكّر رحمة الله الواسعة وأنّ

الدنيا ليست كلّ شيء بل هي لا تشكّل إلاّ نسبةً ضئيلة جدّا جدّا إلى الآخرة، إنّها كنسبة من يضع إصبعه في البحر ثمّ يخرجه كما أخبرنا ﷺ، هل رأيت كم هي الدنيا ضئيلة حقيرة بالنسبة إلى الآخرة؟!، إنّها نسبة ما تخرج به إصبعك من ماء البحر إلى البحر كلّه!، هل هي نسبة واحد إلى مليون واحد إلى مليار إلى ألف مليار إلى مليار مليار ...؟!، إنّها أقلّ من هذه النسبة بكثير، فهل تحرمين نفسك من السعادة الأبديّة في الجنّة من أجل زواج في دنيا زائلة قصيرة حقيرة ... لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة؟!، إذا كانت الدنيا كلّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فكم يحتلّ زواجك على هذا الجناح؟!.

الحمد لله أنّنا لم نسمع عن مسلمة انتحرت لأنّها لم تتزوّج، لكنّنا كثيرا ما نسمع بنات لم يتزوّجن يرددن ساخطات: الموت خير لي، أموت أحسن، الله يلعن هذه الحياة التي لا زوج فيها ولا أولاد، وغيرها وغيرها.

الزواج ليس كلّ شيء في هذه الحياة الدنيا، إنّ مجالات السعادة فيها كثيرة متنوّعة، فاجعلي من ساعاتها وأيّامها خزائن تملئينها بالعمل الصالح الذي تكسبين عليه ملايين الحسنات من الله سبحانه وتعالى.

وصدّقيني أنّ آلاف الزوجات اللواتي ابتلين بأزواج قساة ظلمة يشتهين الموت أكثر من كثيرات من العوانس، ولعلّ بعضهنّ أقدمن على الانتحار!، فكان زواجهنّ سببا في حرمانهنّ من الحياة وكسب العمل الصالح فيها ثمّ حرمانهنّ من الجنّة ونعيمها للخلود في النار وجحيمها!، فأيّ خسارة أعظم بعد هذا الخسران المبين؟!.

صحّحي تصوّراتك أختي المؤمنة وأقبلي على الحياة بالحرص على عمل الصالحات فيها لزيادة رصيدك من الحسنات وملء صحيفة أعمالك منها»[١].

٢) ولائم المباهاة:

من التقاليد البالية والبدع المنكرة التي لابدّ أن تزول والتي تقف حاجزا في سبيل تيسير أمر الزواج على شبابنا (ولائم المباهاة) التي تقام لا لإعلان الزواج كما نصّ عليه الإسلام وإنّما للتفاخر والمباهاة والتبذير الفاحش، وغالبا ما يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء.

وولائم المباهاة من جملة المنكر الذي تعارف الناس عليها عندنا، فلا بدّ للعروسة من موكب يضمّ عشرات السيّارات وتخصّ سيّارتها بعناقيد الزهور الباهضة الأثمان، ثمّ لابدّ للعرس من لوز وجوز ولحوم وشحوم ودقيق ومَرَق ....، ثمّ لابدّ أن ينصرف المدعو للوليمة بالحلويّات إلى أهله فضلا عن عدد المدعوّين والذي يفوق المِائة شخص من الرجال فقط، أمّا من النساء (الأكولات) فلا يمكن عدّهنّ ولا حصرهنّ!.

وقد يأتي الناس إلى الوليمة دون دعوى!، لا يهمّهم في كلّ هذا إلاّ إشباع بطونهم مجّانا على نفقة العريس ليذهبوا بعد ذلك إلى بيوتهم محمّلين بالحلويّات ويذهب هو إلى عروسه محمّلا بالديون!، وربّما يفعل كلّ ذلك مجبرا غير مختبر.

فكثيرا ما رأينا عريسا متديّنا أمنيّته أن يتزوّج وفق تعاليم الإسلام حتّى

(١) مجلّة [النور] (عدد:١٤٣) بتصرّف يسير.

يبارك الله له في زوجه وأولاده، لكنّه عند دنوّ الوليمة يجد نفسه محاصرا من طرف الأهل والأقارب يؤنّبونه ويذكّرونه بفلان وفلان ويختلقون له كلّ أسباب التبذير، بل فيهم من تخاصمه أمّه إن لم يحضر المغنّية الفلانيّة وربّما يخاصمه أهل العروسة إن لم تكن الوليمة وفق المقاييس التي أجمع عليها كلّ من دعاة الهوى وأنصار النفس، وحتّى لا يُعاديه الأهل وحتّى لا تلوكه ألسنة السوء يخضع المسكين لرغباتهم فيكون تعيسا في يوم الأصل فيه أن يكون سعيدا، ألا قاتل الله (الديكتاتوريّة)!.

والسبب في كلّ هذا أنّ الناس خالفوا التعاليم النبويّة وتركوا الاقتداء برسول الله ﷺ.

وإلى الآباء والأمّهات والعرسان أذكر وأُذكّر بما ورد في الوليمة عن رسول الله ﷺ.

معنى الوليمة:

الولائم: جمع وليمة وهي الطعام المتّخذ للعرس، واشتقاقها من الوَلْم وهو الجمع وأصلها من اجتماع البنية، يقال: ولم الغلام إذا اجتمع عقله وخلقه، وسمّي القيد في الرجل ولْمًا لأنّه يجمع الرجلين.

قال القاضي أبو الطيب: «والأشهر استعمالها عند الإطلاق في النكاح وتُقيّد في غيره»، وقال السراج البلقيني: «سمّيت بذلك لاجتماع الزوجين».

وفي الشرع: الاجتماع على طعام مدعوّ إليه لحادث سرور بشروط

معتبرة على وجه مخصوص[١].

وليمة العرس:

وهي سنّة لثبوتها عن النبيّ ﷺ قولا وفعلا، ففي [السنن الأربع] عن أنس أنّ النبيّ ﷺ أولم على صفيّة بسويق وتمر، وفي [الصحيحين] عنه أنّه عليه الصلاة والسلام جعل وليمته التمر والسمن والأَقْطُ[٢].

قال الإمام الأُبيّ من المالكيّة: «الوليمة عندنا مستحبّة، وأوجبها داود والشافعيّ في أحد قوليه للأمر بها في الحديث ولقوله: [وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ][٣]، والأمر عندنا للندب والعصيان في ترك الإجابة لا في ترك الوليمة، ولا بُعد في أن تكون الدعوة غير واجبة والإجابة واجبة كالسلام الابتداء به غير واجب وردّه واجب»[٤].

وقد أجمعوا على عدم وجوبها لأنّه عليه الصلاة والسلام أولم على صفيّة

---

(١) [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (للعلاّمة شمس الدين محمد بن عليّ بن طولون الدمشقيّ الصالحيّ) (تحقيق: نزار أباظة) (طبع دار الفكر، الطبعة الأولى) (ص:٣٩،٤٠) بتصرّف.

(٢) الأَقِطُ والإِقْطُ والأَقْطُ: شيء يُتّخذ من اللبن المخيض يطبخ ثمّ يترك حتّى يمصل، والقطعة منه أقْطَة، قال ابن الأعرابيّ: «هو من ألبان الإبل خاصّة». [اللسان].

(٣) رواه مسلم.

(٤) [إكمال إكمال المُعْلِم] (٤/٤٦).

بنت حُيَيّ سيّدة قريظة والنضير مع جمالها ونسبها إلى ما روي بحيس[١] وهو تمر وأقط وسمن وفي رواية بحيس من تمر وسويق، وأولم على بعض نسائه بمدّين[٢] من شعير، ومواظبته عليه الصلاة والسلام على فعلها سفرا وحضرا محمول على تأكّد السنّية[٣].

وقت الوليمة:

قال النوويّ في [شرح مسلم]: «واختلف العلماء في وقت فعلها، فحكى القاضي -يعني عياض- أنّ الأصحّ عند مالك وغيره أنّه يستحبّ فعلها بعد الدخول، وعن جماعة من المالكيّة استحبابها عند العقد، وعن ابن حبيب المالكيّ استحبابها عند العقد وعند الدخول».

قال السبكيّ: «لم يتعرّضوا لوقتها، والمنقول عن فعل النبيّ ﷺ أنّها بعد الدخول يعني ما في [صحيح البخاريّ] و[الترمذيّ] و[النسائيّ]، قال أنس:

---

(١) الحيس: الخلط ومنه سمّي الحيس وهو تمر يخلط بالسمن وأقط فيعجن، وفي [اللسان]: هو التمر البرنيّ والأقط يدقّان ويعجنان بالسمن عجنا شديدا ثمّ يندر منه نواة التاج، وفيه أقوال أخر.

(٢) المُدّ: ضرب من المكاييل وهو ربع صاع وهو قدر مدّ النبيّ ﷺ، والصاع: خمسة أرطال، والجمع أمداد ومِدد ومِداد كثيرة ومِدَدَة، قال الجوهريّ: «المُدّ بالضمّ مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعيّ، ورطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة، والصاع أربعة أمداد، وقيل إنّ أصل مقدار المدّ مُقدّر بأن يمدّ الرجل يديه فيملأ كفّيه طعاما. [اللسان].

(٣) [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (ص:٤١،٤٢).

[بَنَى النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ فَأَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ رِجَالاً إِلَى الطَّعَامِ]»[١].

التطفّل والطفيليّون:

يحرم التطفّلُ وهو إتيان الإنسان إلى طعام لم يُدع إليه، قال في [الاستقصاء]: «ومن لم يُدع إلى طعام فلا يجوز له أن يدخل، فإن دخل وأكل من غير إذن كان ما أكله حراما عليه لما روي في حديث ابن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال: [مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا][٢]» اهـ، وروى البيهقيّ نحوه.

وقال ابن العماد: «الضيفن: الرجل الذي لا يعزم عليه ولكن إذا رأى الضيوف تتبعهم واستحي صاحب المنزل أن يمنعه من الدخول، وجميع ما يأكله الضيفن حرام، والضيفن هو الطفيليّ» اهـ[٣].

شهادة الطفيليّ مردودة:

قال ابن الصبّاغ: «قال في [الأمّ]: «ومن ثبت أنّه يحضر الدعوة من غير دعاء من غير ضرورة لا يَستأذن صاحب الطعام وتكرّر ذلك منه رُدّت شهادته لأنّه يأكل محرّما إذا كانت الدعوة دعوة رجل من الرعيّة، فإن كانت دعوة سلطان أو من ينيبه السلطان فهذا طعام لا بأس به» اهـ، إنّما اشترط تكرّر ذلك لأنّه قد يكون له شبهة حتّى يمنعه صاحب الطعام، فإذا تكرّر ذلك

(١) [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (ص:٤٤).
(٢) رواه أبو داود (كتاب الأطعمة) (٣٤١/٣).
(٣) [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (ص:٨٧،٨٨).

منه صار دناءة وقلّة مروءة، وإذا تبع المدعو غيره لم يمنعه ولم يأذن له بل يعلم به الداعي، ويستحب له أن يدعوه إذا لم يكن فيه ضرر»[١].

وليمة عقد النكاح[٢]:

وهي مستحبّة لقوله عليه الصلاة والسلام: [أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ][٣]. والنكاح هو حقيقة في العقد على الصحيح، وأراد ﷺ مخالفة الزنى ولهذا قال: [وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ] زيادة للشهرة، وأكّد ذلك بقوله: [وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ]، وروى محمد بن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: [فَصْلٌ بَيْنَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ][٤].

شروط تلبية الدعوة:

يجب تلبية وليمة العرس بشروط:

الأوّل : أن لا يخصّ الأغنياء، بل يعمّ الداعي بدعوته جميع عشيرته أو جيرانه أو أهل حرفته أغنياءهم وفقراءهم، فإن وقع التخصيص فلا تجب الإجابة لقوله ﷺ:

---

(١) [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (ص:٨٩).

(٢) ويُقال لها: وليمة المِلاك.

(٣) رواه الترمذيّ.

(٤) رواه الإمام أحمد وصحّحه ابن حبّان وجماعة وحسّنه الترمذيّ، وألزم الدارقطنيّ مسلما إخراجه. [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم] (ص:٩٥).

[شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ](١).

الثاني : أن يخصّه بالدعوة بنفسه أو يبعث إليه شخصا، وصريحه أن يقول: «أسألك الحضور»، أو: «أحب أن تحضر»، «وإن رأيت أن تجملني بالحضور» ....

الثالث : أن لا يكون إحضاره لخوف منه، قال الحصنيّ: «لكونه من الظَّلَمَة أو أعوانهم أو كونه قاضي الظلمة أو أعوانه ونحو ذلك، وأن لا يطمع في جاهه أو ليعاونه على باطل بل ليكون للتقرّب والتودّد».

الرابع : أن لا يكون هناك من يتأذّى به بحضوره أو لا يليق به مجالسته، فإن كان كذلك فهو معذور في التخلّف، كأن يدعو السفلة مثل شاربي الخمور وقابضي الرشاوي وآكلي الربا ولاعبي الميسر -مثل: اللوطو الرياضيّ، وكورة + ...-.

الخامس : أن لا يكون هناك منكر، لقوله ﷺ: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَقْعُدَنَّ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ](٢)، والنهي يقتضي التحريم.

---

(١) رواه البخاريّ.

(٢) رواه الإمام أحمد، وحسّنه الترمذيّ، وصحّحه الحاكم وقال: «إنه على شرط مسلم».

أنـواع من المنكرات:

قال الحصنيّ من أئمة الشافعيّـة: «فإن كان هناك منكر كشرب خمر والملاهي المحرّمة كفرش حرير أو كـانت الفـرش مـأخوذة بغير حـقّ أو آلات لهـو كالأوتـار أو كـان الحـادي فاسقـا أو امـرأة أو أمـرد أو النساء والرجال مختلطين، فإن كان شيء من ذلك نَظَر إن كان ممّن إذا حضر رفع المنكر فليحضر إجابة للـدعوة وإزالـة المنكـر وإلاّ حرم عليه الحضـور لأنّـه كالرضى بالمنكر وإقراره»، قال البلقينيّ: «وإن لم يكن ممّن إذا حضر رفع المنكر حرم الحضور».

ومن المنكر ما لو كان هناك داعيـة إلى بدعة ولا يقـدر المـدعو عـلى ردّه، أو مضحـك بـالفحش والكذب كما قال الغزاليّ في [الإحياء]، أو هنـاك آنية ذهب أو فضّة كما قاله النوويّ في [شرح مسلم].

السادس : أن يدعوه في اليوم الأوّل، فلو أولـم ثلاثـة أيّام فلا تجـب في اليـوم الثـاني بلا خـلاف بـل تستـحب، ولا يتأكّـد استحبابها كـاليوم الأوّل، وتكـره الإجابـة في اليوم الثالث وقيل خلاف الأولى لقوله ﷺ: [الْوَلِيمَةُ أَوَّلَ يَـوْمٍ حَـقٌّ وَالثَّـانِيَ مَعْـرُوفٌ وَالثَّـالِثَ رِيَـاءٌ وَسُمْعَةٌ][1].

(١) رواه الأربعة بسند جيّد.

السابع : أن يدعوه مسلم، فإن دعاه ذمّيّ فلا تجب الإجابة على ما قطع به الجمهور، وقال القونويّ: «ولا يكون الاستحباب في إجابة دعوته كالاستحباب في إجابة دعوة المسلم في سائر الولائم» اهـ، لأنّ مخالطته مكروهة لأنّه قد يُستقذر طعامه لاحتمال نجاسته ولتصرّفاته الفاسدة ولأنّ في ذلك موادّدة وهي مكروهة للنهي عنها، قال الزركشي: «إلاّ أن يرجى بذلك إسلامه»، وقال تلميذه الحصني: «والصواب التحريم، ويدلّ عليه الآيات الواردة في القرآن في غير موضع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، وقال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الآية) [المجادلة:٢٢]، فقد نفى الله تعالى الوجدان ممّن آمن فدلّ على أنّ من وادد ليس بمؤمن».

الثامن : أن يكون طعام الداعي مباحا، فإن لم يكن مباحا بأن كان أكثر ماله حراما أو فيه شبهة كرهت الإجابة، وإن علم أنّ عين الطعام حرام حرمت الإجابة، قال الزركشي: «وهذا يؤدّي إلى سقوط الإجابة في هذا الزمن لغلبة الشبهة».

التاسع : عدم الأعذار المرخّصة في ترك الجماعة، قال العمرانيّ في [البيان]: «وما كان عذرا في حضور

الجماعة كان عذرا في الوليمة بل أولى».

العاشر : أن لا يكون تعيّن عليه حقّ، كأداء الشهادة أو صلاة الجنازة.

الحادي عشر : أن لا يكون الداعي ظالما أو فاسقا أو شرّيرا أو متكلّفا طلبا للمباهاة والفخر.

الثاني عشر : إطلاق تصرّف المولم، فلا تجب إجابة المحجور عليه لسفه وإن أذن وليّه لأنّه مأمور بحفظ ماله لا بإتلافه.

الثالث عشر : أن لا يكون المدعو قاضيا، فإنّها لا تلزمه على الصحيح عند الشافعيّة، بل قال الروياني: «الأولى في زماننا أن لا يجيب أحدا لخبث الزمان»، وقال الأذرعي: «ويشبه أن يكون في معناه كلّ ذي ولاية عامّة بالنسبة إلى الرعيّة»، وقال ابن العماد: «وينبغي للقاضي أن يسدّ عليه أبواب الهدايا والضيافات ويقطع آمال الناس منه».

الرابع عشر : أن لا يعارض الداعي غيره، فإن دعاه اثنان فصاعدا أجاب الأسبق، وعند المعيّة: «أجاب الأقرب رحما ثمّ الأقرب دارا»، وقال ابن العماد: «إذا دعا اثنان شخصا إلى وليمتين قال النوويّ: «أجاب السابق»، فإن جاءا معا فإن كان منهما أحد من أقاربه فذو رحم، فإن استويا في القرب أو البعد أجاب الأقرب منهما لما روى أحمد وأبو

داود أنّ النبي ﷺ قال: [إِذَا اجْتَمَعَ الدَّاعِيَانِ فَأَجِبْ أَقْرَبَهُمَا بَابًا فَإِنَّ أَقْرَبَهُمَا بَابًا أَقْرَبُهُمَا جِوَارًا، وَإِنْ سَبَقَ أَحَدُهُمَا فَأَجِبِ الَّذِي سَبَقَ][(١)].

الخامس عشر : أن لا يعتذر المدعو عن الحضور، فإن اعتذر له فرضي بتخلّفه زال الوجوب وارتفعت كراهة التخلّف كلّها.

السادس عشر : أن يكون للمرأة إذا دعت الرجال محرم، فالأجنبيّ لا يُجيب دعوة المرأة إذا دعته إلى وليمة وليس هناك محرم له ولها وإن لم يخل بها مخافة الفتنة.

فائدة:

لا تسقط الإجابة بصوم لقوله ﷺ: [إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ][(٢)]، والمراد بالصلاة هنا كما قال هشام الدعاء بدليل رواية ابن السنّي: [فليدعُ لهم بالبركة]، وقيل المراد الصلاة الشرعيّة، ويُستحبّ أن يدعو ممّا رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن بُسْر: [أَنَّ أَبَاهُ صَنَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَدَعَاهُ فَأَجَابَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ وَبَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ].

وإن شقّ على الداعي صومه وهو متنفّل فالفطر أفضل لما روى الدارقطنيّ والبيهقيّ من رواية إبراهيم بن عبيد قال: [صنع أبو سعيد الخدريّ

(١) رواه أبو داود وأحمد.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبو داود.

طعامـا ودعى النبيّ ﷺ، فلمّـا قدم الطعـام أمسـك بعض القـوم وقال: إنّي صائم، فقال النبيّ ﷺ: يتكلّف أخوك المسلم وتقول إنّي صائم؟، أفطر واقض يوما مكانه]، قال الشيخ علاء الدين القونويّ: «وإذا استحب للصائم الأكل في الضيافـة فالمفطر بطريق أولى». ويُندب أن ينوي بالفطر إدخـال السرور على أخيه(١).

٣) إنشاء الجمعيّة الوطنيّة لمحاربة العنوسة:

نقترح إنشاء (جمعيّة وطنيّة لمحاربة العنوسة) في كلّ قطر عربيّ، ونحبّذ أن يكون القائمون على شؤونها من الأخوات الصالحات الفاضلات الفاهمات المدركات لخطر العنوسة على الفرد والمجتمع.

تتشكّـل الجمعيّة مـن مكتـب إدارة ولجـان وفـروع ومكـاتب جهويّـة وولائيّة، تنصّ في قانونها الداخليّ على الأهداف الآتية:

- نشر هدي الإسلام في ميدان الزواج.
- توعيّة المجتمع بالفرق بين العانس والعنوسة.
- حماية العانس من الأخطار الأخلاقيّة والنفسيّة.
- محاربة ظاهرة التغالي في المهور والزواج على أساس العرق.
- محاربة ولائم المباهاة.
- الإشراف على نوادي العوانس.
- إحصاء العوانس والعمل على تزويجهن.

(١) من كتاب [فضّ الخواتم فيما قيل في الولائم].

- تشجيع الشباب والقادرين على الزواج بهنّ وإعفافهنّ.
- تقديم النصائح الضروريّة لكلّ عانس.
- رفع مطالبهنّ للجهات الرسميّة والقضائيّة.
- العمل على جعل العنوسة آفة اجتماعيّة يجب حلّها.
- كسب تعاطف المجتمع وذوي الرأي فيه مع هذه الشريحة.
- تمثيل هذه الشريحة في المنتديات العلميّة والمؤتمرات الرسميّة.
- العمل على استصدار تشريعات تحمي هذه الشريحة خاصّة تشريعات تمنحهنّ امتيازات تُرغّب الشباب في الزواج منهنّ.
- توعيّة الآباء بخطر إعضال بناتهم.
- تشجيع تعدّد الزوجات بشروطه الشرعيّة ومحاربة التعدّد غير المشروع.

كما نقترح أن تكون لهذه الجمعيّة ستّة مكاتب:

١) مكتب إحصاء العوانس.
٢) مكتب التوجيهات الشرعيّة.
٣) مكتب العلاج النفسي.
٤) مكتب التوجيهات القانونيّة.
٥) مكتب النشاطات الإعلاميّة.
٦) مكتب محاربة أسباب العنوسة ونتائجها:

- غلاء المهور. - التقاليد البالية.
- تعنّت الفتيات. - الزواج غير المقيّد.

- الإعضال. - التعدّد غير المشروع.
- ولائم المباهاة. - السحر والشعوذة.
- الزنى.

نؤكّد على أهمّيّة تأسيس مثل هذه الجمعيّة في كلّ قطر عربيّ وخاصّة في الأقطار التي تشهد نموّ ظاهرة العنوسة كالمجتمع الجزائريّ.

فما لم نُحسّس المجتمع بخطر القضيّة وما لم نحرّكه للاعتراف بالظاهرة والعمل على علاجها فلن نصل إلى حلّ!.

كما أنّ هذه الجمعيّة تعدّ إحدى صور التضامن مع المرأة العفيفة التي يُؤجر الإنسان على تضامنه معها.

والغريب أنّ الغرب يُشجّع النساء عندنا على إنشاء الجمعيّات النسويّة للتضامن مع الأبناء غير الشرعيّين و(الأمّهات العازبات) (أي النساء الزانيات)، وتُعقد الملتقيات والندوات وتُجمع التبرّعات لصالح الأمّهات العازبات وتُستصدر القوانين لحمايتهنّ ....، إلاّ المرأة العانس العفيفة فلا يُشجّعنا الغرب على الاهتمام بها، ولنا أن نتساءل: لماذا؟!.

لا نتضامن مع العانس وهي عفيفة ونتضامن معها زانية؟!، لماذا يتأخّر تضامن الجمعيّات النسويّة مع العانس إلى غاية الإتيان بشاهد على فسقها كفقد البكارة أو طفل غير شرعيّ أو العمل في إحدى المواخير ...؟!.

لماذا تختار الجمعيّات النسويّة (اللائكيّة) من صور التضامن مع المرأة إلاّ ما تعلّق بالفروج؟!، أين التضامن مع المرأة الجائعة؟، أين التضامن مع

المرأة المضروبة؟، أين التضامن مع المرأة المشرّدة؟، أين التضامن مع المرأة الأمّية؟، أين تحرير المرأة من الزوج الزاني؟، أين تحرير المرأة من الزوج الخمّار؟، أين تحرير المرأة من الزوج القمّار؟، أين التضامن مع الأرامل والمطلّقات والمعوّقات والكفيفات والمظلومات والمشرّدات ...؟!.

لماذا لا تُثير الجمعيّات النسويّة (اللائكيّة) قضايا مثل: الوظيفة مقابل الشرف، الترقية مقابل الكرامة، التحرّش الجنسيّ داخل المؤسّسات، الشهادة الجامعيّة مقابل ليلة حمراء، الاغتصاب المنظّم، السحاق عبر الهاتف، السياحة الجنسيّة، نساء للبيع، الاسترزاق بالأجساد، المعاشرة قبل الزواج، زنى المحارم، الخيانة الزوجيّة، جناية المتبرّجة على الأسرة ...؟!، لماذا لا تُثير الجمعيّات النسويّة صورة المرأة في وسائل الإشهار والإعلام عموما؟!.

الجواب واضح وصريح: الجمعيّات النسويّة (اللائكيّة) لا تُثير مثل هذه المواضيع لأنّها وببساطة من نتائج تبنّي (اللائكيّة)!.

وهكذا الإسلام يتحدّى ...!، يا إلهي لك الحمد يا إلهي لك الحمد على نعمة الإسلام، فكلّ ما أمرتنا به وجدنا فيه مصلحتنا وكلّ ما نهيتنا عنه كان فيه ضياعنا، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

كما نؤكّد هنا على دور الإعلام في كشف ومحاربة العنوسة، فعلى مكتب النشاطات الإعلاميّة للجمعيّة أن يعي جيّدا أنّ الجمعيّة لا نجاح لها إن لم تعطِ أهمّيّة للإعلام، ومن مظاهره: الجريدة، المجلّة، الشريط (فيديو)، المسرحيات، الكتيّبات، الندوات، المحاضرات، الملصقات، الإذاعة، التلفزة، الأعراس والولائم، خطب الجمعة، الدروس المسجديّة، اللقاءات الوديّة

(عرس، عقيقة، ختان).

إنّ وجود مثل هذه الجمعيّة يكاد يكون أو يكون من الواجبات الشرعيّة، فمجرّد شعور العانس بوجود إطار يحميها ويهتمّ بها يُدخل السرور على نفسها ويُشيع روح الثقة في نفسها فلا تستسلم للاحباطات المختلفة ولا تنحني لإغراءات المجتمع ....

٤) إنشاء نوادي العوانس:

كما أسلفنا ذكره فإنّ الفراغ قد يقتل العانس ويقضي عليها، لهذا نقترح إنشاء (نوادي العوانس)، تعمل هذه النوادي على ملء فراغ العانس فكريًا وجسديًا على أن يحتوي النادي على المرافق الآتية:

- المصلّى.
- المكتبة.
- مكتب الخدمات الخيريّة.
- قاعة الأشغال اليدويّة: خياطة، طرز، فتلة، مجبود، الرسم على الحرير، زرابي ....
- إعلام آليّ.
- قاعة للنشاطات الرياضيّة، ونؤكّد على رياضة (الآيروبيك) فهي تقوم على علم الرشاقة والعانس تُحافظ ما استطاعت على نَضارتها ورشاقتها.
- مقهى ومطعم.

تُدير العوانس هذه النوادي وتعمل من خلالها على:

- بثّ روح الثقة في نفسيّة العانس، فالبليّة إذا عمّت خفّت.
- ملء فراغها الفكريّ من خلال الحلقات العلميّة والمكتبة وقاعة (فيديو).
- تعليمها حرفة تساعدها على نوائب الدهر.
- إخراجها من قوقعتها إلى عالم الأخوّة الفسيح.
- المحافظة على بدنها من الترهّل من خلال النشاطات الرياضيّة.

وعموما توفير مجال يُنسي العانس ما تعانيه في البيت والمجتمع ويُسلّيها.

تدعو هذه النوادي العوانس على مستوى البلديّة أو الدائرة أو الولاية لتسجيل أنفسهنّ في قوائم المنخرطات في النادي، وتعمل على إحصائهنّ وإفادتهنّ والاستفادة منهنّ.

فوائد انخراط العانس في إحدى نوادي العوانس:

١) التعرّف عليها والتعريف بها خاصّة إن كانت من بنات المدن حيث لا يعرف الجار جاره!، فيعمل النادي على تعريفها لسائر العضوات، الفرصة التي قد تُوصلها للزواج من خلال إحدى العوانس التي تذكرها لأخيها أو عمّها أو ابن أختها ....

٢) الاستفادة من نشاطات النادي والمشاركة في مختلف العمليّات الخيريّة التي ينظّمها النادي مثل:

- زيارة دور اليتامى والعجزة والمستشفيات.

- تجهيز العرائس الفقيرات.
- تنظيم عمليّات التبرّع بالدم.
- العمل على محاربة الأمّيّة في الوسط النسويّ.
- التضامن مع المرأة عموما والعانس خصوصا.

ماذا نُريد؟:

لعلّك أختاه أدركت أنّني أريد من وراء هذه النوادي رفع الصورة السلبيّة عن أختنا العانس حتّى تساهم في الحياة الاجتماعيّة بكلّ قوّة فتكون علَمًا على خدمة المجتمع، فتنتزعين احترام المجتمع وتقديره لك بقوّة، بهذه الطريقة ينظر إليك الناس بإعجاب، وربّما تتفاخر البيوت بوجود عانس عندها لما تجلبه هذه العانس للعائلة من تقدير، وهكذا تتهافت الأسر على طلب يدك.

فمن فوائد نوادي العوانس كما أشرنا تسهيل الزواج منهنّ، فمن العوانس من لا ترغب في تعدّد الزوجات، ومنهنّ من ترغب في ذلك، ومنهنّ من لا تقبل الأرمل صاحب العيال، ومنهنّ من تقبل به، ومنهنّ من لا ترغب في من يصغرها سنّا، ومنهنّ من ترضى بمن يصغرها سنّا ....

وهكذا تُسهّل نوادي العوانس زواج الراغبين في إحصان وإعفاف عانس، فما على الراغب في الزواج وفي التعدّد أو الأرمل صاحب العيال أو الراغب في العقيم إلاّ التقدّم بطلبات رسميّة للنادي ليوفّر لهم مبتغاهم ويُزكّي لهم من يراها صالحة لذلك العشّ.

إنّ إنشاء مثل هذه النوادي أعدّها من أعظم الصدقات الجاريات التي تنفع المسلم بعد موته، وهي تنطوي تحت قول رسول الله ﷺ: [إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ)، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ][1].

٥) العمل على جعل العزبة موجبة للتوبيخ:

لمكافحة آفة العزوبة والعنوسة علينا أن نعمل على إبراز فوائد الزواج ومحاسنه الدنيويّة والأخرويّة حتّى يدرك الشباب فضل الزواج والمتزوّج على العزوبة والعزب، ثمّ علينا أن نعمل على جعل العزبة صفة توجب التوبيخ من خلال بيان:

- خطر العزبة على الأخلاق والأسرة.
- خطر العزبة الاقتصاديّ.
- خطر العزبة على الأنساب.
- خطر العزبة الأمنيّ.
- خطر العزبة الصحّيّ.

وها أنا أذكر لكَ أخي الشاب ما ذكره العلاّمة عبد الله ناصح علوان تحت عنوان:

---

(١) رواه مسلم.

خطر العزوبة على الفرد والمجتمع:

قال رحمه الله تعالى: «فإذا كان الإسلام حرّم الرهبانيّة وذمّ العزوبة فمعنى هذا أنّ خطرا بالغا يُصيب الفرد ويزعزع كيان المجتمع من جرّاء هذه العزوبة البغيضة والعزوف عن الزواج الذي شرعه الله وأكرم به عباده.

وإليكم أهمّ هذه الأخطار التي تترتّب من انتشار العزوبة والعزوف عن الزواج:

١) الخطر الصحّيّ:

من المعلوم يقينا أنّ العزوبة إذا انتشرت في أمّة من الأمم فمعنى هذا أنّ أكثر شبابنا وكثيرا من شاباتنا اتجهوا في حياتهم الاجتماعيّة إلى حياة المجون والخلاعة وإلى أجواء الفساد والانحلال!، لأنّ النفس الإنسانيّة إذا لم يكن لها من تقوى الله رادع ومن مراقبته سبحانه زاجر انخرطت ولا شكّ في حمأة الملذّات والشهوات وتاهت في بيداء الفاحشة والرذيلة لتشبع الفطرة الغريزيّة والميل الجنسيّ بالخنا والزنى والاتصال الحرام والعلاقات المشبوهة.

وإذا انتشر الزنى في أمّة أصيبت بالأمراض والأوجاع التي تنهك القوى وتفتك بالجسم.

وإليكم أهمّ هذه الأمراض الصحّيّة والجسميّة التي تترتّب من انتشار الزنى كما أجمع عليها الأطبّاء:

- مرض السيلان.

- مرض الزهريّ.
- مرض التقرّحات الجنسيّة.
- مرض القرح الليّن.
- مرض النضج الجنسيّ المبكّر.

هذه بعض الأمراض الصحّيّة والجسميّة التي تصيب الجسم نتيجة لانتشار الفاحشة.

٢) الخطر الخلقيّ والنفسيّ:

بالانطلاق في حمأة الرذيلة والشهوات تُسيطر الغريزة الجنسيّة على جميع طاقات الإنسان الجسميّة والعقليّة والنفسيّة والروحيّة، فترى هذا الشهوانيّ يندفع نحو أعمال الشهوة والغريزة اندفاعا حيوانيّا جنونيّا عنيفا، فلا يفكّر إلاّ في إشباع نهمه الجنسيّ ولا يهتمّ إلاّ بإرواء غريزته البهيميّة.

وقد يُصاب هذا الإباحيّ الشهوانيّ بمرض (الشذوذ الجنسيّ) (اللواط، السحاق) وهو مرض خطير يكتفي فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء!، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدّعي التقدّم والحضارة كأمريكا وإنكلترا، فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة (نيويورك) بأمريكا، وهؤلاء علنيّون مجاهرون محترفون، أمّا المستترون المختفون فحدّث عن عددهم الكثير ولا حرج![1].

وقد يُصاب بمرض (الهوس الجنسيّ) حيث ترى المريض مشغولا في

(١) هذا العدد ذكره الدكتور منذ ٣٣ سنة فتأمّل!.

جميع أوقاته بتخيّلات شهوانيّة غريزيّة من نكاح وتقبيل وضمّ وعناق وتصوّرات لأعضاء المرأة من وجه وعينين وعنق وشفتين ونهدين وسوءة ولخذين وغيرها، تراه منصرفا عن كلّ شيء، فيكثر نسيانه ويقلّ اهتمامه وتشتدّ غفلته ويضعف انتباهه، وتراه كأنّه غبيّ مخمور أو كأنّه مكروب محزون، وتُسبّب هذه الظاهرة الأليمة نحولا في الجسم وضعفا في الذاكرة وقلقا في النفس.

ومن أخطار الزنى الخلقيّة في المجتمعات الغربيّة والشرقيّة:

- الشباب الشارد السادر في الشهوة والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون.
- الجيل المتحلّل المائع المريض جسميّا وعقليّا وخلقيّا ونفسيّا.
- عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسيّ.
- عصابات التهريب للمخدّرات كالأفيون والحشيش.
- تجّار الشهوات والغرائز وبيع الفتيات وتأجير البغايا.
- عصابات من الأطبّاء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس وبالمال.
- نوادي العراة العلنيّة، يتعرى فيها روّادها من كلّ رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل!.
- المواخير المخصّصة لتأجير العاهرات.
- أفواج المومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف.
- الأغاني الفاحشة والموسيقى الراقصة المثيرة والمسرحيّات المهيّجة.
- كتب الجنس ومجلاّت العري و(كباريهات) الرقص والمجون.

- أفواج (الهبيّين) الإباحيّين المتشبّهين بالحيوانات والخنافس.
- أفواج (البوب) اللاّ منتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة.
- إباحيّون مستهترون يكفرون بكلّ فضيلة ويستبيحون كلّ رذيلة ويسيرون مع الأهواء والنزوات.

إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والإباحيّة ممّا لا يمكن تعدادها وحصرها.

وكان من نتيجة ذلك أن صرّح (خروتشوف) سنة ١٩٦٢ بأنّ مستقبل روسيا في خطر وأنّ شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنّه مائع منحلّ غارق في الشهوات، وفي الوقت نفسه صرّح (كنيدي) أيضا بأنّ مستقبل أمريكا في خطر لأنّ شبابها منحلّ غارق في الشهوات لا يُقدّر المسئوليّة الملقاة على عاتقه، وأنّه من بين كلّ سبعة شبّان يتقدّمون للتجنيد يوجد ستّة غير صالحين لأنّ الشهوات التي أُغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسميّة والنفسيّة.

وعموما فإنّ الحياة المادّيّة المحضة هي التي تسود المجتمعات البشريّة في العالم، وأصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين الخمرة والجنس واللذّة دون أيّ امتثال للتوجيهات الطبّيّة والنظريّات العلميّة والإرشادات التربويّة.

فسادت في هذه المجتمعات الإباحيّة وتغشّت المبادئ الإلحاديّة والوجوديّة وكثرت الجرائم الاجتماعيّة والخيانات الزوجيّة وأصبح الإنسان عدوّا لأخيه الإنسان!.

٣) الخطر الاجتماعيّ:

من القضايا المسلَّم بها لدى المفكّرين ورجال الإصلاح وعلماء الاجتماع أنّ الشباب في أمّة من الأمم حينما يسيرون في طريق العزوبة ويهربون من مسئوليّة الزواج والأسرة فإنّه تترتّب عن ذلك أخطار جسيمة على الفرد والمجتمع، ومن هذه الأخطار:

- **تهديد الأسرة بالزوال:**

لأنّ الشابّ العَزَب حين يشبع نهمه الجنسيّ بالحرام لا يمكنه بحال أن يُفكّر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد، وكذلك المَزنيّ بها لا ترغب بالحمل ولا ترضى بالولد لضرر الحمل الجسميّ وتأثيره النفسيّ عليها، فهي تحاول الخلاص منه بأيّة وسيلة!.

- **ظلم المواليد والأطفال:**

. لأنّ المجتمع الذي يهرب من الزواج وينساق أبناؤه وراء الانحلال والإباحيّة يعجّ بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب، وفي هذا ظلم للأولاد وأيّ ظلم!:

~ ظلم لهم لأنّ الولد محروم من حبّ أبيه وعطف أمّه، وأين له الحبّ والحنان والعطف وهو تربّى في المحاضن والمستشفيات؟!.

~ ظلم لهم لأنّ الولد حين يعي ويستشعر أنّه ابن الزنى والعار فإنّه يتعقّد نفسيًا وينحرف سلوكيًا واجتماعيًا، بل يكون أداة إجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار!.

• **شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء:**

ذلك لأنّ كلاً من الرجل والمرأة لا يجدان الحياة الهانئة السعيدة والعيش المستقرّ الكريم إلاّ في ظلال الحياة الزوجيّة القائمة على المودّة والرحمة، حيث أفرادها كأعضاء الجسد الواحد في الترابط والتعاون والتآلف، وهذا الأمر يكون معدوما في المجتمع الذي لا يروج فيه سوق الزواج وفي الأمّة التي تسير وراء التمتّع والانحلال.

• **قطع صلة الرحم والقرابة:**

لأنّ العَزَب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذّات والمحرّمات تراه منبوذا محتقرا لدى رحِمِه وقرابته الصلحاء، وهذا لا شكّ ممّا يؤصّل في كيانه روح العقوق والتمرّد والعصيان، بل يندفع إلى الشقاوة والتلطّخ بالإثم والعار بشكل أكبر كلّما رأى أبويه ورحِمِه استنكارا أو إعراضا، وليس هناك من ذنب بعد الإشراك بالله يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الإسلام.

إلى غير ذلك من هذه الأخطار التي لا تخفى على كلّ ذي لب وبصيرة.

٤) الخطر الاقتصاديّ:

لا شكّ أنّ الذين يصرفون همّهم الأكبر في سوق الملذّات والشهوات هم ممّن تخلّوا عن الزواج المشروع وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة، فهؤلاء يسبّبون انهيار الاقتصاد في الأمّة: لضعف القُوى، وقلّة الإنتاج، واتخاذ الوسائل غير المشروعة.

أمّا ضعف القُوى: فإنّ العَزَب الذي ينساق وراء الفاحشة واللذّة فإنّه يمرض عقليّا ويمرض جسميّا ويمرض خلقيّا ويمرض نفسيّا، ولا شكّ أنّ المريض تضعف قواه وينحطّ جسمه وتنهار همّته، فلا يستطيع أن ينهض بمسئوليّة التقدّم الحضاريّ والازدهار الاقتصاديّ لانحطاط جسمه العامّ وإصابته بالمرض المضنيّ المُقعَد، ولقد عرضنا لجوانب هذه الأمراض الجسميّة والخلقيّة والنفسيّة بشيء من التفصيل.

أمّا قلّة الإنتاج: فإنّه حاصل بسبب ضعف القُوى وإصابة المرضى وبسبب تبدّد الأموال وضياعها في طريق الانحلال والمجون وبسبب عدم الإخلاص في العمل والإتقان في الإنتاج لانعدام الرادع الإيمانيّ والزاجر الأخلاقيّ لدى الإنسان، عدا عن أنّه سار في طريق فَقَدَ فيه كرامته الآدميّة ولياقته الجسميّة والنفسيّة.

أمّا اتخاذ الوسائل غير المشروعة: فلأنّ التاجر الوضيع المنحلّ الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادّيّ من أيّ طريق، طريق الربا والميسر طريق اللهو والترف طريق الرشوة والاختلاس طريق السرقة وأكل الأموال العامّة طريق الاتّجار بالأعراض والاتّجار بالمصوّرات العارية والاتّجار بالمجلاّت الماجنة والاتّجار بالأفلام الخليعة والاتّجار بالمسكّرات والمخدّرات والاتّجار بالكتب الفاحشة والقصص الغراميّة، إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لا تعود على المجتمع إلاّ بالخسارة والضرر والبطالة والفقر وقتل القيم ومكارم الأخلاق، إذ بها تهدر الطاقات المنتجة وتتعطّل المكاسب المشروعة ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصيّة وسجين الأنانيّة والمحسوبيّة وعبد الشهوة

واللذّة والهوى.

وإذا كان الاقتصاد في الدول الكبرى كأمريكا وروسيا وغيرهما وهي بؤرة الانحلال والإباحيّة لم يُصب حتّى الآن بالتصدّع والانهيار فإنّ ذلك عائد إلى أنّ هذه الدول في أوجّ شبابها والشباب لا تظهر عليه سريعا آثار المرض!، ولكن بعد زمن يكون التصدّع والانهيار لا محالة، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء].

٥) الخطر الدينيّ والأخرويّ:

وأخيرا فإنّ العَزَب الذي لا يستعفف والذي لم يكن له من تقوى الله زاجر ولا رادّ فإنّه يُصاب بأربع خصال دميمة نوّه عن ذكرها وعدّد معالمها عليه الصلاة والسلام.

روى الطبرانيّ في [الأوسط] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: [إياكم والزنى فإنّ فيه أربع خصال: يُذهب البهاء عن الوجه، ويَقطع الرزق، ويُسخط الرحمن، ويُسبّب الخلود في النار].

ومن خطره الدينيّ أنّ الزانيّ حين يزني ينسلخ من الإيمان، فقد روى البخاريّ ومسلم عن النبيّ ﷺ أنّه قال: [لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ].

ومن خطره الأخرويّ أنّ الزاني يُضاعف له العذاب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان].

تلكم أهمّ الأخطار التي تنجم عن العزوبة البغيضة والرهبانيّة الدميمة، وهي أخطار كما رأيت أخي القارئ تضرّ بالصحّة وتضرّ بالأخلاق وتضرّ بالنفس وتضرّ بالاقتصاد وتضرّ بالمجتمع وتضرّ بالعقل وتضرّ بالدين!.

ومن هنا كان قول النبيّ ﷺ بيّنا واضحا حين بيّن لأصحابه مرّة أنّ العزّاب هم شرار الخلق وأنّ الذين يموتون وهم عزّاب هم أراذل الموتى!، فقد روى الإمام أحمد أنّ النبيّ ﷺ قال: [إِنَّ سُنَّتَنَا النِّكَاحُ، شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ، أَبِالشَّيْطَانِ تَمَرَّسُونَ[1]؟، مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلاَحٍ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ الْمُتَزَوِّجُونَ أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّءُونَ مِنَ الْخَنَا[2]]» اهـ[3].

قلتُ: إنّ إدراك السلف الصالح لخطر العزبة على النفس والمجتمع والدين والاقتصاد والأمن هو الذي جعل صحابيّا جليلا مثل عبد الله بن مسعود يقول: «لو لم يبق من أجلي إلاّ عشرة أيّام وأعلم أنّي أموت في آخرها يوما لي فيهنّ طَوْل النكاح لتزوّجت مخافة الفتنة»، وهو الذي جعل عمر بن الخطّاب يقول لأبي الزوائد: «ما يمنعك من النكاح إلاّ عجز أو فجور!»،

---

(١) تمرّس: احتكّ وتصارع.

(٢) الخنا: الفحش والميل.

(٣) [عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام] (ص:٢٠-٣٨) بتصرّف يسير.

وهو الذي جعل طاووس يقول: «لا يتمّ نسك الشاب حتّى يتزوّج»[١].

وجعلت إماما جليلا كالإمام أحمد يقول: «من دعاك إلى غير التزويج فقد دعاك إلى غير الإسلام، وليست العزبة من أمر الإسلام في شيء»[٢].

ونفس الخطورة جعلت فقيها حنفيّا عظيما كابن الهمام يفضّل الزواج على الجهاد فيقول: «الجهاد وإن كان عبادة إلاّ أنّ النكاح سبب لما هو مقصود منه وزيادة، حيث هو سبب لوجود المسلم والإسلام، أمّا الجهاد فهو سبب لوجود الإسلام فقط»[٣]، وجعلت ابن عابدين يُصرّح: «ليس لنا عبادة شُرعت من عهد آدم إلى الآن ثمّ تستمرّ في الجنّة إلاّ النكاح والإيمان، لذا قدّمه بعضهم حتّى على الجهاد»[٤].

الآن وقد تأكّدنا أنّ العزبة موجبة للتوبيخ شرعا وعقلا، فما علينا إلاّ أن نتكاتف جميعا أفرادا وهيئات لحلّ معضلة العزوبة، وما لم نتكاتف ونتعاون ستستمرّ الظاهرة في النموّ والزيادة حتّى تقضي على الأخضر واليابس!.

(١) [منهج السنّة في الزواج] (للدكتور محمد الأحمديّ أبو النور) (مدرّس الحديث بجامعة الأزهر) (ص:٨٣،٨٤،٨٠).

(٢) [الخطبة والزواج] (للدكتور محمد محده) (ص:١٠١).

(٣) [شرح القدير] (لابن الهمام) (١٨٤/٣). وانظر [الخطبة والزواج] (ص:٩٤).

(٤) [حاشية ردّ المحتار عن الدرّ المختار] (لابن عابدين). [شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان] (٣/٣). وانظر [الخطبة والزواج] (ص:٩٥).

٦) الضريبة على العزبة:

ولا عجب بعد هذا إن وجدنا عالما عظيما مثل الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاويّ جوهريّ يقترح على الحكومات فرض ضريبة ماليّة على كلّ عزب قادر على الزواج توضع في صندوق خاصّ لصالح المتزوّجين والعانسات، ذكر ذلك في سياق حديث (حثّ المسلمين على تعدّد الزوجات وضوابط ذلك) فقال: «فأمّا المسلمون فإنّي أرى أن يكون الأمر موكولا لذوي الحلّ والعقد منهم، وليكن التعدّد على مقدار الحاجة، وليحصوا الرجال والنساء في البلاد ولينظروا العدد الذي لم يتزوّج من الفريقين، وليأمروا كلّ شاب بلغ سنّا معيّنة مثل: ٢٠ أو ١٨ سنة بالتزوّج، فإن لم يتزوّج أوجبوا عليه مالا معيّنا يدفعه للحكومة تُنفقه على فقير ذي عيال والنساء اللاتي لم يتزوّجن تبحث عن رجال يتزوّجونهنّ منفردات وإلاّ كان ذلك مثنى وثلاث ورباع للقادرين الأقوياء الأغنياء. فإذا فعلت الأمم الإسلاميّة ذلك فليكن بأمر أهل الحلّ والعقد منهم لا بأمر الفِرَنْجة[1] فإنّ الفِرَنْجة يقصدون تقليل النسل وتقليل الزواج وإكثار السفاح والفساد في الإسلام فاحذروهم أيّها المسلمون، فليحذر المسلمون الذين يحكمهم الفرنجة أن يوحوا إليهم بأمر من هذا فإنّهم يريدون الزنى وقلّة النسل وضياع البلاد، فأمّا أهل الحلّ والعقد منكم فلهم أن ينظروا في المصالح وهم أعلم بما يناسب حالتهم»[2].

---

(١) الفِرَنْجة: الأوربيّون.

(٢) [الجواهر في تفسير القرآن الكريم] (للأستاذ الشيخ طنطاويّ جوهريّ) (١٢/٣).

٧) إنشاء الصندوق الوطنيّ لمساعدة الشباب على الزواج:

للقضاء على أسباب العنوسة المادّيّة (البطالة والسكن) نقترح إنشاء (الصندوق الوطنيّ لمساعدة الشباب على الزواج)، يموّل من طرف:

١) ميزانيّة الدولة.
٢) ما تحجزه الجمارك.
٣) الزكاة.
٤) الهبات والتبرّعات.
٥) الأوقاف.
٦) الاقتطاع من أجور الموظّفين.
٧) الضريبة على العزبة الاختياريّة.
٨) ضريبة الشكر[1].

فبعمليّة حسابيّة بسيطة نتوصّل إلى ما يلي:

نفرض أنّ عدد العمّال في الجزائر مثلا: أربعة ملايين، فلو اقتطعنا من أجرة كلّ عامل مبلغا زهيدا جدّا مثل: ٥٠ د.ج.[☆] وهي نسبة أقلّ من ١٪ لا يتضرّر منها العامل أبدا بل لا يشعر أصلا أنّها خصمت من أجرته لاستطعنا جمع ما يقارب: (٢٠ مليار سنتيم شهريا!)، ضف إلى هذا المبلغ ما يتصدّق به المحسنون على الصندوق ثمّ ضف إليه الزكاة والأوقاف والاقتطاعات الأخرى والاستثمارات التابعة للصندوق ...!.

---

(١) نقصد بضريبة الشكر: مبلغا من المال تفرضه الدولة يدفعه المتزوّج حديثا عند استلامه لوثائق الزواج الإداريّة على أن يكون المبلغ معقولا مثله مثل المبالغ الكثيرة الأخرى التي يدفعها المواطن عند استلام مختلف وثائقه الإداريّة.

(☆) علبة سجائر في الجزائر سعرها: ١٥٠ د.ج..

نستطيع من خلال هذا الصندوق أن نُقدّم المساعدة لحوالي: ٢٠٠٠ شاب شهريّا، سواء في ميدان السكن أو نفقات العرس أو تأثيث البيت أو مساعدته بمبلغ معتبر يستثمره ليعيل أسرته.

شروط نجاح الصندوق:

١) أن تُساهم فيه الدولة لكن لا تتبنّاه، فنجاحه مرهون بكونه مؤسّسة شعبيّة، والأفضل أن تُشرف عليه إحدى الجمعيّات الخيريّة ذات المصداقيّة الواسعة على أن تُوفّر لها الدولة جميع الإمكانيّات الفنّيّة: الإشهار، الدعم المادّيّ، حرّيّة جمع الأموال.

٢) أن يُنشأ الصندوق على أساس مؤسّساتيّ، وأن تكون طريقة عمله مثل عمل البنوك يستثمر الأموال التي تأتيه ليشكّل لنفسه رأس مال قارّ احتسابا لنقص التبرّعات أو عدم وفاء إحدى الجهات المموّلة بالتزاماتها.

٣) يُموّل الصندوق عمليّات الزواج المشروعة، ولذلك فهو يُقدّم مبالغ ماليّة وِفق الحدّ الأدنى الذي تُطالب به الشريعة، أمّا تبذيرات الولائم ومهور الأكاسرة فلا يُموّلها الصندوق، ولهذا نقترح أن يضمّ الصندوق من جملة هيئات إدارته إدارة الحَسَبَة تتكوّن من الفقهاء الذين يبتّون في طلبات المساعدة على أن يكون حكمهم إلزاميّ، هؤلاء الفقهاء هم الذين يُقرّرون المساعدة ومقدارها ونوعها.

وبهذا يكسب الصندوق ثقة الناس جميعا محسنين ومستفيدين فيعمّ الخير وتكثر البركة.

٨) تشجيع تعدّد الزوجات:

من الحلول الهامّة التي نطرحها وندعو إليها ونؤمن بها ونحثّ عليها ونتباهى أنّها من ديننا وتكاد تكون وُضعت أصلا لحلّ مشكلة العنوسة (تعدّد الزوجات)، فنحن ندعو كلّ المستطيعين القادرين الذين يعلمون من أنفسهم (العدل وحسن العشرة) إلى تطبيق تشريع تعدّد الزوجات ليس توسعة في المباح فقط بل بنيّة إنقاذ المسلمات وإعفافهنّ وإحصانهنّ.

وكما ندعو الرجال فكذلك نُشجّع النساء المسلمات الواعيات على الدعوة إليه والانتصار له حتّى لو كنّ متزوّجات، فالمرأة أولى بالتضامن مع أُختها المرأة.

وليست دعوتنا هذه من قبيل المستحيلات ولا من روايات الخيال ... لا أبدا، فكم من امرأة صالحة حثّت زوجها على الزواج من صديقتها العانس أو من جارتها الفقيرة ... بل فيهنّ من ترى في تزويج زوجها نصرة للإسلام[1] خاصّة إن كان زوجها من الصالحين.

---

(١) لمّا كانت أحداث (البوسنة) على أشدّها وانتشرت أخبار اغتصاب المسلمات وذبحهنّ من طرف الوحوش (الصربيّة) زارتني إحدى الصالحات قائلة: «أُريد زوجة لزوجي من البوسنة وهي الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أُنقذ بها مسلمة من القتل».

وقد خطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري، فكَرِه ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها: «والله ما لي همّة في النساء لشغلي بحالي»، فقالت: «إنّي لأشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثتُ مالا جزيلا من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك، وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عزّ وجلّ»، فقال: «حتّى أستأذن أُستاذي»، فرجع إلى أبي سليمان الدارانيّ وكان ينهاه عن التزويج ويقول: «ما تزوّج أحد من أصحابنا إلاّ تغيّر»، فلمّا سمع كلامها قال: «تزوج بها فإنّها وليّة الله هذا كلام الصدّيقين»، قال فتزوّجتها فكان في منزلنا كنّ من جصّ ففنى من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عمّن غسل بالأشنان، وتزوّجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيّبات وتطيّبني وتقول: «اذهب بنشاطك وقوّتك إلى أزواجك». وكانت رابعة هذه تُشبه في أهل الشام برابعة العدويّة بالبصرة[1].

فالتعدّد شُرِع أصلا لمصلحة المرأة قبل مصلحة الرجل، فهي مستفيدة من تشريعه.

ونحن إذ ندعو إلى تشجيع التعدّد لا نقصد غالبا ما يفعله الرجال اليوم باسم التعدّد وتحت لوائه بل نشجّع التعدّد المشروع بشروطه الشرعيّة والتي سيأتي الحديث عليها مفصّلا؛ أمّا ما يفعله بعضهم حيث يتركون زوجاتهم وأولادهم وبناتهم بحثا عن الصغيرات الطريّات رافعين لافتة (إباحة تعدّد الزوجات) وهم لا يعرفون من معنى التعدّد إلاّ جانب الفراش!، فنحن نُحارب فعلهم ونُحذّر منه وندعو النساء ليتفقّهن في دينهنّ حتّى يستطعن

(١) [إحياء علوم الدين] (٢/٥٨).

التمييز بين التعدّد المشروع والتعدّد الممنوع، كما ندعو أخواتنا العوانس إلى تطبيق شريعة التعدّد.

فوُجودك أُخيتاه في عصمة رجل متزوّج أفضل لك من الوحدة والكآبة والقلق وانسداد الأفق التي تعرضها عليك العنوسة، كما أنّ الزواج من المتزوّج ليس بالأمر المستفحش المسترذل كما تُصوّره لك بعض الأقلام الحاقدة والأفلام العربيّة المتخلّفة!.

كم من عانس خُطبت من طرف متزوّجين فكان جوابها الرفض لا لعيب في الخطّاب بل لأنّها لا ترى نفسها الثانية، تأبى عليها نفسيّتها وفكرها أن تكون الثانية وهي في اختيارها للعنوسة على التعدّد تنطلق من تصوّرات جاهليّة لا تخرج في الأعمّ الأغلب عن خوفها ممّا سيقوله الناس أو عن شبح (الضرّة) كما تُصوّرها الأساطير والحكايات الشعبيّة ...!.

وهكذا تقف الأساطير والتصوّرات السقيمة والتجارب الفاشلة حاجزا بينها وبين سعادتها، وهي لا تدري أنّها باختيارها للعنوسة على التعدّد قد وقعت في الفتنة التي حذّر منها رسول الله ﷺ: [إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ][1]، ولا أخالني في حاجة لبيان إعجاز هذا الحديث وهَولِه، فهو يُوضّح أنّ نتائج الإعراض عن تزويج البنات من أصحاب الخُلق والدين ستكون وخيمة وهي الفتنة والفساد الواسع الكبير، نعم هكذا يصف الفساد بالكبر، ما أصدقك يا سيّدي يا رسول الله.

---

(١) رواه الترمذيّ وابن ماجه.

فوائد التعدّد:

شرع الله تعالى تعدّد الزوجات أصلا إعلاء للمرأة ورفعا لقدرها وحفاظا على كرامتها، وذلك أنّ تعدّد الزوجات حتميّة اجتماعيّة، ونحن نستعرض أمامك أختياه بعض فوائد التعدّد على المرأة والرجل والأمّة، ويقيننا أنّ ما لا نعلمه من فوائده أكثر ممّا علمناه:

١) عادة ما يكون النساء أكثر من الرجال إمّا بسبب الولادات كما هو ملاحظ ومشاهد أو بسبب عوامل الفناء التي تأخذ الذكور أكثر من الإناث خاصّة إذا وقعت فتنة القتل في الأمّة أو بعد خروج الأمّة من حرب قد أكلت الرجال أكلا فيزيد عدد النساء والأرامل، فيكون التعدّد الذي أباحه الإسلام في مصلحة المرأة بل في مصلحة الأمّة بأسرها(١).

---

(١) عُقد مؤتمر للشباب العالميّ في (ميونخ) في ألمانيا عام ١٩٤٨ واشترك فيه بعض الأعضاء المسلمين من البلاد العربيّة، وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافا مضاعفة بعد الحرب، وقد استعرضت مختلف الحلول لهذه المشكلة، وتقدّم الأعضاء المسلمون في هذه اللجنة باقتراح إباحة تعدّد الزوجات، وقد أقرّت اللجنة هذا الاقتراح لأنّه لا حلّ غيره في معالجة المشكلة.

وفي عام ١٩٤٩ تقدّم أهالي (بون) بألمانيا بطلب إلى السلطات المختصّة يطلبون فيه أن ينصّ في الدستور الألمانيّ على إباحة تعدّد الزوجات، ونشرت الصحف أنّ الحكومة الألمانيّة أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام =

٢) قد تتعنّس الفتيات لا لكثرة فيهنّ بل لأسباب اقتصاديّة وتقاليد باليــة مثــل: أزمــة السكــن والبطالــة وغــلاء المهــور وولائم الأكاسرة ....، فيكون تعدّد الزوجات إنقاذا للمجتمع من وضع لم يتسبّب الإسلام فيه أبدا!.

إنّ قاعدة الإسلام الخالدة أنّ المرأة بلا زوج وضعيّة غير طبيعيّة والعكس كذلك، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧].

٣) قد تكون الزوجة الأولى عاقرا، والرجل مفطور على حبّ الذرّيّة ولا يرغب في نفس الوقت مفارقتها وتطليقها لحبّه لها أو رحمة بها، فمن مصلحتها أن يُعدّد ليحقّق عدّة فوائد:

* إبقاؤها تحت عصمته.
* إحصان وستر امرأة أخرى وإعفافها.
* إنجاب الذرّيّة التي لا استمرار للحياة إلاّ بها.

= تعدّد الزوجات في الإسلام لأنّها تفكّر في الاستفادة منه كحلّ لمشكلة زيادة النساء، ثمّ تبع ذلك وفد من علماء الألمان اتّصل بشيخ الأزهر لهذه الغاية.

ولم يُنفّذ مبدأ تعدّد الزوجات في ألمانيا رغما عن إرادتها لأنّ الدول التي احتلّتها خشيت (حين تجد كلّ فتاة زوجا شرعيّا) ألاّ يجد جنود الاحتلال متعتهم المحرّمة التي يجدونها اليوم بغاية اليسر!، كما أنّ إفساد الأخلاق في ألمانيا المحتلّة كان هدفا من أهداف الاحتلال لكي يؤخّر قومة (الغول) الذي يهدّد المحتلّين. حاشية كتاب [تنظيم الإسلام للمجتمع] (للدكتور رمزي نعناعة). وراجعي أيضا [المرأة بين الفقه والقانون] من (ص:٧٥).

٤) قد تقوى طبيعة الرجل الجنسيّة فلا يقنع بامرأة واحدة، فإذا سَدَدْنا عليه باب التعدّد فتح لنفسه باب الزنى والمخالفة والدعارة فتُنتهك الأعراض وتضيع الأنساب وذلك شرّ عظيم، وفي فتح باب التعدّد تمهيد لكثرة النسل الذي تعتزّ به الأمّة، وإنّ دينا يُحرّم الزنى ويُعاقب عليه أقسى العقوبات جدير به أن يفتح باب التعدّد إشباعا للغريزة ودفعا للشرّ ورغبة في كثرة النسل الحلال[1].

٥) أن تُصاب الزوجة بمرض مزمن أو مُبعِد أو منفر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فالزوج هنا بين ثلاث حالات: إمّا أن يصبر ويعفّ نفسه عن الحرام وفي ذلك مشقّة كبيرة عليه، وإمّا أن يطلّق زوجته المريضة وليس في ذلك شيء من الوفاء ولا من المروءة وفيه الضياع والمهانة للزوجة المريضة، وإمّا أن يتزوّج عليها أُخرى ويُبقيها في عصمته لها حقوقها كزوجة ولها الإنفاق عليها في كلّ ما تحتاج إليه من دواء وعلاج ....، ولا يشكّ أحد في أنّ هذه الحالة الأخيرة أكرم وأنبل وأضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها على السواء!.

٦) أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار، وتكون إقامته في غير بلدته تستغرق في بعض الأحيان شهورا، وهو لا يستطيع أن ينقل زوجته وأولاده كلّما سافر ولا يستطيع أن يعيش وحيدا في

---

(١) [الزواج في الشريعة الإسلاميّة] (علي حسب الله) (ص:١١٥،١١٦).

سفره تلك الأيّام الطويلة[١].

هذه بعض الحالات المعقولة التي ظهرت فيها فوائد تعدّد الزوجات جليّة ساطعة لا يُنكر فضلها إلاّ مُكابر معاند!.

وأقواها عندي حالة فتياتنا الآن اللواتي انقسمن إلى قسمين: إمّا صغيرات خائفات من شبح العنوسة، وإمّا عانسات لا يدرين متى يتخلّصن من هذا الكابوس الذي يُعكّر صفو حياتهنّ!.

والعنوسة اليوم واقع اجتماعيّ واضح تكاد تكون مشكلة كلّ العائلات، فهل نحلّها بالسكوت عنها أو الاعراض عن مناقشتها؟، هل نحلّها بهزّ الأكتاف والعموميّات الفارغة و(الديماغوجيّة) التي سمع منها الناس حتّى انتفخت آذانهم؟!، هل نحلّ مشكلة العنوسة التي تنخر البيوت بمنع التعدّد فنزيد الطينة بلّة والمرارة علقمة ونعمد إلى آخر معاقل الأمل عند أخواتنا العوانس لنقضها؟!، هل منع تعدّد الزوجات يحلّ المشكلة أم يزيدها تعقيدا؟!، ثمّ هل يُراد للإسلام أن يُساير جهل الجاهلات وغفلة الغافلات وأنانيّة الأنانيّات أم يُراد للإسلام أن يكبح جماح الأنانيّة ويُوقظ الغافلات ويُنير عقول الجاهلات؟!.

الإسلام أُختيّاه دين واقعيّ فطريّ يأبى أن يحلّ مشاكلنا بالكلمات المعسولة الرطبة التي لا نجني من ورائها إلاّ مزيدا من الضياع.

الإسلام يقف من أمراضنا موقف الطبيب من المريض، فإذا كان

(١) [تنظيم الإسلام للمجتمع] (للدكتور رمزي نعناعة).

العلاج يستوجب الحقنة استعملها، وإذا كان يستوجب الجراحة استعملها، فيجب في منطق الإسلام فتح الجرح لمداواته!.

هل التعدّد ضرورة أم مباح؟:

أباح الإسلام تعدّد الزوجات لكلّ من توفّرت فيه شروط (العدل وحسن العشرة)، ولم يُقيّده بحالات معيّنة كما يريد بعض المدافعين عن الإسلام (بحسن نيّة أو بسوئها)!.

فالتعدّد ليس حكرا على من عقمت زوجته أو مرضت أو لم تُقنعه الواحدة، بل هو تشريع لكلّ من علم من نفسه العدل.

يكفي أن نعلم أنّ التعدّد مباح، فهل الأعذار هي التي تُلجئنا لاستعمال المباح؟؛ هل الضرورة هي التي تُلحّ الناس لشرب الماء أو أكل اللحم مثلا؟، وهل هي التي تدفع الناس للانتفاع بدفء الشمس؟.

لقد وقف كثير من الكتّاب الإسلاميّين من موضوع تعدّد الزوجات موقف المتّهم الذي لا يملك -والحال أنّه في قفص الاتّهام- إلاّ الدفاع!، بل فيهم من حاول مراوغة النصوص والتماس الأعذار!، وما ذاك إلاّ لانبهاره بالحضارة الغربيّة واعتقاده أنّ أهلها حقّا -كما يزعمون- دعاة علم وتنوير!.

وهذا منهج يرفضه الإسلام جملة وتفصيلا، أمّا جملة فلأنّه يُنسب القصور إلى الله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، وأمّا تفصيلا فلأنّ منهج الإسلام هو الهجوم وليس الدفاع.

الإسلام بتعبير العلاّمة وحيد الدين خان يتحدّى!، فلا داعي للتبرير والانهزام والتماس الأعذار لأنّ تشريع تعدّد الزوجات لا يفتقر إلى كلّ ذلك نظرا لواقعيّته وحاجة البشريّة إليه.

ويكذب عليك أُختيّاه من يزعم أنّ تعدّد الزوجات حالة إسلاميّة فقط، فإن عنى بقوله أنّ الإسلام رفع علاقة الرجل والمرأة إلى مستوى الإنسانيّة فلم يرض لها أن تكون مجرّد عشيقة وخليلة وظيفتها تمتيع من هبّ ودبّ ... فنعم، وإن عنى أنّ التعدّد ليس موجودا أصلا في مختلف دول العالم وخاصّة العالم الغربيّ فقد أخطأ، لأنّ القوم هناك يُعدّدون العشيقات والخليلات ولا فرق عندهم بين الحليلة والخدينة ولا بين الزوجة والعشيقة بل فيهم من لا يفرّق حتّى بين الزوجة والبنت والأمّ!.

فالتعدّد إذًا موجود عند جميع شعوب العالم غير أنّ الإسلام هذّبه ونظّمه وأدخله دائرة الضوء.

يقول الدكتور نور الدين عتر: «ما بال بعض الكاتبين الإسلاميّين يدافعون عن الإسلام بغير علم فيمسخون الحكم الشرعيّ في التعدّد ويزعمون أنّ الإسلام لا يُبيح التعدّد إلاّ لعذر يُلجئ الرجل إليه؟!.

إنّ العيب في هذا الدفاع أنّه يُغفل ضروريّات التعدّد الاجتماعيّة والطبيعيّة العامّة التي شرحناها ويهول للناس بأنّ تعدّد الزوجات مشكلة اجتماعيّة خطيرة.

ثمّ إنّ النصّ القرآنيّ واضح في تفويض ممارسة التعدّد إلى تقدير الرجل

وتحقّقه من نفسه الكفاءة للتقيّد بالشرط الذي يُبيح له ذلك، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾، فالآية تعالج طمع أُناس في نكاح يتيمات عندهم لرغبة في قلّة مهرهنّ وأنّه يمكن التغاضي عن بعض الحقوق التي تُطلب عادة لغير اليتيمة، فجاءت الآية تُبيّن قبح هذا التصرّف وتهيب بالمؤمن أن يتحرّز عنه، فإنّ الله قد وسّع عليه أن ينكح من النساء مثنى وثلاث ورباع فلا عذر مع هذه التوسعة في النكاح لأيّ غمط يقع على اليتيمات.

وفي هذا الصدد تُبيّن الآية شرطا واحدا فقط لإباحة التعدّد هو العدل، فأيّ شرط آخر أو تقييد للتعدّد يكون افتئاتا[1] على كتاب الله»[2].

قلتُ: لا خلاف أنّ تعدّد الزوجات مباح وليس ضرورة للأدلّة الآتية:

- أنّ القرآن الكريم تحدّث عن تعدّد الزوجات كأنّه أمر عاديّ أو كأنّه هو الأصل في الزواج، ثمّ جعل الزواج من الواحدة هو الاستثناء الذي يُلتجأ إليه عند خوف عدم العدل، ولو كانت الواحدة هي الأصل والتعدّد لا يُلجأ إليه إلاّ عند الضرورة لكان النسق القرآنيّ: فتزوّجوا واحدة فإن كانت عاقرا أو مريضة أو لم يكتف بها الزوج فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

---

(١) افتئات: كذب.

(٢) [ماذا عن المرأة؟] (ص:١٤٨،١٤٩).

وثلاث ورباع[1].

- أنّ الآية تحدّثت عمّا يتعدّد من النساء بعنوان: ﴿مَا طَابَ﴾: أي ما أُحلّ وأُبيح كما في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور:٢٦]، والضرورة إنّما يُباح بها المحظور لا الطيّب، وأمر آخر من ناحية التطبيق العمليّ للآية الكريمة فقد أمر النبيّ ﷺ عقب نزولها كلّ من كان معه أكثر من أربع أن يختار أربعا ويطلّق الباقي، ولو أنّ الأصل الواحدة والتعدّد لا يُلجأ إليه إلاّ عند الضرورة لأمر النبيّ ﷺ باستبقاء واحدة ثمّ أعطى الرخصة في التعدّد لمن كانت زوجته مريضة أو عاقرا ....، بيد أنّه عليه الصلاة والسلام أباح الأربع دون أن يُقيّد ذلك بغير ما قيّده الله عزّ وجلّ به.

يُضيف العلاّمة أبو النور فيقول: «غير أنّي أُشير إلى أساس آخر للقائلين بأنّ التعدّد مباح لم يُشر إليه واحد من المتكلّمين حول هذه المسألة وهو أساس قويّ يُؤخذ ممّا ثبت عن عمر وعرضه حفصة على أبي بكر وعثمان ﷺ قبل أن يخطبها إليه النبيّ عليه الصلاة والسلام، ذلك أنّ أبا بكر كان وقتها متزوّجا من أمّ رومان وابنتها عائشة رضي الله عنها كانت زوجا للنبيّ ﷺ، ولم تكن أمّ رومان عقيما ولا مريضة ولم تكن ثمّت أيّة ضرورة ممّا يُشير إليه القوم، وقد عرضها عمر على أبي بكر وهو يعلم ذلك كلّه؛ فلو لم يكن التعدّد مباحا لذاته لما حدث هذا من عمر ولما قبله أبو بكر، أفليس في هذا دليل بليغ على أنّ التعدّد يجوز ولو لم تكن هناك ضرورة مُلجئة إليه؟، وأمر

(١) [منهج السنّة في الزواج] (للدكتور محمد الأحمديّ أبو النور) (ص:٢٥٩).

ثالث هو طلب كلّ من أبي بكر وعمر الزواج من أمّ سلمة قبل أن يخطبها النبيّ ﷺ»[١].

إذًا تقرّر لكِ أُختيّاه أنّ التعدّد مباح، تبيّن لكِ حجم الفتنة التي يقودها دعاة منع المباح!.

شروط تعدّد الزوجات:

رغم أنّ الشريعة الإسلاميّة أباحت التعدّد إلاّ أنّها قيّدته بقيدين:

الأوّل : القدرة المادّيّة والجنسيّة.

الثاني : العدل بين النساء في الأمور المادّيّة.

والعدالة مطلوبة عند تعدّد الزوجات هي حسن العشرة المطلوبة في كلّ زواج والمساواة بين الزوجات في المظاهر المادّيّة دون النواحي النفسيّة[٢].

فليس المراد بالعدل التسوية في العاطفة والمحبّة والميل القلبيّ فهو غير مراد لأنّه غير مستطاع ولا مقدور لأحد والشرع إنّما يُكلّف بما هو مقدور للإنسان، فلا تكليف في الأمور المجبولة الفطريّة التي تخضع للإرادة مثل الحبّ والبغض[٣]، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ

---

(١) [منهج السنّة في الزواج] (للدكتور محمد الأحمديّ أبو النور) (ص:٢٥٩-٢٦١).

(٢) [إحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام] (للدكتور سعد الدين السيّد صالح) (ص:٢٢٢).

(٣) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته] (للزحيليّ) (١٦٨/٧).

النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩]: أي في الحب القلبيّ لأنّ عواطف القلب ليست مما يملكه الإنسان.

ومن الثابت أنّ رسول الله ﷺ رغم حرصه في العدل بين زوجاته وبلوغه في العدل الدرجة القصوى كان حبّه لعائشة أكثر، وقد ثبت في [الصحيحين] عن عمرو بن العاص: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالاً].

وقد سأل أزواج رسول الله ﷺ منه العدل فيما لا يملكه، فأرسلن فاطمة رضي الله عنها تطلب منه العدل في الحب.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: [أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي[1] فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟!، فَقَالَتْ: بَلَى!، قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ][2].

---

(١) المِرْطُ: كساء من صوف.

(٢) أخرج البخاريّ نحوا منه وأطول في [صحيحه] (كتاب الهبة) (باب من أهدى إلى صاحبه) (٥/٢٠٥)، وأخرجه الإمام مسلم في [صحيحه] (كتاب فضائل الصحابة) (١٥/٢٠٥)، والنسائيّ في [سننه] (كتاب عشرة نساء) (باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض) (٧/٦٥).

وثبت في الصحيح من حديث حمّاد بن سَلَمَة عن أيّوب عن أبي قِلاَبَة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ][١]، يُريد ﷺ أن يُطيق العدل بينهنّ في النفقة عليهنّ والقسم بينهنّ، وأمّا التسوية بينهنّ في المحبّة فليست إليه ولا يملكها[٢].

والعدل المادّيّ هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]، فبمجرّد الشعور بعدم العدل يفرض على المسلم الالتجاء والاكتفات بالواحدة.

وعلى هذا الأساس قرّر علماؤنا حرمة تعدّد الزوجات لمن علم من نفسه الظلم.

قال العلاّمة الزحيليّ: «الاقتصار على امرأة واحدة واجب عند خوف الظلم»[٣].

وقال الشيخ سعيد حوّى رحمه الله: «قال الفقهاء: يحرم الزواج بأكثر من واحدة إذا تأكّد من نفسه الجور، فإن ظنّ من نفسه ولم يتأكّد كُرِه له كراهة تحريميّة أن يتزوّج من واحدة»[٤].

(١) رواه الترمذيّ والنسائيّ وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارميّ.
(٢) [روضة المحبّين ونزهة المشتاقين] (لابن القيّم) (تحقيق وتخريج: عصام فارس الحرستانيّ ومحمّد يونس شعيب).
(٣) [التفسير المنير] (٤/٢٤٠).
(٤) [الأساس في التفسير] (٢/٩٩١).

وقال العلاّمة الدكتور محمد الأحمديّ أبو النور: «فمن خاف أن لا يعدل إذا تزوّج أكثر من واحدة لم يبح له التعدّد، تماما كمن خاف أن لا يعدل مع الواحدة يحرم عليه أن يتزوّج»(١).

هكذا احتاط الإسلام واشترط لصيانة حقوق النساء، فليس التعدّد هواية يُمارسها الرجال على النساء لا أبدا، بل مسئوليّة وتكاليف يُضيفها الرجل إلى جملة أعبائه.

والمشكل ليس في التعدّد بل هو في الظلم الذي يُسلّطه الرجال على النساء، وكم رأينا من الصالحين الذين جمعوا تحت عصمتهم أكثر من زوجة وسارت حياتهم في منتهى الغبطة، وكانت زوجاتهم في غاية السعادة بسبب ما أشاعه هؤلاء الصالحون في بيوتهم من حبّ ومودّة ورحمة وتربية وعدل، وكم رأينا كذلك من بيوت دُمّرت وزوجات ضُربت وأبناء شُرّدت رغم قيامها على وحدة الزوجة بسبب الرجال الظلمة والطواغيت الصغار الذين جعلوا من ضرب زوجاتهم مستراحا لهم يُسلّيهم عن الذلّ الذي يتجرّعونه خارج بيوتهم!(٢).

---

(١) [منهج السنّة في الزواج] (ص:٢٣٧).

(٢) تعترف إحدى الزوجات قائلة: «قبل أن يتزوّجني كان يوسط هذا وذاك حتّى يُوافق أبي، حاول المستحيل من إغراءات ماليّة ومعنويّة حتّى أُوافق عليه، ولم يرفض أيّ شرط مهما كان صعبا أو سهلا، ظلّ يتوسّل في سبيل الاقتران بي عامين كاملين، والدي ووالدتي وجميع إخوتي رقّوا لحاله إلاّ أنا لأنّني في البداية لم أُوافق عليه.

وبعد عناء وتفكير طويل رضيت به زوجا، وسافرت معه حيث =

القضيّة إذًا ليست بالطريقة التي اختارها الجهلة، فهم غالبا يُزوّجون

= عشت العام الأوّل معه في سعادة ... لينقلب بعد أن رُزقنا بطفل من إنسان خيّر إلى وحش كاسر لا يرحم ولا يعرف كيف يُعامل امرأة ويحترمها، رغم أنّ المنصب الذي يشغله هامّ جدّا.

أصبح يعيش في غرفة وأنا في أُخرى، يسهر حتّى صباح اليوم التالي، لا يهتمّ حتّى بابنه وكأنّه يعيش في فندق، ناقشته في أمره يوما فردّ قائلا: «أحقّا تُريدين أن أثبت لكِ أنّني زوجك؟، حسنا سوف يكون لك ما أردت»، خرج لدقائق ثمّ عاد وهو يحمل أنبوب ماء وجلدني به حتّى أُغمي عليّ، ومنذ ذلك اليوم وهو يتفنّن في طرق الضرب!.

وذات مرّة أراد تطبيق ما شاهده في أحد أفلام الرعب والعنف حيث رشّ صدري بالبنزين بعد أن ربطني وأضرم النار فيه ثمّ خرج لولا أن لطف بي الله وجاء أخي الصغير ليُفاجئنا بزيارته ووجدني على تلك الحالة أصرخ من شدّة الألم وأحضر سيّارة الإسعاف لتنقلني إلى المستشفى. في البداية أخفيت أمر الحادث عن أهلي بعد أن توسّلت أخي أن لا يُخبر أحد، لكن لمّا علمتُ أنّ زوجي المعذِّب قد تناسى الأمر وتقمّص شخصيّة الزوج القلق على زوجته قرّرت أن أُسرد تفاصيل ما عانيته على أهلي الذين لم يتوانوا لحظة في العمل على تسريحي من هذا الزوج المتمسكن!». جريدة [الشروق العربي] (عدد:١٩٣).

سيّدة أُخرى في الثالثة والعشرين من العمر تروي مأساتها بكامل تفاصيلها فتقول: «شاءت الظروف أن أتزوّج من رجل يكبرني بخمسة عشر سنة مطلّق مرّتين ولديه أولاد من زوجتيه السابقتين، كان يَعِدُني بالمعاملة الحسنة وبناء بيت سعيد ....

وبعد أن حدث ذات يوم سوء تفاهم بسيط بينه وبين أهلي ظهر لي على صورته الحقيقيّة التي لم أكن أتوقّعها أبدا!، في البداية منعني من زيارة أهلي ثمّ أصبح يشرب الخمر ويضربني مع أولاده ضربا مبرحا يسبّب لنا جروحا بليغة!، =

لـلموضوع على أسـاس الأغلوطة العـدديّة، فالاقتصـار على الواحـدة يعني عنـدهم السعادة والرفاهيّة والصحّة والهدوء، وتعدّد الزوجات يعني عندهم التعاسة والضجيج والمكائد والعداوات والغيرة.

هذه أُغلوطة مكشوفة، فمن الرجال من باستطاعتـه إسعاد زوجاته الأربع وجيرانه وأصدقائه وأولاد الجيران ....، وفيهم من لا يقوى حتّى على

= كان الوقت يمضي وهو لا يتغيّر يتفنّن في تعذيبي وإهانتي بكلام جارح، وكان يُهدّدني دائما بالزواج من رابعة!. وفي بداية ١٩٩٤ جاء الفرج لحملت منه وكانت فرحتي كبيرة وظننت أنّه سوف يقدّر أمومتي.

مرّت الأيّام والشهور وأنا أتعذّب بين أربعة جدران بسبب شدّة اشتياقي لأهلي وسوء معاملته لي والتي تطوّرت إلى درجة أنّه أصبح يأخذني إلى فناء البيت ويربطني ويجرّدني من ملابسي ويسكب عليّ الماء البارد ثمّ يخرج ويغلق عليّ الباب ويأخذ المفتاح معه!.

وبعد أربعة أشهر تعرّضت إلى عذاب فظيع جدّا، إذ دخل إلى البيت حاملا زجاجتين من النبيذ فاعتقدت أنّه يُريد منّي أن أملأ حوض الحمّام بالماء لأنّه يُريد الاستحمام، لكن طلب من ابنه الأكبر أن يجلب له سلكا كهربائيا ثمّ طرده خارج المنزل، وطلب منّي الدخول في حوض الحمّام وغلق الباب وجرّدني من ملابسي، ثمّ قام بحرقي وتعذيبي بذلك السلك الكهربائيّ!. ولم أفق إلاّ في اليوم الموالي وأنا مرميّة في فناء البيت أرتجف من شدّة البرد والألم، فقمت ولبست ملابسي فجاء وضربني لأنّني لم أبق مربوطة في الفناء وعذّبني أشدّ العذاب، ومن حسن الحظّ أنّه نسي إغلاق باب البيت هذه المرّة ممّا مكّنني من الخروج والاتّصال هاتفيا بالشرطة، فجاءوا وعاينوا مكان الجريمة وأداءها وأخذوني إلى الطبيب الشرعيّ الذي أثبت صحّة تعرّضي للتعذيب الوحشيّ، ثمّ أخرجوا زوجي من العمل وقادوه إلى السجن». جريدة [الشروق العربي] (عدد:١٩٣).

إسعاد نفسه وإدخال شيء من البهجة ولو على قلبه!.

ووجود امرأة تحت عصمة رجل فحل شريف يخاف الله فيها ووجود امرأتين تحت عصمة رجل فحلٌ شريفٌ يخاف الله فيهنّ ويقوم على شؤونهنّ ويعبد الله من خلال الإحسان إليهنّ خير لهنّ من وجود كلّ واحدة على حدة تحت عصمة رجل فاسق مخمور يتقرّب إلى الشيطان بتعذيب زوجته آناء الليل وأطراف النهار ....!.

كم من شكوى رُفعت إلينا وكم من قضايا عائليّة وصلت المحاكم ودُوّنت في محاضر الشرطة سببها الأزواج المتسلّطون الأنانيّون والزوجات المستهترات، فلنُحرّم إذًا الزواج من الواحدة على هذا الأساس!.

كذلك تعدّد الزوجات لا داعي لمحاربته كنظام اجتماعيّ شُرع أصلا لحفظ كرامة المرأة وكيان المجتمع، بل الأصل والمطلوب إبرازه ونشره وتوضيح أحكامه حتى نحصّن النساء ونقيهنّ مغامرات المغامرين.

ولنا أن نُحذّر ممّا يفعله كثير من (ذكور اليوم) باسم تعدّد الزوجات، يتركون زوجاتهم وأولادهم وبناتهم بحثا عن الحسناوات الصغيرات الألعبانات، يعجز أحدهم عن الإحسان لزوجته وإقامة العدل والإنصاف معها في الوقت ذاته يؤكّدون قدرتهم على العدل عند التعدّد!، وفاقد الشيء لا يُعطيه.

لقد أساءوا لزوجاتهم ولأنفسهم وأولادهم كما أساءوا في حقّ مجتمعهم، وفوق هذا كلّه أساءوا إلى دينهم لمّا جعلوا من أنفسهم حجّة في يد الملحدين

يرفعونها كلّما فُتح النقاش حول تشريع تعدّد الزوجات.

فليعلم هؤلاء أنّ تعدّدهم حرام في حرام وأنّه لولا شبهة الوليّ والمهر والوليمة لاستحقّوا في شريعة الإسلام الرجم!.

والإسلام بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، لأنّ التعدّد المشروع في شريعتنا أن تكون لك زوجتان أو أكثر تعيشان تحت مسئوليّتك تقوم أنت بالإنفاق عليهنّ وسدّ حاجاتهنّ وتسهر على راحتهنّ وسعادتهنّ، تُوزّع نفسك عليهنّ بالقسط في الحضور والمبيت والإقامة والسفر والعطيّة والهديّة والملاطفة والمعاشرة والسكنى، تُشعر كلّ واحدة بحنانك وحبّك وعطفك ورجولتك وشهامتك وإحسانك، هذه الخصال منك هي التي تُذيب نار الغيرة من صدورهنّ، وهي التي تُحوّل بيتك إلى بيت علم وهدوء ووقار.

هل يُشترط لتعدّد الزوجات إذن القاضي؟!:

عرفنا فيما سبق أنّ تعدّد الزوجات مُباح شرعا بشرطين حدّدهما القرآن الكريم وهما: العدل بين الزوجات، والقدرة على الإنفاق، وخوّلت الشريعة للزوج تقدير إمكانيّة قيامه بهذين الشرطين، كما أناطت وقوع التعدّد إلى إرادة المرأة وحدها، فهي الوحيدة التي تجعل بموافقتها التعدّد ممكنا، ولا يُمكن لأيّ رجل أن يجبر المرأة على أن تكون زوجته الثانية.

لكنّ أعداء تعدّد الزوجات (وهم في الأصل أعداء الإسلام نفسه) حاولوا وبشتّى الطرق محاربة هذا التشريع الربّانيّ الحكيم حتّى لو أدّت حربهم (غير المقدّسة) إلى الدوس على مبادئهم وأفكارهم التي اشتهروا بها.

وبلغت الجرأة إلى النصّ في التشريعات الرسميّة على أنّ تعدّد الزوجات ممنوع، والمتزوّج بأكثر من واحدة يستوجب عقابا بالسجن مدّة عام وبغرامة ماليّة قدرها: ٢٤٠,٠٠٠ فرنكا أو بإحدى العقوبتين![(١)]، الأمر الذي دفع بكلّ راغب في التعدّد إلى الزواج السرّيّ، وإذا ما قُبض عليه متلبّسا بزواج ثان لا يُدينه القانون لانتفاء الوثائق اللازمة للإدانة يكفي أن يُعلن الزوج أنّها عشيقته وليست زوجته لينال براءته. فالقانون لا يمنع الزنى بين ناضجين راضيين بينما يمنع التعدّد في الحلال!.

وإلى جانب هذه الصيحة المجنونة ظهرت صيحة أُخرى أقلّ جنونا بل ظاهرها الحرص على مصالح العائلات وهي الدعوة لجعل (التعدّد بإذن القاضي) وبعد موافقته!.

وعيبُ هذه الدعوة يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

× عيبها الأوّل أنّها جعلت القاضي أعلم بمصالح الناس وحاجاتهم من أنفسهم، وإرادته أولى بالتنفيذ من إرادة المرأة، والغريب أنّ دعاة تقيّد التعدّد بإذن القاضي هم دعاة تحرير المرأة!، فكيف

---

(١) كما هو الشأن في التشريع التونسيّ الصادر عام ١٩٥٦ الذي لم يمنع الشعب التونسيّ (المسلم) من التعدّد في السرّ، الأمر الذي أدّى إلى ارتفاع عدد الولادات السرّيّة وعدد الزوجات السرّيّة (العرفيّة)، وقد ضبط رجل متزوّج اثنتين واستطاع محاميه أن يجنّبه العقوبة بأن أثبت للمحكمة أنّ الثانية (عشيقته) وليست زوجه!. [الزواج ومُقارنته بقوانين العالم] (لزهدي يكن) (ص:٢٢١).

يجمعون بين الدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها للرجل ونضجها وأهليتها وبين سلبها حرّيتها وإرادتها إذا تعلّق الأمر بتعدّد الزوجات؟!.

الإسلام يُعطي المرأة حرّيّة الاختيار والموافقة على أن تكون زوجة ثانية من عدمها، ولا يقيم القاضي حاجزا بينها وبين رغبتها وإرادتها.

× إنّ وضع المسألة بيد القاضي لا يحلّ المسألة بل يزيدها تعقيدا لما يترتّب على ذلك من أضرار كثيرة، حيث يخرج عقد الزواج المشروع للسكن والمودّة إلى عقد تبادليّ تُنشَر فيه أسرار البيوت أمام المحاكم، ويُعطى الإذن لمن لا يستحقّ إذا أحكم الحيلة ويمنع المستحقّ إذا آثر كتم الأسباب الحقيقيّة التي تدعوه إلى الزواج الثاني محافظة على كرامته وكرامة زوجته(☆).

ثمّ يكون بعد ذلك إمّا زواج عرفيّ غير موثّق لا تعترف الدولة بحقوقه، أو سلوك طريق شائك غير مشروع![2].

× إنّ الله سبحانه وتعالى أناط بالراغب في الزواج وحده تحقيق

(☆) طلّق رجل زوجته فلامه إخوانه على فراقه لها: «ألم تكن جميلة!؟، ألم تكن عفيفة؟!، ألم تكن ....»، فتناول الرجل حذاءً جديدا كان يرتديه ورفعه إليهم ليروه وسألهم: «أليس حسن المنظر جيّد الصنع؟»، ثمّ قال: «ومع ذلك لا يدري أحد منكم في أيّ موضع يضيق ويؤلمني». [فكاهات الزواج والطلاق والحموات] (لرابح خدّوسيّ) (ص:١٠٦).

(٢) [أحكام الأسرة في الإسلام] (للأستاذ محمّد مصطفى شلبيّ) (ص:٢٤٥).

شرطي التعدّد، فهو الذي يُقدّر الخوف من عدم التعدّد لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]، فإنّ الخِطاب فيه لنفس الراغب في الزواج لا لأحد سواه من قاض أو غيره، فيكون تقدير مثل هذا الخوف من قِبَل غير الزوج مخالفا لهذا النصّ، وكذلك البحث في توافر القدرة على الإنفاق فإنّه منوط بالراغب في الزواج لقوله ﷺ: [يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ] (الحديث)[١]، فهو خطاب للأزواج لا لغيرهم.

× إنّ تعدّد الزوجات ليس بهذه الكثرة المخيفة وإنّما هو على العكس محدود ونادر، لا يتجاوز نسبة: ٤٪ في مصر وليبيا في الخمسينات وفي سوريا بنسبة: ١٪، ومثل هذه النسب لا تستوجب إصدار قوانين خاصّة بها، بل إنّه إذا صدرت القوانين فلن يتغيّر من الأمر شيء لأنّ هذه القضايا تحتاج لضوابط وكوابح داخليّة هي الدين والوجدان والأخلاق[٢].

× إنّ إعطاء هذه الرقابة للقاضي على مُريد التعدّد لا طائل من ورائها ولا يستطيع أن يصل فيها إلى ما يُفيد، لأنّ مسألة العدل والجور عند الرجل لا يُمكن معرفتهما ولا التأكّد منهما لأنّهما من الأشياء المستقبليّة ولا يمكن الحكم عليهما مسبقا، كما أنّ الرجل

---

(١) متّفق عليه.
(٢) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته] (للعلامة وهبة الزحيليّ) (٧/١٧٢).

قد يبدو عادلا منصفا حسب الظاهر وإذا هو مُنغمس في الجور لا سيما في معاملته لزوجته أو قد يُظنّ به الجور فلا يجور وقد يُظنّ به قلّة ذات اليد ولكنّه رجل كسوب -والرزق بيد الله-.

ثمّ إنّ كون الرجل يعدل أو يجور ويقدر على الإنفاق أو لا يقدر من المسائل التي تتعلّق بالمرأة والرجل وتتعلّق بعائلتهما، والمرأة وأهلها حريصون على معرفة هذه المسائل من الرجل الذي يخطب امرأتهم فهم أقدر من القاضي على معرفة الحقيقة؛ فترك الأمر لهم وكفّ يد القاضي عن التدخّل بهذه المسألة هو الذي يحقّق مصلحة المرأة لأنّها وأهلها أحرص قطعا على مصلحتهم من حرص القاضي عليها.

x لأنّ الإجماع انعقد على عدم اشتراط إذن القاضي لإباحة التعدّد جاء في قرار (مجمع البحوث الإسلاميّة) الذي اتخذه في مؤتمره الثاني في القاهرة في سنة ١٣٨٥هـ الموافق لسنة ١٩٦٥ بشأن تعدّد الزوجات ومدى مشروعيّة اشتراط إذن القاضي لإباحة تعدّد الزوجات: «بشأن تعدّد الزوجات يُقرّر المؤتمر أنّ تعدّد الزوجات مُباح بصريح نصوص القرآن الكريم وبالقيود الواردة فيه، وأنّ ممارسة هذا الحقّ متروكة إلى تقدير الزوج ولا يحتاج في ذلك إلى إذن القاضي».

وممّا يؤيّد ما ذهب إليه مجمع البحوث في قراره هذا أنّه لم يُنقل إلينا في عصر من عصور الإسلام من عهد رسول الله ﷺ والعصور التي تلته أن قال أحد الفقهاء باشتراط إذن القاضي

لإباحة تعدّد الزوجات لمن يُريده، ولو كان هذا الشرط مشروعا لما خلت كتب الفقه والقضاء من ذكر وقوعه أو اقتراحه، فعدم وجود شيء من ذلك يدلّ دلالة قاطعة على إجماع سكوتيّ على عدم تعليق إباحة تعدّد الزوجات على إذن القاضي، فاقتراحه الآن خرق لهذا الإجماع(١).

ولكِ أن تسألي أُختيّاه أصحاب هذه الدعوة بل الدعوات الهدّامة: لماذا لا يُناضلون من أجل جعل شرب الخمر أو الزنى أو السحاق أو اللواط أو المخادنة أو القبلات أو أكل شهر رمضان ... بإذن القاضي؟!، لماذا لا يُناضلون من أجل جعل المحرّمات بإذن القاضي؟!.

والسبب واضح: إنّهم يُحبّون ذلك ولا يُريدون أن يتدخّل القاضي في منعهم عن الحرام أو إبعادهم عنه ويعملون جهدهم من أجل التضييق على الحلال!.

فكذلك نحن لا نُريد للقاضي أن يتدخّل في تحديد الحلال الذي أحلّه الله، بل عليه أن يُقيم الحدود على الذين أباحوا ما حرّم الله ولم ينتظروا إذن القاضي لارتكاب كلّ أنواع المنكرات.

---

(١) [المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلاميّة] (للدكتور عبد الكريم زيدان) (٦/٢٩٣،٢٩٤).

التحذير من إساءة استعمال حقّ التعدّد:

أساء الرجال استعمال حق تعدّد الزوجات كما أساءت النساء استعمال مبدأ الحرّيّة! لقد حوّل الجاهلون تشريع تعدّد الزوجات إلى سلاح في أيديهم يُشهرونه في وجه زوجاتهم كلّما رغبوا في إزعاجهنّ وتعكير صفوتهنّ.

تجد الواحد منهم عاجزا عن إعالة نفسه لا يقوى على تحصيل قوت يومه يرفع سوط التعدّد كلّما هفت زوجته المسكينة فتأخّرت في ترتيب مائدة العشاء أو تباطأت عن غسل قدميه أو لم تلد له إلاّ البنات!، وقد يسهر الجاهل مع بعض القنوات الأجنبيّة فيملأ عينيه (بما لذّ وطاب) من أجساد الغانيات العاهرات، في هذه اللحظة فقط يتذكّر الجاهل أنّ له دينا يُبيح له تعدّد الزوجات فيتحوّل إلى ناسك متعبّد أدّى ما عليه من فرائض وما بقي له إلاّ تعدّد الزوجات.

لا يا قوم ... تعدّد الزوجات ليس تشريعا في يد المجازفين ولا هواية يُمارسها الذوّاقون.

يقول الشيخ محمد الغزاليّ رحمه الله تعالى: «من المؤسف حقّا أن يهدّ العوام هذه الحدود[1] وأن يتّجهوا إلى التعديد دون وعي لمعنى العدل المفروض بل تلبية لنداء الشهوة ولو أدّى إلى الافتيات والجور الصارخ.

فالرجل قد يعجز عن نفقة نفسه ثمّ هو يسعى إلى الزواج، وقد يعجز عن رعاية واحدة ثمّ هو يبحث عن غيرها، وقد يحيف على بعض أولاده في

(١) يقصد رحمه الله تعالى الحدود التي وضعتها الشريعة لإباحة التعدّد.

التعليـم وفي توزيع الثروة تمشّيا مع هواه، وقد يتزوّج الأخرى ليهجر الأولى ويذرها كالمعلّقة!»(١).

ويقـول الأستاذ محمد مصطفى شلبيّ: «ما نراه من آثار التعدّد السيّئة ليس راجعا إلى التشريع في ذاته وإنّما منشؤه انحراف الناس وإقدامهم عليه من دون حاجة وسوء تصرّفهم بعدم العدل في هذه الحالة.

فكم سفيه جعل غايته من تعدّد الزوجات مجرّد قضاء حاجته الجنسيّة وهذا يحمله على عدم العدل بينهنّ وبين أبنائه، فهو يميل مع من صادفت هوى نفسه يؤثرها على غيرها بل ويسهل عليه التنازل عن ماله لها ولأبنائها، وفي هذا تَعدّ لحدود الله وظلم للأبناء الذين لا ذنب لهم إلاّ أنّهم أبناء هذا السفيه!.

وفي الحق إنّ الناس لو ساروا على الطريقة التي رسمها لهم الشارع والتزموا حدوده ما أنتج تعدّد الزوجات هذه الشرور وتلك المآسي»(٢).

لكن هل لأنّ النساء والرجال أساءوا استعمال حقّ التعدّد نُلغي شريعة التعدّد؟!، هل نُلغي جميع القوانين بحُجّة أنّ الناس أساءوا استعمالها؟!، إذًا لنُلغِ قوانين تنظيم المرور على أساس أنّ كثيرا من الناس أساءوا استعمالها، ونُلغ حقوق الجوار بدافع إساءة الناس استعمال هذا الحقّ، ونُلغ تشريع الحجاب لأنّ بعض المحجّبات أسأن إليه، ونُلغ التعليم والجامعة على أساس

(١) [فقه السيرة] (للشيخ محمد الغزاليّ) (٤٦٩،٤٧٠).
(٢) [أحكام الأسرة في الإسلام] (ص:٢٤٣).

إساءة بعض المعلّمين استعمال هيبة العلم والجامعة، ونُلغ القضاء والإعلام على أساس أنّ بعضا من القضاة ورجال الإعلام لم يُشرّفوا المهنة ....

وهكذا كلّما وجدنا في الناس من يُسيءُ لمبدأ معيّن لا نعمد إليهم فنصلحهم وإنّما نعمد إلى القوانين فنلغيها!، فإذا ما تفطّن الناس (لعبقريتنا) هذه في التقنين عمدوا إلى جميع القوانين والتشريعات التي لا تستهويهم فخالفوها وتنكّروا لها وأساءوا استعمالها وعندئذ نُعاقبهم بإلغائها أو المطالبة بحذفها!. هذا منطق من لا منطق له وعقل من لا عقل له وفكر من لا فكر له، ومن يدعو لمثل هذا فقد أمضى شهادة جنونه.

لماذا لا تدعو الجمعيّات النسويّة (اللائكيّة) إلى تحريم الزواج من الواحدة على أساس أنّ كثيرا من الرجال أساءوا استعمال حقّ الواحدة؟، وفي قصص الآلاف من النساء المضروبات وحتّى المقتولات أكبر ذريعة لتحريم الزواج من الواحدة[1].

الأصل أن نُقوّم اعوجاج المعوجّين وانحراف المنحرفين فنعيدهم إلى جادّة الصواب، وأن نُصحّح أخطاء الغافلين فنرشدهم إلى حقيقة التشريع لا أن نعمد إلى التشريع فنهدّه من أساسه بحُجّة أنّ زيدا وعمرا أساءا استعماله، هذه واحدة، والثانية أنّ تعدّد الزوجات كما قلنا مباح بنصّ القرآن القائل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء]، فهل يجرؤ مسلم يملك ذرّة من إيمان على إلغاء

(١) لو هجمنا على المبادئ العلمانيّة بمثل هذا المنطق المزعوم لنسفناها نسفا!.

أو المطالبة بإلغاء حكم ورد صريحا في القرآن؟!، وهل الملحدون أعلم بمصالح المسلمين من الله تعالى؟!، وهل الشهوانيّون والفاسقات أعلم بمصالح الناس من خالقهم؟!.

إنّ الدعوة لإلغاء تشريع التعدّد فضلا عن كونها دعوة جاهليّة لا تستند لأيّ منطق علميّ، هي كذلك دعوة (دكتاتوريّة) تفرض تصوّراتها على الآخرين.

فعلى أيّ أساس علميّ نتدخّل لنُلغ سعادة امرأة وجدتها في كنف رجل متزوّج؟، وعلى أيّ أساس نُطالبها بإلغاء أساس سعادتها؟، اللهمّ إلاّ على أساس ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

الإسلام يقول التعدّد مباح ومن معاني المباح الحرّيّة وأن تفعل أو لا تفعل في أن تريد أو لا تريد في أن تختار أو لا تختار، وأعداء التعدّد يقولون التعدّد ممنوع ومن معاني المنع الحبس والقيد والحجز.

فأيّ الدعوتين تجسّد بحقّ حرّيّة الإنسان وتطلّعاته؟، وأيّ الدعوتين تستجيب بحق لما يُسمّى بروح العصر؟، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

يقول العلاّمة الزحيلي: «أمّا إساءة استعمال بعض المسلمين إباحة تعدّد الزوجات كالانتقام من الزوجة السابقة أو لمجرّد الشهوة لا لهدف ممّا ذُكر فهو تصرُّف شخصيّ لا يسيء إلى الأصول والمبادئ الإسلاميّة التي أباحت التعدّد مقيّدا بقيود معيّنة، وعلى كلّ حال نادى كثير من فلاسفة الغرب

بتعدّد الزوجات وهو لا شكّ أفضل بكثير من تعدُّد العشيقات والمخادنات، وأمّا الطلاق فهو واقع في كلّ ديار الغرب لأسباب كثيرة بل تافهة يترفّع المسلمون عن مجاراتهم فيها»(١).

---

(١) وإلى المنبهرين بالثقافة الفرنسيّة نسوق هذه الشهادة للفيلسوف الفرنسيّ (غوستاف لوبون)، يقول في كتابه [حضارة العرب] (ص:٤٨٢-٤٨٤): «ولا نذكر نظاما أنحى الأوروبيّون عليه باللائمة كمبدأ تعدّد الزوجات، كما أنّنا لا نذكر نظاما أخطأ الأوروبيّون في إدراكه كذلك المبدأ، فيرى أكثر مؤرّخي أوروبا اتّزانا أنّ مبدأ تعدّد الزوجات حجر الزاوية في الإسلام وأنّه سبب انتشار القرآن وأنّه علّة انحطاط الشرقيّين، ذلك وصف مخالف للحقّ، وأرجو أن يثبت عند القارئ الذي يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوروبيّة جانبا أنّ مبدأ تعدّد الزوجات الشرقيّ نظام طيّب يرفع المستوى الأخلاقيّ في الأمم التي تقوم به ويزيد الأسرة ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوروبا.

ولا أرى سببا لجعل مبدأ تعدّد الزوجات الشرعيّ عند الشرقيّين أدنى مرتبة من مبدأ تعدّد الزوجات السرّيّ عند الأوروبيّين مع أنّني أبصر بالعكس ما يجعله أسنى منه.

وبهذا ندرك مغزى تعجّب الشرقيّين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرهم إلى هذا الاحتجاج شزرا».

ويقول في موضع آخر: «إنّ تعدّد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأوفاها بأدب الأمّة التي تذهب إليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة وأشدّها لآصرته أزرا، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا وأحقّ باحترام الرجل من أختها الغربيّة». [ماذا عن المرأة؟] (ص:١٥٤، ١٥٥).

ويقول (مارسيل بوازار): «... فالإسلام يُصيب إلى التشريع بطريقة واقعيّة وغير مثاليّة أخذا بعين الاعتبار طبيعة الإنسان الحقيقيّة، والإسلام =

ويقول الأستاذ عبد الحليم محمد قبس في ختـام مبحث تعدّد الزوجات

= يفرض الحشمة وهي لا تتحقّق على صعيد الجنس إلاّ في الزواج، ومن هذا المنظور أقرّ الإسلام تعدّد الزوجات والطلاق، ولم يكن هو بالطبع الذي أتى بهما لأنّهما وجدا في جميع الحضارات لكنّه ضيّق نطاق مشروعيتهما.

إنّ تعدّد الزوجات مباح لكنّ الاقتصار بأمانة على زوجة يبقى الغاية المراد بلوغها، إنّه يظلّ مثلا أعلى وربّما غير متلائم مع طبيعة الرجل الحقيقيّة، فقد يكفل تعدّد الزوجات الشرعيّ حياة عائليّة أكثر احتشاما من التي يؤمّنها اقتصار غير متقيّد به على زوجة واحدة ويشتمل بشكل طبيعيّ على الخيانة الزوجيّة والدنس والكذب ويقود إلى إكراه بعض النساء على البقاء عازبات، كما يؤدّي إلى أن يحرم عدد كبير من الأزواج من الأولاد». [إنسانيّة الإسلام] (ترجمة: عفيف دمشقيّة) (ص:١١١،١١٢).

ثمّ يُضيف (بوازار): «إنّ الشريعة الإسلاميّة لا تكتفي بتحديد عدد الزيجات التي تتمّ في وقت واحد بل تفرض كذلك بالمقابل شرطا جازما بمعاملة أولئك الزوجات بطريقة عادلة عدلا مطلقا، والرجل الذي لا يملك القدرة على معاملة عدّة نساء بالتساوي على الصعيدين المادّيّ والعاطفيّ في آن معا لا يتزوّج سوى واحدة». (نفس المرجع).

ويقول (إميل درمنغم): «لقد أباح محمد ﷺ تعدّد الزوجات ولم يوص الناس به ولم يأذن فيه إلاّ بشرط العدل بين الزوجات، فلا يهب إحداهنّ إبرة دون الأخرى ....، وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعيّة مع ذلك، ولم يعرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنّة في النصرانيّة فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب وذلك من غير أن يحمله رعايا (نيرون) إلى بلاد إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وأيّهما أفضل تعدّد الزوجات الشرعيّ أم تعدّد الزوجات السرّيّ؟، إنّ تعدّد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر». (المرجع نفسه). =

مشيرا إلى خطر النماذج السيئة: «لا ننس أن نسجّل قبل نهاية هذا البحث

= ويقول (هنري سوى كاسترى): «بالغ الناس كثيرا في مضارّ تعدّد الزوجات عند المسلمين إن لم نقل أنّ ما نسبوه إليه غير صحيح، فما تعدّد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة بل المعقول أنّ من شأنه تلطيفها، على أنّني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب!، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السوّاح الذين يرون أمرا فرديا فيجعلونه عامّا من غير تثبّت فيه، ولولا هذا التعميم السطحيّ لما وجدوا شيئا يملئون به مؤلّفاتهم، والواقع أنّ الرذائل الفاضحة موجودة في كلّ أمّة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر ممّا يحدث في الشرق أجمعه، لأنّ النبيّ ﷺ بالغ في تحريمها ولم يعدّها من الذنوب الخفيفة». [الإسلام خواطر وسوانح] (ترجمة: أحمد فتحي) (ص:٥٦).

ويقول (جاك ديسلر): «إنّ تعدّد الزوجات بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة قد حقّق بهذا التشريع الإسلاميّ تماسك الأسرة، وفيه ما يُسوّغ عقوبة الزوج الزاني». [الحضارة العربيّة] (ترجمة: غنيم عبدون) (ص:٥٢).

حتّى المرأة الغربيّة أدلت بدلوها في الموضوع، تقول (فاكليري) الإيطاليّة: «أنّه لم يقم الدليل حتّى الآن بأيّ طريقة مطلقة على أنّ تعدّد الزوجات هو بالضرورة شرّ اجتماعيّ وعقبة في طريق التقدّم، إنّه في بعض مراحل التطوّر الاجتماعيّ عندما تنشأ أحوال خاصّة بعينها كأن يُقتل عدد من الذكور ضخم إلى حدّ استثنائيّ في الحرب مثلا يصبح تعدّد الزوجات ضرورة اجتماعيّة».

وتنقل الإنجليزيّة (إيفلين كوبولد) عن الأستاذ (بيكتول) الكاتب الإنجليزيّ المسلم قوله: «... على المرء أن ينظر إلى تعدّد الزوجات في الإسلام نظرة حقّ وعدل، خصوصا وأنّه يُقرّر للمرأة مركزًا تُحاول المدنيّة الغربيّة إغفاله، ذلك أنّ الزواج الواحد لم يكن في وقت من الأوقات أمرا واقعا في أوروبا، وبسببه نرى نساء كثيرات تُرمى في الأزقّة ويُرفض الاعتراف بهنّ بسبب هذه =

التحذير من الصور البشعة التي ينقلها أصحاب الغنى والشهوات إلى أعداء الإسلام والإيمان، فيثبت عند الغربيّين الذين يحاولون تشويه الإسلام بكلّ ما يستطيعون فكر ضالّ ومنحرف عن حقيقة الإسلام من جرّاء أولئك الذين أساءوا لهذا الدين بسلوكهم وتصرّفاتهم وأخلاقهم، ولو طالع أولئك المتشدّقون القرآن والسنّة ومناهج التشريع الإسلاميّ لوجدوا خلاف ما نُقل إليهم ولوجدوا أنّ الإسلام هو دين الحياة والمنظّم للزواج وللأسرة المؤمنة والموصل الحقّ إلى كلّ ذي حقّ»[1].

= العقيدة التي ليس هناك من يُحافظ عليها، فالإسلام والحالة هذه يضع حدّا لهذه الظاهرة البغيضة ويسمح للمرأة التي تتعلّق بشخص متزوّج أن تعيش عيشة شريفة محترمة». [البحث عن الله] (ترجمة: عمر أبو النصر) (ص:٤٢).

ويقول (شوبنهور) الفيلسوف الألماني: «ولقد أصاب الشرقيّون مرّة أخرى في تقريرهم بمبدأ تعدّد الزوجات لأنّه مبدأ تحتّمه وتبرّره الإنسانيّة، والعجب أنّ الأوروبيّين في الوقت الذي يستنكرون فيه هذا المبدأ يتّبعونه عمليّا، فما أحسب أنّ بينهم من ينفذ مبدأ الزوجة الواحدة على وجهه الصحيح».. [مقالات العلاّمة المحدّث الشيخ زاهد الكوثريّ] (ص:٢٢٢). [التفسير المنير] (٤/٢٤٣).

قارني أُختيّاه بين ما يقوله كُتّاب الغرب وكاتباته دفاعا عن تعدّد الزوجات وبين حَمَلَة اللافتات عندنا اللواتي اتخذن من الطعن في الدين هواية يمارسنها!، وعلى كلٍّ ننصحك أُختيّاه للاطّلاع أكثر على نظرة الغربيّين لتعدّد الزوجات، ننصحك بمطالعة المقال الشامخ للدكتور عماد الدين خليل تحت عنوان: (تعدّد الزوجات من منظور غربيّ) مجلّة [منار الإسلام] (العدد:٢) (السنة الحادية والعشرون صفر ١٤١٦هـ يوليو ١٩٩٥م) (ص:١٣-٢٢)، فقد أجاد وأتقن فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

(١) [معضلات ومشكلات تُواجه المرأة المسلمة المعاصرة] (ص:٩٦).

هذه النماذج السيئة هي التي أساءت لنظام تعدّد الزوجات حتّى كاد الناس لا ينظرون للتعدّد إلاّ من خلالها، وما ذُكر التعدّد إلاّ وذُكرت معه هذه النماذج السيئة وجرائمها في حقّ المرأة والمجتمع، واتخذ الناس قصّة فلانة وفلانة أكبر عبرة وذريعة[1].

---

(١) تعترف إحدى ضحايا إساءة استعمال حقّ التعدّد تحت عنوان:

رماني بعد ما اتخذني أداة لعقاب زوجته:

«غدا يوم زواجي، كلّ شيء بي يكاد ينتفض فرحة وبهجة، جهّزت فستان فرحي وحقيبة ملابسي، دعوت كلّ صديقاتي وقريباتي، كلّ شيء تمّ خلال أيّام معدودات، فقد كان مستعجلا وهو الذي قرّر أن يكون يوم عقد القران بعد أيّام ولم يكن هناك أيّ مبرّر للانتظار، فأهلي يقولون عنه أنّه رجل وقور ومحترم إنسان متديّن ذو لحية طويلة ودشداشة قصيرة والكلّ امتدحه لنا، وأنا لم يكن لديّ أيّ مبرّر للرفض فقد جاوزت الخامسة والثلاثين والنصيب لا يطرق بابي كلّ يوم.

ووافقت على الرغم من أنّه قد سبق له الزواج من أُخرى ولديه منها أربعة صغار، وحين سأله أهلي عن زوجته السابقة قال لهم أنّهما متّفقان على الطلاق وأنّ كلّ شيء سيتمّ خلال أيّام.

وتزوّجته في حفلة صغيرة ضمّت أهلي وأقرباءنا المقرّبين ولم تحضرها سوى والدته!، مهري كان بضعة دنانير وشبكتي وعدني بأنّه سيشتريها خلال أيّام، وانتقلتُ لأعيش معه في شقّة صغيرة داخل بيت أهله ذات مدخل منفصل.

كنت سعيدة به وبحياتي الجديدة وبفرحة الناس من حولي، حتّى تلقّيت أوّل صدمة!، فما أن مضى أسبوع على زواجنا حتّى قال لي بنبرات فيها شيء من الحزن والكثير من الخجل: «أنا آسف لأخبرك أنّي مضطرّ أن أراجع زوجتي»، نظرتُ إليه بدهشة بينما تابع هو كلامه: «لقد جاءت إلى البيت وقبّلت رأس، =

والحقّ أنّ الناس لم ينصفوا، ففي المجتمع نماذج كثيرة طيّبة ضربت فيها

= أمّي واعتذرت عن كلّ ما بدر منها، وأنا صدّقبني كلّ ما أُفكّر فيه هو مصلحة الصغار»، «وماذا بشأني أنا؟!» سألته بذهول، وببساطة شديدة قال: «ستكون لك ليلة ولها ليلة، أنت ستعيشين بهذه الشقّة وهي والصغار سيعيشون في بيتي كما كانوا»، وبنبرات تغصّ بالدموع قلت: «ولكنّني ما زلت عروسا وهي كانت لك كلّ تلك السنوات فكيف تتركني بعد أسبوع واحد من زواجنا؟!»، فردّد بحزن: «أرجوك أنا رجل متدين ولا أقبل إلاّ أن أسير على شرع الله والله أمر بالعدل» وصمت، لم أنطق بكلمة واحدة، وجهّزت حقيبته ليقضي ليلته معها بينما قضيت ليلتي كلّها باكية ... أبكي حظّي العاثر.

وصرتُ أُفكّر هل أحمل حقيبتي وأعود إلى بيت أهلي أم أبقى معه؟!، هل أُفجّر معه مشكلة كبرى أم أتناسى كلّ شيء وأُكيّف نفسي على هذا الوضع؟!، وفي النهاية قرّرتُ أن أعيش معه على أيّ حال من الأحوال، وإلاّ فما معنى أن أعود إلى بيت أهلي بعد أسبوع واحد من زواجنا؟، ثمّ كيف أُفرّط بزواجي بتلك السهولة بعد كلّ سنوات الانتظار؟.

وبقيتُ وحدي في الشقّة إلى أن عاد مساء اليوم التالي دون كلمة واحدة!، بدّل ثيابه ونام وأنا أكاد أنفجر غيظا. في اليوم التالي سألته: «لماذا لا نسافر؟»، «نسافر -تساءل بذهشة- كيف أُسافر بك وحدك؟!، إذا سافرت بك يجب أن أُسافر بزوجتي الأخرى ليتحقّق العدل وأنا ليس عندي إمكانيّة ماديّة لذلك»، وحين سألته عن الشبكة ردّد بغضب: «لقد وعدتك أنّني سأشتريها فلا تحدّثيني عنها مرّة أُخرى»، وتركني ومضى إليها ككلّ يوم!.

ضقت بحياتي معه وبالملل الذي يُحيط بكلّ شيء والوحدة التي تكاد تفتك بي، فهو دائما غائب عنّي ولا أراه إلاّ كلّ ليلتين، مرّة يأتيني فيها تعبا وضجرا ويُدير لي ظهره وينام، لم يكن يُطيق حتّى الحديث معي، حتّى أهله منذ تزوّجته لم أر أيّ واحد منهم سوى والدته التي حضرت زواجنا!.

المرأة أروع الأمثلة في الإيثار والاستقامة، وما على شباب الإسلام وبناته إن

= وفي يوم قال لي أنّه سينزل ليسلّم على شقيقاته اللآتي جئن ليتناولن طعام الغذاء مع أُمّه، وبلهفة قلت له: «سأذهب معك»، «لا -قالها بحدّة- ليس هناك داع»، وبإصرار قلت: «ولكنّي أُريد أن ألتقي بهنّ فمنذ تزوّجت لم أر أيّا منهنّ!»، أمام إصراري وافق على مضض ونزلتُ معه، حيّيتهنّ بابتسامة بينما أشحن جميعهنّ وجوههنّ عنّي!، نظرت إليه فأبعد نظراته عنّي، وغرقت في خجلي وحرجي وأمام جفاف مقابلتهنّ لي انسحبت واندهشت من موقفهنّ منّي!.

إلى أن عرفت كلّ شيء، فقد كُنّ متعاطفات مع زوجته الأولى ورافضات زواجه منّي وهنّ بأنفسهنّ اللاتي ذهبن إلى مُصالحتها لتعود إلى بيتها، حتّى زوجي الذي زعم بأنّها هي التي جاءت تعتذر ذهب بنفسه لمصالحتها، واحترت به وبأكاذيبه التي لا تنتهي!، وحين واجهته بكلّ ما سمعته قال لي ببرود: «زوج أخطأ بحقّ زوجته وذهب ليعتذر منها فما الخطأ بهذا؟!»، «ولماذا كذبت عليّ؟!» سألته باكية، وثار في وجهي: «أوه ... الحياة معك تقصر العمر!»، وخرج صافعا الباب وراءه بينما أنا أكاد أتمزّق غيظا وحزنا واحترت معه؛ والسؤال الذي لم أكن أعرف له جوابا هو لماذا تزوّجني إذا؟!.

بعد يومين جاءني مُتأخّرا فسألته عن سبب تأخّره فقال لي ببساطة شديدة: «كنت مع زوجتي في الشاليه وقد قضينا وقتا جميلا هناك لقد سهرنا معا ليلة البارحة»، وصار يُردّد تفاصيل كثيرة جارحة، حاولت أن أُنهي الموضوع ولكنّه كان يُصرّ في كلّ لحظة على جرحي؛ ولم يكتف بهذا بل صار يُحادثها بالهاتف أمامي يكشف لها عن شوقه لها وضيقه الشديد من وجودي، لحظتها لم أحتمل وبحرقة قلت له: «أرجوك كفى!»، نظر إليّ باستنكار: «ماذا هناك؟!»، فانفجرت فيه: «لقد تحمّلت بما فيه الكفاية، أرجعتَ زوجتك وتحمّلتُ تركتني وأنا عروس ولم أفتح فمي بكلمة واحدة وها أنت تُصرّ على إهانتي وجرحي فلماذا تزوّجتني إذا؟!»، وببساطة قال: «أتريدين أن أكون صريحا معك؟، لقد كنتُ =

أرادوا تكـذيب النماذج السيئة والقضاء على البغاء والعنوسة وإبراز محاسن تشريع نظام التعدّد إلاّ أن يعمدوا لإقامة أسر قائمة على التعدّد يظلّلها الحبّ ويسودها الهدوء ويحرسها العدل، هذه النماذج الناجحة هي الوحيدة التي تعمل على محاربة العنوسة بصدق وهي الوحيدة التي يحقّ لها الحديث عن فضل الإسلام على المرأة وعن حرصه على كفافها وعفافها، أمّا الصراخ والعويل فلا يحلّ مشكلة، والأكيد أنّ مثل هذه النماذج موجود ولكن الإعلام المضلّل غطّى كعادته على مساحة الاعتدال!.

اليوم حيث بنات المسلمين تقتلهنّ الوحدة وتعصرهنّ العنوسة فتقذفهنّ إمّا إلى رهبانيّة بغيضة أو انحلاليّة منحطّة، اليوم يظهر فضل الإسلام على البشريّة ومزايا التعدّد وواقعيّة تشريعه.

ندائي على الخصوص لبنات الإسلام اللواتي آمنّ أنّ الإسلام هو الحلّ وآمنّ أنّ مصالحهنّ في تشريع ربّهنّ فقدّمن حكم الله على أهوائهنّ وشريعته على عقولهنّ، عليكنّ أن ترفعن التحدّي لتشجيع التعدّد والله معكنّ والقرآن دليلكـنّ ورسـول الله ﷺ مرشـدكنّ وأمّهـات المؤمنـين نموذجكـنّ وآلاف

= غاضبا من زوجتي ورغبت في تأديبها فلم أجد طريقة أُخرى سوى أن أتزوّج عليها»، وغمرني ذهول شديد،لحظتها فقط فهمت كلّ شيء وعرفت أنّه لم يعد هناك مجال لاستمرار الحياة بيننا!.

اتّصلتُ بأهلي وبنبرات يُمزّقها النشيج طلبتُ منهم الحضور لأخذي، لملمتُ حاجياتي وحملت حقيبتي دون أن ينطق بكلمة واحدة!، فماذا أنا بالنسبة إليه مجرّد أداة ليُعاقب بها زوجته!» مجلّة [اليقظة] (العدد:١٤٦٣/١٤-٢٠ مارس ١٩٩٧) (ص:٥٨،٥٩).

الصالحين والصالحات حجّتكنّ ومآسي الحضارة المعاصرة عبرتكنّ، ولكن في الجاهلات عبرة رغم أنّهنّ على باطل، فلا دين ولا رسول ولا قرآن ولا سنّة ولا سلف لهنّ، اللّهمّ إلاّ بعض النظريّات اليهوديّة!.

لا يستحين فيجاهرن على الملأ وأمام القنوات الإعلاميّة (المرئيّة منها والمسموعة والمكتوبة) أنّهنّ يرفضن تعدّد الزوجات في الوقت الذي ينادين بحرّيّة العلاقات الجنسيّة والإجهاض والمعاشرة قبل الزواج، بل ويطالبن بتعدّد الأزواج من الرجال![1].

---

(١) كتب الصحفيّ سعد بوعقبة في جريدة [الشروق] (عدد:٥٠) تحت عنوان:
تحرير المرأة إخراج فرنسيّ ينفّذه الاندماجيّون الجُدد:
«في سنة ١٩٨٩ نشرت مجلّة شبابيّة في الجزائر نصّ تقرير أعدّته (المخابرات الفرنسيّة العاملة في الجزائر) والذي وُجّه إلى السلطات الفرنسيّة في باريس، جاء في إحدى فقرات هذا التقرير:
- أنّ فرنسا ستعمل على تفتيت الأسرة الجزائريّة التقليديّة المتميّزة بالتماسك الذي لا يسمح بالمشروع الحضاريّ الفرنسيّ بالتطوّر داخل المجتمع الجزائريّ.
- وأنّ المرأة هي العنصر المؤهّل أكثر من الرجل لمساعدتنا على إحداث هذا التفتيت وهذا بتقبلها لقيم التحرّر المبنيّة على (المديل) الفرنسيّ في الملبس و(الموضة) وطرق الحياة العصريّة في البيت.

وبالفعل قامت السفارة الفرنسيّة بالجزائر بعدّة أعمال منها: بعث العديد من الجمعيّات النسويّة ذات التوجّه الغربيّ ضمّت العديد من النساء الناقمات على المجتمع الجزائريّ التقليديّ الذي لم يسمح لهنّ بالحياة وفق ما يُردن. =

ولا يكتفين بهذا، فيقدن المسيرات الضخمة في أهمّ الشوارع وأكبرها

= ونظّمت هذه الجمعيّات مسيرة إلى المجلس الشعبيّ الوطنيّ بتحريض من الشيوعيّين و(الفرانكوبرجوازيّة) للتنديد بقانون الأسرة الذي يُبيح تعدّد الزوجات ويضع العصمة بيد الرجل في موضوع الطلاق، وقد تظاهرن في حشد تجاوز ٥٠٠٠ امرأة!؛ لكنّهنّ صَدمن المجتمع الجزائريّ برفعهنّ شعارات قاسية مثل: المطالبة بتعدّد الأزواج أسوة بتعدّد الزوجات، وكذلك حرّيّة الإجهاض والتبنّي ...!».

وفي (العدد:١٠٠) من نفس الجريدة كتب حسين لقرع تحت عنوان:

النساء اللائكيّات (لكلود شيسون) زوج واحد لا يكفينا:

«إنّ قانون الأسرة الجزائريّة مجحف لأنّه يُعطي حقّ تسلّط الرجال على النساء، ويسمح بتعدّد الزوجات ولا يسمح بتعدّد الأزواج».

هذه المقولة ليست لأحد المستشرقين ولم يقلها يهوديّ أو ماسونيّ أو صليبيّ أو شيوعيّ ملحد ولو كان الأمر كذلك لهان إذ أنّنا لم نتعوّد أن نسمع من هؤلاء إلاّ ما يقطر حقدا على الإسلام باعتبار أنّ لهم دياناتهم وإيديولوجيّاتهم التي يدافعون عنها رغم أنّهم مُتأكّدون من بطلانها وعدم ثباتها أمام الإسلام.

الطامّة الكبرى هي أنّ المقولة هذه لامرأة جزائريّة عضو في جمعيّة تدّعي أنّها أُنشئت قصد ترقية المرأة الجزائريّة ومساعدتها على نيل حقوقها!، وقد قالتها دون حياء أمام رئيس وفد البرلمان الأوروبيّ (كلود شيسون)، ولعلّها بذلك تُطالبه بالتدخّل والضغط على الجزائر لحملها على إلغاء قانون الأسرة الجزائريّ المستمدّ من الشريعة الإسلاميّة السمحة واستبداله بقانون أوروبيّ (عصريّ) يسمح للمرأة الجزائريّة أن تتزوّج أربعة رجال!.

وحينما تُصاب بعض نسائنا (بالسيدا الفكرويّ) ويفقدون مناعتهنّ الطبيعيّة النابعة من قيمنا تستحكم فيهنّ عقدة النقص تجاه كلّ ما هو غربيّ إلى درجة أنّهنّ يتنازلن عن إنسانيّتهنّ وكرامتهنّ ويُمتّعن أنفسهنّ إذا كان ذلك =

مزوّدات بمكبّرات الأصوات حاملات اللافتات المكتوبة بعدّة لغات عالميّة

= سيرضي سيّدهم (شيسون)، ولا يهمّ بعد ذلك أن يسخط ربّ (شيسون)!، ولا أعتقد أنّ (شيسون) سيرضى عنهنّ وإن أبدى ذلك بل سيحتقرهنّ لنزع ثوب الفضيلة والحياء عنهنّ، وسيراهنّ أحقر من جناح بعوضة لأنّهنّ يردن استبدال قانون نابع عن الشريعة بقانون وضعيّ مليء بالاجتهادات الخاطئة الضالّة والمضلّلة.

والأعجب من ذلك أن تتدخّل امرأة أخرى لتقول (لشيسون): «إنّ النساء في الجزائر مهمّشات جنسيّا لأنّ المجتمع لا يهتمّ بالصحّة الجنسيّة»، ولا أدري ماذا تعني هذه المسترجلة بالتهميش الجنسيّ؟!، اللهمّ إلاّ إذا كانت تُطالب بالإباحيّة الجنسيّة ليطأها كلّ من هبّ ودبّ لإطفاء لهيب شهواتها، وتُطالب بالمشاعيّة الجنسيّة التي كان (ماركس) قد تحدّث عنها أيضا لتصبح الأنثى حينذاك عاهرا أو بالأحرى (مرحاضا) يستقبل نطف الرجال فحسب، وحتّى لا تنتشر السيدا آنذاك كنتيجة حتميّة لسياسة (الدابّ راكب مولاه) هذه فقد طالبت هذه المرأة أيضا من (كلود شيسون) توفير العوازل الجنسيّة ضمانا للاتّصال الحرّ بين الرجال والنساء!.

ولا شكّ أنّ (شيسون) سيعود الآن إلى بلده ليطلب من دول المجموعة الأوروبيّة تكثيف صنع العوازل لتلبية رغبة تلك المسترجلة، وبقدر ما يشعر بالاحتقار والرثاء لهنّ بقدر ما يشعر أيضا أنّ سياسة أوروبا الصليبيّة لإخراج المسلمين من دينهم الذي شرّفهم الله به دون باقي الخلق قد بدأت تُعطي ثمارها، والأكيد أنّه لن يعرض عليهنّ المسيحيّة حتّى لا يحصلن على هذا الشرف الرفيع لأنّهنّ دون شخصيّة مهزوزات خائرات ولا يستحققن أكثر من إخراجهنّ من دينهنّ الطاهر وإنسانيّتهنّ ليعشن الجاهليّة الجديدة.

صحيح أنّ هؤلاء النسوة لا يمثّلن إلاّ أنفسهنّ فحسب ولكنّنا مع ذلك نُطالب الدولة بتطبيق هيبتها على هؤلاء أيضا، وأشعر الآن أنّ نشر غسيلنا =

سطّرن فيها كلّ عقدهنّ وشذوذهنّ، ولا تكتفي الواحدة منهنّ أن تعيش هي وفق نموذج الحياة الذي اختارته، والأكيد أنّ القوانين الوضعيّة لا تمنعها ولا تحاسبها بل الكثير من هذه القوانين تحميها وتوفّر لها الحصانة القانونيّة الكافية!، لكنّها تصرّ وتأبى إلاّ أن تدعو الأخريات إلى انحطاطها وحيوانيّتها باسم التطوّر والعصرنة حتّى لو اقتضى ذلك استعمال القوّة.

ما على المنحطّات لو عشن حياتهنّ وتركن المؤمنات العفيفات يعشن حياتهنّ أيضا وفق قناعاتهنّ وتصوّراتهنّ ونموذج الحياة الذي يرغبنه، أليس هذا هو قمّة الديمقراطيّة التي يريد الغرب أن لا نؤمن إلاّ بها؟.

والسبب واضح ... إنّه قَسَم رئيس هذه الجمعيّات وأميرها الذي أقسم منذ زمان وبرهن عبر العصور على إخلاصه لقسمه وتمسّكه به، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

= أمام الصليبيّين والطعن في أحكام ديننا يُعدّ جريمة كبرى في حقّنا وفي حقّ الدولة التي تخطّتها هؤلاء النسوة ليشتكين لأعدائنا (الحضاريّين) ويُطالبنهم ضمنيا بالتدخّل والضغط على الدولة لحمايتهنّ من تعسّف المجتمع الذي همّشهنّ جنسيّا ولم يرووا ظمأهنّ وفحيح شهواتهنّ!.

وأخشى الآن أن تقرن فرنسا مساعداتها للجزائر بتقبّل توجيه جزء من تلك المساعدات لشراء العوازل، لا سيّما وأنّ الاستخبارات الفرنسيّة كانت قد نشرت سنة ١٩٨٦ التقرير الذي تقول فيه: إنّ تفتيت المجتمع الجزائريّ من الداخل لا يكون إلاّ عن طريق عصرنة المرأة!.

وأخشى أيضا أن تحقّق فرنسا أهدافها لعصرنة المرأة الجزائريّة وتحويلها إلى معول يهدم المجتمع باسم الانفتاح ليعيش بعدها انبطاحا لا نهوض بعده!.

هكذا أخلص كلّ فريق لدعوته. فلتُخلص المسلمة لدعوتها ودينها وليخلص المسلم لدعوته ودينه، فعلى عاتق دعاة الفضيلة تقع مسئوليّة تحرير المرأة من سيطرة الأفكار الغربيّة وإنقاذها من مستنقع الرذيلة والزنى والإجهاض والمخادنة في الظلام إلى عالم الصدق والعفّة والاحترام والتعدّد في النور وتحت ضوء الشمس.

المسلمة أولى بتنظيم الملتقيات والندوات وقيادة المسيرات في أضخم المدن وأوسع شوارع العالم تقرأ على نساء العالم آيات التكريم والحب.

إنّ المرأة الغربيّة -التي يحتكرها أصحاب رءوس الأموال والتي لم تنل من الحقوق المزعومة إلاّ حقّ تقديم المتعة الرخيصة للأسياد أو المشاركة في تشهير بضاعتهم أو العمل في مصانعهم كيَدٍ رخيصة لا تُكلّفهم الكثير وسلّطوا عليها ما شاءوا من مواد كيميائيّة وشكّلوها كما أرادوا وهي لا تمانع لأنّهم أقنعوها أنّ الطريق لنيل حرّيّتها لا بدّ أن تمرّ حتما من خلال جسدها- في حاجة لتحرير!.

نعم المرأة الغربيّة هي في حاجة لتحرير، ومَنْ غيرك أُختَاه يفكّ القيود؟!.

أيّ فرق بين أوضاع المرأة الغربيّة اليوم وأوضاع المرأة في الجاهليّة؟!، إلاّ أنّ الجاهليّة وأدتها مرّة والحضارة الغربيّة تئدها في حياتها ألف مرّة!.

مسكينة والله هذه (المرأة) ما عرفت كرامة ولا إنسانيّة إلاّ تحت ظلّ الإسلام ورايته، كم ظُلمت عبر العصور والأزمنة ذنبها أنّها مخلوق ضعيف

وجميل!؛ فقد ارتبطت عند الهنود بالاحتقار، وارتبطت عند الصينيّين بالفقر، وارتبطت عند اليونان بالحزن، وارتبطت عند اليهود بالرذيلة والوسيلة[1]، وعدّها (حمورابي) مثل الماشية، وارتبطت عند النصارى بالشرّ والخطيئة[2].

وارتبطت عند عرب الجاهليّة بالعار[3]، وارتبطت الآن في الغرب بالمتعة والجنس.

هكذا نظرت جميع الأمم إلى المرأة على أنّها أُنثى، وانفرد الإسلام وحده فنظر إليها على أنّها إنسان!.

---

(١) يُردّد اليهوديّ في صلاته الصباحيّة: «حمدًا لله الذي لم يخلقني امرأة». راجعي كتاب [المرأة الصهيونيّة تاريخ أسود وكرامة مفقودة] (لديب عليّ حسن)، فقد سلّط الضوء على كثير ممّا غمض من حياة المرأة اليهوديّة.

(٢) المرأة في الفكر والثقافة النصرانيّة رأس الشرّ وأصل كلّ خطيئة وملعونة وباب الشيطان، بل زعموا أنّ جسمها من عمل الشيطان وأنّه يجب لعن النساء وأنّ الشيطان مولع بالظهور في كلّ شكل أنثى وأنّ روحها دنيئة ويجوز بيعها وإعارتها ويحرم تخديرها عند الولادة لأنّه يجب أن تلد بالآلام. راجعي [حقوق المرأة في الإسلام] (للدكتور محمد عبد السلام أبو النيل) (مطبوعات جامعة الكويت).

(٣) يُصوّر لنا القرآن الكريم حالة من بُشر بالأنثى فيقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل]، ويحدّثنا عن مصير البنت بعد ولادتها فيقول: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان]، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ

= يقول صاحب [الظلال]: «كان الوأد يتمّ في صورة قاسية إذ كانت البنت تُدفن حيّة!، وكانوا يتفنّنون في هذا بشتّى الطرق، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتّى تكون في السادسة من عمرها ثم يقول لأمّها: «طيّبيها وزيّنيها حتّى أذهب بها إلى أحمائها»، وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها: «انظري فيها»، ثمّ يدفعها دفعا ويهيل التراب عليها، وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة فإذا كان المولود بنتا رمت بها فيها وردمتها وإن كان ابنا قامت به معها، وبعضهم كان إذا نوى أن لا يئد الوليدة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي فيلبسها جبّة من صوف أو شعر ويرسلها في البادية ترعى له إبله.

فأمّا الذين لا يئدون البنات ولا يرسلونهنّ للرعي فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها الخسف والبخس، كانت إذا تزوّجت ومات زوجها جاء وليّه فألقى عليها ثوبه، ومعنى هذا أن يمنعها من الناس فلا يتزوّجها أحد، فإن أعجبته تزوّجها لا عبرة برغبتها هي ولا إرادتها وإن لم تعجبه حبسها حتّى تموت فيرثها أو أن تفتدي نفسها منه بمال في هذه الحالة أو تلك.

وكان بعضهم يُطلّق المرأة ويشترط أن لا تنكح إلاّ من أراد إلاّ أن تفتدي نفسها منه بما كان أعطاها، وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبيّ فيهم حتّى يكبر فيأخذها، وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها فيحبسها عن الزواج رجاء أن تموت امرأته فيتزوّجها أو يُزوّجها من ابنه الصغير طمعا في مالها أو جمالها». [في ظلال القرآن] (لسيّد قطب) (٢٨٣٩/٦، ٢٨٤٠).

وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب].



شبهات والردّ عليها:

أثار خصوم الإسلام شبهات على نظام تعدّد الزوجات الذي أباحه الإسلام، أقوى هذه الشبهات كخيط العنكبوت!.

ونحن نستعرضها ونجيب عليها واحدة واحدة حتّى يتبيّن لأنصار الإيمان أن ليس في الإسلام ما يُستحى به أو ما يخالف الحقّ والفطرة، والحقّ يُقال كانت نفسي تمتلئ روعة وإكبارا لهذا الدين وأنا أكتشف حقائقه.

ومّما زادني شرفا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريّا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيّرت لي أحمد نبيّا

فللّه الحمد والمنّة على نعمة الإسلام.

☒ **أولى هذه الشبهات أنّ التعدّد يؤدّي إلى الطلاق:**

☑ ونحن نقول: الطلاق واقع بكثرة في الزواج بالواحدة، ثمّ هل الطلاق نادر في المجتمعات الأوروبيّة التي منعت التعدّد؟،

الحقائق تُشير إلى عكس ذلك، فإذا كان المسلم لا يُطلّق زوجته ويُضيف إليها أُخرى فإنّ الأوروبيّ لا يجد منفذا أمامه إلاّ الطلاق، إذا فالعكس هو الصحيح، فما شُرع تعدّد الزوجات إلاّ لكي لا يلتجئ الرجال إلى الطلاق، إذًا منع تعدّد الزوجات هو الذي يؤدّي إلى الطلاق.

☒ الشبهة الثانية هي قضيّة الغيرة بين الضرّات:

☑ ونحن نقول: إنّ الغيرة في الإنسان أمر طبيعيّ جدّا، وهي ليست موجودة بين الضرائر فقط بل كثيرا ما شاهدناها بين الزوجة وحماتها وبين الزوجة وأخوات الزوج، ولا قائل بمنع الزواج على هذا الأساس، والله الذي يعلم أن الغيرة أمر طبيعيّ في نفوس الزوجات شرّع تعدّد الزوجات في قديم الزمن وحديثه، ولم تر الحكمة الإلهيّة أنّ وقوع الكيد بينهنّ وفيما بين أولادهنّ مانع من إقرار التعدّد، فدلّ ذلك على أنّ مقاصد التعدّد في نظر المشرّع الحكيم تسمو بكثير عمّا يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعيه[1].

☒ ثالثا أنّ التعدّد يُؤدّي إلى تشرّد الأطفال:

☑ ونحن نقول: إنّ غالبيّة أطفال البرازيل مشرّدين في الطرقات لا غطاء لهم إلاّ السماء، فهل تعدّد الزوجات هو السبب؟!.

---

(١) [ماذا عن المرأة؟] (ص:١٥٣).

السبب يكمن في إهمال الأب تربية النشء وإدمان الخمر وتعاطي المخدّرات والانصراف في إرواء اللذّات ولعب الميسر وارتياد المقاهي وإهمال شأن الأسرة وغيرها من الأسباب.

وكانت نسبة المتشرّدين بسبب تعدّد الزّوجات لا تزيد في مصر في الخمسينات عن ٣ بالمائة، ويرجع التشرّد في الحقيقة إلى الفقر في الدرجة الأولى[١].

☒ رابعا أنّ التعدّد يُنافي كرامة المرأة:

☑ قلنا: فهل كرامتها في أن تكون عشيقة فقط تدخل البيوت خُلْسَة لقضاء وطر فاسق مقابل الحصول على لقمة العيش أم كرامتها في أن تكون سيّدة بيت زوجة وأُمّا لها ولأولادها كلّ الحقوق؟!.

أرونا كرامة المرأة في المجتمعات التي منعت تعدّد الزوجات!، لقد بحثنا عن المرأة المكرّمة هناك فوجدناها إمّا مخمورة في (نادليلي) أو عارية في علبة حمراء أو (كوبايا) لاختبار العطور والبضائع أو أجيرة مصانع الأسياد أو تنتظر حتفها وقد رماها المجتمع في سجون الشيخوخة.

☒ خامسا أنّ التعدّد يؤدّي إلى كثرة النسل وكثرة النسل تُؤدّي إلى المجاعة:

☑ وهذه الشبهة قائمة على أساس النظريّة القائلة: أنّ الأرض غير

---

(١) [الفقه الإسلاميّ وأدلّته].

قادرة على توفير الغذاء الضروريّ والكافي لبني البشر.

ويُمثّل هذا الاتجاه عدد من علماء الغرب خاصّة العلماء الأمريكيّين الذين يعملون في المجالات الاجتماعيّة والسكّانيّة، وهم يقومون بحملة علميّة وإعلاميّة مكثّفة لإقناع الدول النامية بخطورة الموقف نتيجة النموّ المطّرد في عدد سكّانها وما ينجم عن هذا النموّ من مخاطر وعقبات في سبيل التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة في تلك الدول، ولذلك فهم يَدْعون تلك الدول إلى اتباع سياسة (تحديد النسل) كحلٍّ لأزمة السكّان![1]، وهذا الادّعاء إذا ما وضعناه في ميزان الحقّ والعدل والعلم يذوب كما يذوب الملح في الماء.

فلا عيب ولا محذور في زيادة الأبناء الشرعيّين، بل العيب في كثرة اللقطاء وأبناء الزنى الذين بلغوا من الكثرة في ديار الغرب إلى درجة أنّ موضوعهم يُناقش في جملة المشاكل العالميّة وفي كُبرى المحافل والمؤتمرات، مثله مثل أسلحة الدمار الشامل وثقب (الأوزون) والحدود الجغرافيّة للدول والأقلّيّات في العالم والتلوث.

ثمّ إنّ الذين يرون في زيادة النسل مشكلة هم السذّج الذين آمنو بالأغلوطة العدديّة القائلة: (أسرة صغيرة = حياة أفضل)، والعاقل يقول: إنّ الأسرة الكبيرة أقوى من الأسرة الصغيرة وحتّى في فترات الأزمات والمجاعات حيث تكون الأسرة

(١) [قضيّة تحديد النسل في الشريعة الإسلاميّة] (للباحثة أمّ كلثوم يحيى مصطفى الخطيب) (ص:٢٣).

الكبيرة أقدر على العمل والكسب والإنتاج والتكافل[١].

ولا علاقة للمجاعة بكثرة النسل وقلّته، فلا أحد يموت في الصين جوعا بينما عشرات الهلكى في الدول الإفريقيّة التي تُصدّر حكوماتها للعالم الغربيّ أشهى الفواكه وأحلى الخضر، والناس يموتون في الهند جوعا وأمامهم ثلاثمائة مليون بقرة تلعب وتمرح!.

المجاعة ليست وليدة الزيادة في النسل بل هي وليدة الكسل والنوم الكثير وعدم الاهتمام بالتنمية والإنتاج.

يقول (ديمونت) في كتابه [الفردوس أو الموت]: «إنّ أحد أسباب هذه المشكلة هو ارتفاع مستوى التغذية في مناطق وانخفاضها في مناطق أخرى، وعادة يكون هذا على حساب الدول الفقيرة إذ كثيرا ما تأخذ البلاد الغنيّة الإنتاج الزراعيّ من تلك الدول لتعطيه طعاما للماشية والخنازير والدواجن، وتحصل القطط والكلاب في أمريكا على طعام أفضل ممّا يحصل عليه المواطنون في كثير من الدول النامية، فيالها من سخريّة!».

ومن الغرابة بمكان أنّ بعض الدول النامية والتي تعاني من سوء التغذية تُصدّر جزءا من إنتاجها البروتينيّ الحيوانيّ الذي لو استعمل محلّيا يمكن أن يسهم في تحسين التغذية ومكافحة أمراض سوء التغذية الشائعة بها.

ويقف من وراء تصدير هذه المواد الغذائيّة عوامل اقتصاديّة، إمّا لحاجة تلك الدول لزيادة حجم صادراتها

---

(١) [الغارة على الأسرة المسلمة] (لعبد القادر أحمد عبد القادر) (ص:١١١).

أو عجز السكان المالي عن شراء هذه المنتجات، فمثلا فقد تطوّرت في كلٍّ من الهند وباكستان ومصر صناعة تجميد الجمبريّ لتصديره إلى الخارج من أجل العملات الصعبة، وتلجأ البيرو إلى تصدير الكثير من إنتاجها السمكيّ لأنّها لا تملك شبكة لتوزيع الأسماك داخل البلاد رغم حاجتها الماسّة لما تصدّره[1].

ثمّ لماذا هذه الحملة المحمومة الداعية لتحديد النسل والحدّ من الولادات؟!، هل حقّا أن الغرب يخشى علينا من المجاعة ويحبّنا لدرجة أنّه يجود علينا بملايين الدولارات من أجل توفير حبوب منع الحمل والعوازل واللوالب ...؟!، وهل حقّا أنّنا في حاجة لمصانع اللوالب وحبوب منع الحمل والعوازل؟!.

لماذا يُريد الغرب إفناء المسلمين بالذات إمّا عن طريق الاستعمار الواضح أو عن طريق برامج الإفناء التي تُسوّق إلينا في صورة برامج صحّيّة ومعاهدات ثقافيّة ونظريّات علميّة ...؟!.

والجواب واضح: لقد أُصيب العالم الغربيّ بفزع شديد من الاطّراد المستمرّ في زيادة أعداد المسلمين خصوصا والمواجهة على أشدّها بين المسلمين واليهود (حلفائهم الأعزّاء)، وزاد من خوف الغرب النصرانيّ ما يملكه العالم الإسلاميّ من المواد الخام وما تحتويه أرضه من الثروات ممّا يُساعد على تحويله إلى قوّة عالميّة في فترة وجيزة.

(١) [أبحاث في مشاكل البيئة] (للدكتور زين الدين عبد المقصود) (ص:٢٢-٢٦). راجع [قضيّة تحديد النسل في الشريعة الإسلاميّة] (للباحثة أمّ كلثوم يحيى مصطفى الخطيب) (ص:٢٧).

وقد عبّر المفكّر الألماني (باول شمتز) عن هذا الفزع فقال: «يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثّران تأثيرا كبيرا في سياسة التعاون بين الأقطار الإسلاميّة الأمر الذي يُؤدّي إلى أن يصبح غدا قوّة عالميّة: الزيادة المطّردة في عدد سُكّانه، وما توصّلت إليه الأبحاث من أنّ في باطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفي كما يقول الخبراء لقيام صناعة تُضارع مثيلاتها في أوروبا، بل سيكون لدى الشرق فائضا من المواد الخام يجعله من أوّل المناطق المصدّرة في العالم، وهذا أي الزيادة المطّردة في السكّان والمواد الخام هما مصدر القوّة النامية في العالم الإسلاميّ».

ثم يقول: «تُشير ظاهرة نموّ السكان في أقطار الشرق الإسلاميّ إلى احتمال وقوع هزّة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلّت الدراسات على أنّ لدى سكّان هذه المنطقة خصوبة بشريّة تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبيّة، وسوف تُمكّن الزيادة في الإنتاج البشريّ الشرق على نقل السلطة في مدّة لا تتجاوز بضعة عقود»[1].

ويشرح الدكتور سعد الدين السيّد صالح خُطّة الغرب للقضاء على نسل المسلمين فيقول: «كانت خطّة الغرب النصرانيّ في وقف المدّ البشريّ الإسلاميّ أن يقوم بالدعوة إلى تحديد النسل في العالم الإسلاميّ بأيّة صورة من الصور حتّى ولو كانت هي أن

---

(١) [الإسلام قوّة الغد العالميّة] (ص:٢٠١). راجعي [احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام].

يرصد مئات الملايين من الدولارات ويرسلها إلى الدول الإسلاميّة في صورة تبرّعات خاصّة بجهاز تنظيم الأسرة الذي أُنشئ بواسطة الدسائس النصرانيّة لخدمة مخطّطات أعداء الإسلام، وبدأت بالفعل دول أوروبا في إرسال هذه الأموال في صورة هبات ومنح بشرط ألاّ تُصرف إلاّ في الدعوة إلى تحديد النسل، وسلّطوا على المسلمين أجهزة إعلامهم التي تحدّثت كثيرا عمّا يُسمّى بالانفجار السكّاني، وادّعوا أنّ الأرض محدودة وأنّ وسائل المعيشة ومواردها محدودة لكن القوى البشريّة في زيادة مستمرّة ممّا يؤكّد حدوث مجاعات في المستقبل إن لم تقم الدول بتحديد النسل.

وقد انخدع بهذه الدعوات المضلّلة بعض حكّام المسلمين فدعوا إلى (تحديد النسل)، ولكنّ الحسّ الإسلاميّ رفض هذه الدعوة لأنّها تتعارض مع صميم العقيدة الإسلاميّة، فعدّلوا اسم الدعوة إلى (تنظيم الأسرة) أو (تنظيم النسل)، وكلّها أسماء لمسمّى واحد، وبدأت الحكومات الغربيّة تُعطي خبرتها في هذا الميدان لهذه الحكومات الإسلاميّة المخدوعة وتمدّها بالأجهزة والمال الذي يساعدها على تحقيق ذلك بحجّة (الخوف على مصالح المسلمين) وخداعهم والخوف من قوّتهم البشريّة النامية أو كما قال (شمتز): «الخوف من اختلال ميزان القوى وانتقال السلطة من الغرب إلى المسلمين».

وهذا ما يُشير إليه المفكّر الهنديّ محمد إقبال حين يقول: «هناك سيل عرمرم من الكتب والوسائل التي تحاول أن تجرف بلادنا إلى اتّباع خطّة منع الحمل، على حين أنّ أهل الغرب في

بلادهم أنفسهم يُتابعون الجهود الفنيّة لرفع نسبة المواليد وزيادة السكّان، ومن أهمّ أسباب هذه الحركة عندي أنّ عدد السكّان في أوروبا في تدهور شديد بينما عدد السكّان في الشرق في زيادة مطّردة، وهذا ما ترى فيه أوروبا خطرا مخيفا على كيانها السياسيّ»(١).

قلت: لا يخفى مُعارضة الدعوة لتحديد النسل للقرآن الكريم الذي يجعل الذرّيّة هبة من الله للإنسان، ولنتدبّر هذه الآيات في مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم:٣٩]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ [الأنبياء:٩٠]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران:٣٨].

ومن أدعية سيدنا زكرياء عليه السلام يسأل الله تعالى الذرّيّة قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم].

فالذرّيّة إذًا هي هبة الله للإنسان فمن لم يقبلها أو سخط

---

(١) [احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام] (ص:٢٤٧،٢٤٨).

أو أجهض فقد ردّ على الله هبته.

وأمّا أكذوبة أنّ الأرض لم تعد تكفي البشر وهي أكذوبة الفيلسوف (مالتس) التي تعلّمها من شيخه إبليس فهي أيضا مخالفة للقرآن الذي يصرح: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١]، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك]، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت:١٧].

فموضوع النسل والرزق في العقيدة الإسلاميّة محسوم لا يحتاج المسلم في تقريره للنظريّات الوافدة من الشرق والغرب.

أرأيت أُخيتاه كيف ينظر القرآن إلى الذرّيّة وكيف تنظر إليهم الحضارة الغربيّة بل وكيف لا تريدهم حينما تُعبّر عن بغضها لهم بتعقيم النساء والدعوة للإجهاض، كلّ ذلك بزعمهم خوفا من الفقر!.

كم كان القرآن واضحا ورائعا حينما كشف النقاب عن الذين يخوفوننا من الفقر فقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، انظري كيف قرن القرآن بين الفقر والفحشاء.

فحتّى لا يخرج أبناء الحلال للوجود نُعقّم النساء خوفا من الفقر وفي نفس الوقت نفتح باب الفحشاء على مصراعيه وفوق هذا نتداعى للتضامن مع أبناء الزنى والأمّهات العازبات؟!.

وكم كان القرآن واضحا وهو يُكذّب نظريّة (مالتس) حين يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦)﴾ [المرسلات].

وأمّا الداعون والداعيات لتحديد النسل الحلال والعطف على النسل الحرام يفضحهم القرآن الكريم فيقول فيهم العليّ القدير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ [البقرة].

هذه آيات الكتاب العزيز ساطعة واضحة، والمسلمة ليست على استعداد للتخلّي عن كتاب ربّها من أجل نظريّات (دي بوفوار) و(ومرجريت دوراس) و(أنايس ناين) و(دروِيس لوسينغ) أو (ويلهايم ريخ) أو (نوال السعداويّ) أو (آسيا جبّار) و(ليلى بعلبكي) و(عائشة لمسين) ....

☒ سادسا أنّ التعدّد غير ممكن لأنّ القرآن اشترط العدل ونصّ على أنّ العدل بين النساء غير ممكن، فالتعدّد إذًا لا يمكن تطبيقه[1].

---

(١) من جملة من يذهب هذا المذهب الباطل (زهدي يكن) في كتابه: [الزواج ومقارنته بقوانين العالم] (منشورات المكتبة العصريّة) (ص:١٧٤)، يقول: «في نظرنا لا يجوز للمرء أن يتزوّج أكثر من واحدة متى خاف الجور لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]، ومن يستطيع من الرجال أن يقول أنّ بإمكانه العدل بين زوجاته بالصورة التي يُريدها الله تعالى فيُحسن إليهنّ جميعا ويُساوي بينهنّ في القسمة والمحبّة؟!، وهل هذا يتوفّر لبشر؟!، ولهذا يجب عدّ الجمع بين أكثر من زوجة هو نوع من الضرورة ويجب أن تُقدّر هذه الضرورة بقدرها فلا يُزاد عليها ولا يُساء إليها» اهـ

نأخذ على هذا الكلام ما يلي:

- أوّلا: أنّه تحكّمٌ في الصورة التي يُريدها الله تعالى فأضاف إليها العدل في الحب، وهي صورة لم يطلبها الله تعالى وإنّما المطلوب العدل المادّيّ، أمّا مشاعر القلوب فلا يملكها الإنسان.
- ثانيا: أنّه بعد خطئه في المسألة الأولى بنى عليها المسألة الثانية وهي تساؤله: «هل هذا يتوفّر لبشر؟»، والجواب: نعم العدل كما أمر به الله تعالى متيسّر لمن علم من نفسه العدل وهو ما فعله رسول الله ﷺ وصحابته والصالحون إلى يومنا هذا، ولو لم يكن ممكنا لبشر ما أباحه الله تعالى!.
- ثالثا: الخطأ الثالث الذي بناه على الخطأ الثاني وهو عدّه الجمع بين أكثر من زوجة نوعا من الضرورة، والواقع الإسلاميّ والنصوص الإسلاميّة لا تُساعد هذا الاتّجاه، فأيّ ضرورة =

☑ والجواب من ناحيتين:

الأولى: أنّ العدل غير المستطاع الذي ذكرته الآية هو العدل في مشاعر الحب وهي عواطف لا يملكها الإنسان حتّى مع أولاده وبناته، وحتّى لا يتوهّم الناس أنّ العدل المطلوب في التعدّد هو العدل القلبيّ كانت الآية وكأنّه سبحانه يقول لهم: مهما حرصتم على أن تسوّوا بين المرأتين في كلّ شيء فلن تستطيعوا ذلك بحرصكم عليه، وإذا كان الأمر كذلك فلا تميلوا كلّ الميل إلى من تحبّونها بطبيعتكم فتعرضوا عن الأخرى إعراضا تامّا حتّى تكون كالمعلّقة لا هي متزوّجة تتمتّع بحقوق الزوجيّة وتُعامل معاملة الأزواج ولا هي مطلّقة تستطيع أن تبحث لها عن زوج آخر، وإن تصلحوا في معاملة النساء وتتّقوا ظلمهنّ وتفضيل بعضهنّ على بعض فيما يدخل تحت اختياركم من المعاملات كالقسم في المبيت والنفقة فإنّ الله يغفر لكم ما دون ذلك ممّا لا يدخل تحت الاختيار كالمحبّة ولوازمها الطبيعيّة من زيادة الإقبال والبشاشة.

وهذا الميل المنهيّ عنه هو الذي حذّر مُنه رسول الله ﷺ وبيّن عاقبته في الآخرة فيما رواه [أصحاب السنن] عن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال: [مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لإِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّ أَحَدَ شِقَّيْهِ سَاقِطًا أَوْ مَائِلاً][1].

في عرض عمر ﷺ بنته حفصة على عثمان وبعده أبي بكر وهو يعلم أنّ أبا بكر متزوّج؟، مع الملاحظ أنّ التعدّد مباح والمباح لا تدفع إليه الضرورة.

(١) [أحكام الأسرة في الإسلام] (ص:٢٣٨).

يقول العلاّمة أبو النور في ردّ هذه الشبهة ما يلي: «نستطيع أن نفرّق بين العدل المشترط في التعدّد وبين العدل الذي لا يُستطاع، فمن غير الجائز أن يكون العدل المشترط هو العدل الذي لا يُستطاع لأنّ الله عزّ وجلّ لا يُكلّف إلاّ بما يطاق، وقد جاء التكليف بالعدل بين الأزواج كما جاء الوعيد على تنكُّبه كما بيّنا، إنّ العدل المشترط إذًا هو العدل الممكن وهو ما كان في غير الأمور القلبيّة والعواطف الوجدانيّة، أمّا مالا يُستطاع فهو ما يتعلّق بهذه العواطف وتلك الميول، فلا يتأوّل أحد قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على غير ما ينبغي أن يُتأوّل به ليتذرّع بفاسد التأويل إلى أنّ الإسلام لا يُبيح التعدّد ما دام يشترط فيه العدل وما دام العدل غير مُستطاع، ولو تمّ لهؤلاء المبطلين ما يتأوّلون لكان معنى هذا أنّ الله سبحانه أباح الزواج بواحدة أواثنين أو ثلاث ثمّ ألغى هذه الإباحة قبل أن تُمارس!، وكأنّه قال: تزوّجوا إلى أربع بشرط العدل ولن تستطيعوا أن تعدلوا فاقتصروا على واحدة، ألا يكون هذا عبثا؟، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء]»[1].

والناحية الثانية: هي ما فهمه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وأئمة الإسلام العظام بل وما فهمه عامّة المسلمين إلى يومنا هذا من إباحتهم للتعدّد وممارستهم له، ومن المستحيل أن يكون هؤلاء على خطأ في الفهم والتطبيق حتّى يأتي (من المسلمين) من لا

---

(١) [منهج السنّة في الزواج].

يعرف من الإسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه ليُخطّئ كلّ من ذكرنا!، نعوذ بالله من الجهل والغرور.

فالعدل بين الزوجات إذًا ممكن وليس شرطا تعجيزيّا كما أراده البعض؛ وأيّ مسلم يرغب في تعدّد الزوجات عليه أن يحضر له أسبابه من نفقة وسكن كما فعل أوّل مرّة عند التحضير للزواج الأوّل.

* * *

وهكذا يتبيّن لك أُختيّاه أنّ شروط الزواج الثاني هي نفس الشروط التي اشترطها الإسلام للزواج الأوّل، فمن علم من نفسه ظلم الزوجة لو تزوّج يحرم عليه الزواج، ومن علم من نفسه العدل جاز له الزواج ولو بأربع.

هكذا يضع الإسلام المرأة تحت رعاية عادلة ومأمونة.

وعلى الزوجة الأولى أو الثانية ... مساعدة الزوج على إقامة العدل في بيته، وذلك من خلال التزام كلّ واحدة بحقوقها وغضّ بصرها عمّا يصدر من هفوات الزوج، وأن لا تعمل الزوجة الأولى أو الثانية خاصّة على الانفراد بالزوج والاستيلاء عليه و(تأميمه) وجعله ملكيّة خاصّة، فالرجل العامّ ملك عامّ كما يقولون.

ولتعلم المرأة أنّها إن عملت على أن يطلّق الرجل زوجته سواء كانت الأولى أو الثانية قد ارتكبت كبيرة من الكبائر، قال عليه الصلاة والسلام:

[لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا][(1)].

فعليك أُختاه أيضا تقع مسئوليّة إشاعة العدل في البيت، فالمرأة التي اتخذت من حفر المكائد هواية ومن الغيبة فاكهة ومن الأنانيّة قريبة لا يمكن للزوج أن يعدل معها ولو وحدها فضلا عن العدل مع غيرها!، أمّا المرأة الهيّنة الليّنة التي جعلت من ذكر الله مؤنسا وطاعة الزوج قربة والإحسان للآخرين غريزة هذه المرأة أكبر معين للزوج الصالح على إقامة العدل.

التعدّد وكلام الناس:

أصل المشكلة (كلام الناس)، فالبنت تخشى العنوسة لخوفها من كلام الناس، والعانس ترفض أن تكون الثانية خوفا من كلام الناس ...!.

هكذا تحوّل كلام الناس إلى قاعدة واجبة الاحترام والطاعة، حتّى أنّي أكاد أجزم أنّ العنوسة في حدّ ذاتها ليست شيئا مؤلما بل المؤلم في الأمر ما يقوله الناس!.

• أوّل ما يخطر ببال الزوجة إذا رغب زوجها في التعدّد سؤال واحد لا ثاني له: «ماذا سيقول عنّي الناس؟!»، بل المُعدِّد نفسه لا يقدم على التعدّد

(١) أخرجه أحمد في [المسند] (١٤/١١٧،١٥/٢٣٦) (المعارف) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح، والبخاريّ في (كتاب النكاح) (باب الشروط التي لا تحلّ في النكاح) (٩/١١٠)، والترمذيّ في (كتاب الطلاق) (باب ما جاء لا تسأل المرأة طلاق أختها) (٣/٤٩٥) وقال حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. [منهج السنّة في الزواج] (ص:٢٥٠).

إلاّ إذا تسلّح وتشجّع وهيّأ نفسه لمواجهة ألسنة الناس وكأنه بصدد الإعداد لمعركة حاسمة تُسترجع فيها الأندلس!.

وأوّل ما يخطر ببال المقصودة للزواج الثاني سؤال واحد: «ماذا سيقول عنّي الناس؟!، ربّما يقولون أنّني خطفته وأنّي خطّافة رجال وسيقولون ...!».

هكذا يقف الخوف من كلام الناس حاجزا بين الناس وبين ما يعتقدون أنّه الحقّ، وتحوّل هذا الخوف إلى مرشد وعامل جديد في توجيه سلوكهم.

والحقّ أنّ الناس معذورون في نظرتهم الحذرة للتعدّد، فهم غالبا ما ينطلقون من واقع تملؤه النماذج السيّئة التي بلغت من الكثرة درجة إفساد الذوق العامّ وخلخلة الصورة الواضحة الناصعة للتعدّد.

وهذا الجمهور العريض الذي يخشى تعدّد الزوجات إذا ما وُجّه بالآيات القرآنيّة الكريمة وبما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وكثير من صالحي هذه الأمّة في أمر التعدّد نجده يُسلّم ويرضى ويُصرّح أنّ المشكلة ليست في تعدّد الزوجات كما أباحه الإسلام وإنّما المشكلة فيما فعله فلان وفلان.

وهذا سرّ دعوتنا الملحّة لإقامة نماذج صالحة لتعدّد الزوجات حتّى يتحوّل هذا الواقع إلى واقع آخر يطمئنّ فيه الناس على مصائر بناتهم بعد التعدّد وتطمئنّ النساء على حياتهنّ بعد التعدّد وترضين بما قسم الله لهنّ، ولا بدّ لهذه النماذج الحسنة التي ستقوم على يد شباب وشابّات هان عندهم

كلّ شيء في سبيل حياة مبدأ من مبادئ الدين أن تتّسع وتنتشر حتّى تقوى على تغيير التصوّرات التي فرضتها النماذج السيّئة، فلا يتناول الناس المعدِّد والمعدِّدة والمعدّد بها بالسلب والثلب لما يرونه من سعادة تُحيط بهم وراحة بال تغمرهم ووفاء يربطهم.

وعلى الراغب في التعدّد إن أنس من نفسه القدرة على العدل أن يصبر على هذا المجتمع وأن يعمل جهده لنجاح نموذجه، وعلى المرأة المعدِّدة والمعدّد بها أن تتحلّى بالصبر وسعة الصدر لما ستسمعه من كلام جارح يُذيبُ الصخر، وليكن همّ كلّ واحد من أفراد هذه العائلة نجاح هذا العشّ، فنجاح مثل هذه الأعشاش هو الحجّة التي يُقدّمها الإسلام لكلّ من تسمح له نفسه إدانة نظام التعدّد كما شرعه الله جلّ جلاله، ورحم الله من قال[1]:

«ليس التعدّد إلاّ رخصة فإذا	أسرفت فيها ركبت الحمق والخطرا
من ينتقص حقّ أولاه لثانية	لم يلق من ربّه عفوا إذا اعتذرا
وفي التعدّد إن أدركت حكمته	برّ ورحمي وجبر للذي كسرا
مَن للمطلّقة الحسناء يعصمها	وللعوانس تفنى عمرها ضجرا
وللأرامل والأحزان تعصرها	والحزن يفتك بالأعواد إن عصرا
ومَن لأمر اليتامى هل تقوتهم	بالخدّ معتصرا والقدّ مهتصرا
وما الغطاء لمن زلّت وساورها	من الفضيحة طيف يرسل النذرا
وما السبيل إلى ذرّيّة نجب	إن كنت زوج عقيم حظّها عثرا

(١) من قصيدة (للشاعر محمد مصطفى حام) [شعراء الدعوة الإسلاميّة في العصر الحديث] (تأليف: أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جزار) (١٢١/٤،١٢٢).

هو التعدّد يهدي الغارقين إلى ... برّ الأمان ويبني بيتنا أسرا
هو التعدّد كم آوى اليتيم وأشبـ ... ـاه اليتيم وكم واسى وكم سترا
هو الحلال الذي ينقي الحرام وكم ... حمى من الفحش أنثى أو حمى ذكرا
عدّد إن استطعت لكن عادلا لبقا ... لا تعطين الهوى سمعا ولا بصرا
واحكم رعاياك بالحب الصحيح تجد ... مغناك لا غيرة يشكو ولا غيرا
واسأل ضميرك في أمر التعدّد لا ... تلجأ لقاضي ولا تستأذن البشرا
إذا جرؤت على قاضي السماء فلن ... تكون يوما بقاضي الأرض مزدجرا»

تعدّد الزوجات في الأفلام العربيّة:

شاركت وسائل الإعلام بطريقتها الخاصّة والمميّزة في مُحاربة تعدّد الزوجات، واستغلّ القائمون عليها الإمكانات الضخمة التي يُتيحها لهم الإعلام، وهم في حربهم لتعدّد الزوجات مُقلّدون لا مُبتكرون ومُتّبِعون لا مستقلّون مُتأثّرون بما يصدر عن الغرب مأخوذون بكلّ ما يصدر عنه حتّى لو خالف صريح القرآن وصحيح السنّة!.

وكان لوسائل الإعلام الثقيلة (سنما وتلفزيون) دورها البارز في تشويه معنى التعدّد واستُغلّت أفحش استغلال لما لها من تأثير عميق على عقل المشاهد ونفسيّته.

فغالبا ما يكون المشهَد عبارة عن رجل طيّب مُخلص لعمله وداره وزوجة مُتسلّطة سليطة اللسان تُريد التحكّم والتدخّل في كلّ شيء لا تترك لزوجها الطيّب مجالا للتعبير عن ذاته وإظهار ميزاته كرجل قيّم على أُسرة،

هذه الغِلظة من الزوجة تُحوّل البيت إلى جحيم لا يُطيق الرجل الطيّب معه صبرا فيجد نفسه مدفوعا للبحث عن صديقة أو زميلة في العمل تمنحه الحب والحنان تُشعره برجولته ونخوته، يرتاح لها الرجل الطيّب فيقع في حُبّها فتعمل جاهدة وبكلّ الوسائل على تعويضه الحنان الذي افتقده في بيته، تتحوّل حياته إلى جنّة فوق الأرض، يتأبّط ذراع هذه العشيقة إمّا مُتجوّلا في حديقة أو جالسا في مطعم فخم أو متبادلا لألفاظ الغرام والهيام على ضفاف النيل ....

إلى هنا الأمور كما يُصوّرها المشهد جدّ عادية، وعاطفة المشاهدين رجالا ونساء تسير وفق ما أراد لها كاتب المشهد والساهرون على إنجازه، فهي مع الرجل الطيّب المسكين ... الكلّ يقف إلى جانبه مُتعلّلا له بشتّى العلل مانحا له كلّ المبرّرات، وربّما يتّسع المشهد إلى أكثر من مُجرّد عشاء في فندق ضخم ....!.

ولا يهمّ ما دام الرجل الطيّب ضحيّة زوجة قاسية مُتسلّطة، والعشيقة تُصوَّر على أنّها المرأة التي استطاعت إحياء قِلب الرجل الطيّب بعد ما سكنته الكآبة والحزن، فيمنحها المشاهدون كلّ آيات الإعجاب والاحترام على التضحيّة التي قدّمتها من أجل هذا الرجل الطيّب.

وعلى الزوجة المتسلّطة تقع مسئوليّة كلّ ما حدث وعليها أيضا أن تتحمّل شتائم المشاهدين واستنكاراتهم رجالا ونساء.

والأمر عادٍ كذلك إلى الآن (ما دامت العلاقة علاقة حرام!).

ويُفكّر الرجل الطيّب في وضعه ويستيقظ ضميره فيُحاول إصلاح الموقف والخروج من النفق المظلم فيحرص على إدخال علاقته بعشيقته (دائرة الضوء والحلال) فيُصارحها برغبته في الزواج منها على كتاب الله وسُنّة رسوله!.

وهنا بالضبط تقوم القيامة ... ويتحوّل المشهد رأسا على عقب!، في رمشة عين يتحوّل الرجل الطيّب إلى مُخادع يطعن زوجته وأمّ أولاده في الظهر، وتتحوّل الزوجة القاسية إلى ضحيّة رجل أناني، وتتحوّل العشيقة التي صوّرتها الحلقات السابقة رمزا للعطف والحنان والعصرنة والتحضّر إلى انتهازيّة لا يهمّها إلاّ اللعب بعقول الرجال وابتزاز أموالهم وتحطيم أسر هادئة.

هكذا الرجل الطيّب لا تنفعه طيبته طيلة كلّ تلك الحلقات ولم تشفع له بعد أن تجرّأ (ورَغِبَ في الحلال)، فتتحوّل الصورة في ذهنيّة المشاهد والمشاهدة إلى النقيض.

ولكن رغم الحرب الفكريّة والقانونيّة والتحريضيّة والتشويهيّة والإعلاميّة على تعدّد الزوجات إلاّ أنّ التعدّد انتصر على كلّ هذا ببساطة لأنّه لصيق بفطرة الإنسان وحاجاته وميوله لأنّه تشريع ربّ العالمين، وسيكشف الناس بفطرتهم زيغ هذه المسلسلات وجنايتها على الحقّ، وسيتصدّى إعلاميّون صادقون لهذه الدعوة بمسلسلات نظيفة تُبرِز الجوانب الناصعة للتعدّد وإنّهم لموجودون وقادمون ....

ولا أريد أن أختم هذا الفصل دون التأكيد على حقيقة كبرى وهي أنّ المرأة ما لم تُشجّع زوجها على التعدّد المباح ستساهم حتما في إشاعة العنوسة وستنموا الظاهرة حتّى تترجّح كفّة النساء العوانس على كفّة المتزوّجات، وفي هذه الحالة ستعمل النساء على إغراء الرجال بكلّ أنواع الإغراء حتّى لو كان الرجل متزوّجا، وستظهر فكرة (حقّي في زوج الأخرى) فالمرأة لا تصبر عن الرجل مهما كانت، وسيلتجئ الرجال للمخادنة والزنى على أساس وجود اللحم الحرام وبأسعار خياليّة وفي كلّ مكان!.

وفي هذه الحالة ستفكّر الزوجات بجدّ في حفظ أزواجهنّ من الضياع والحرام والفرار مع عشيقاتهم، وستقترح الزوجة على زوجها الزواج من ثانية تحت ضوء الشمس عوض حياة الخداع والنفاق والقلق التي يعيشها كلّ واحد منهما.

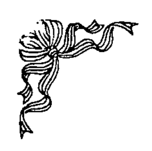
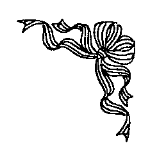
وما أقوله واقع في أمريكا وأوروبا ولكن للأسف الشديد القانون هناك يمنع التعدّد ممّا يجرّ الزوجات على معرفة عشيقات أزواجهنّ ومصادقتهنّ والإحسان إليهنّ حتّى لا تفقد زوجها إلى الأبد!.

فالتعدّد قادم وستُطبّقه البشريّة إمّا على أساس الإسلام والحلال وإمّا على أساس الغرب والحرام!.

إذا قالت حذام فصدّقوها ... فإنّ القول ما قالت حذام

فعدّدوا الحليلات باختياركم قبل أن تقتحم الخليلات بيوتكم!.



الفصل السابع

عنوسة الجامعيات

لماذا ؟




عنوسة الجامعيات لماذا ؟

يبـدو لغير المدقّقين أنّ حظّ الفتـاة الجامعيّة في الـزواج يفـوق بكثير أُختها الماكثة بالبيت، وأنّ هـذه الأخيرة أكثر عرضة للتعنيس من الجامعيّة التي تـدرّجت في التعليـم حتّى بلغـت الـذروة وارتـادت المدارس والكلّيّات والجامعات وتردّدت على المدرّجات، فتعرّفت على مئات الطالبات وعرفها مئات الطلبة والأساتذة المحاضرون والإداريّون، كما أنّها أقامت في الأحياء الجامعيّة فكانت فرصتها للتعرّف على عشرات الجامعيّات ومن مختلف جهات القطر وتنقّلت بين الإقامة والجامعة فرأت الدنيا ورأتها!.

ولكنّ الحقيقة عكس هذا تماما!، فالعنوسة تُعشّش في جامعاتنا بل هي إقامتها المفضّلة.

الجامعيّات اليوم هنّ أكثر شرائح الناس عُرضة لـلتعنيس حتّى تكـاد العنوسة تتجسّد في صورة امرأة مثقّفة!.

فما السرّ وراء ذلك؟!، ما السرّ الذي يجعل الشباب بما فيه المثقّف يعزف عن الزواج بالجامعيّة؟!، وما الذي جعل الآباء والأمّهات يخشون الجامعة؟!.

في القديم كانت البنت إذا تعنّست قيل لها: «لو أنّك تعلّمت وتثقّفت ودخلت الجامعة لتزوّجت!»، واليوم يُقال للبنت: «لو لم تدخلي الجامعة لتزوّجت!».

وكثيرا ما يُقال للبنت التي اختارت البيت على الشارع: «لو أنّك تحرّرت وخرجت وخلعت حجابك وتبرّعت بمفاتنك لو كان بحوزتك شهادة عُليا لتهافتَ الخُطّاب على بابك وسكبوا الدموع على أعتابك»، وكم أغرى مثل هذا الكلام ضعيفات الإيمان.

وبالتفاتة بسيطة إلى آلاف الجامعيّات والمحاميات والطبيبات والمعلّمات والموظّفات يتبيّن لنا تهافت هذا الادّعاء وتصدّع تلك الأفكار، فالعنوسة أبت إلاّ أن تختارهنّ وتقيم عندهنّ وليست بتاركتهنّ حتّى تزول أسبابها التي سنذكرها.

أسباب عنوسة الجامعيّات:

أوّلا: السمعة السيّئة التي أصبحت تُحيط بالجامعة والجامعيّات:

فالأصل أنّ الجامعة حرم لطلب العلم وطلب العلم في الإسلام عبادة والعبادة لا تصحّ إلاّ بشروطها كالطهارة وإخلاص النيّة.

أمّا جامعاتنا فقد حوّلها الاختلاط الفاحش إلى أماكن للدعارة والمجون ومساحات خضراء تتبعثر فوقها الأجساد وقاعات لترويج المخدّرات وبيوت لبيع الأزياء الغربيّة وما خفي أعظم!.

وهل المساحيق والأصباغ لها علاقة بالعلم؟!، هل كشف النحور والصدور والفخذين لها علاقة بالجامعة؟!، هل الفتاة التي ترتدي آخر صيحات دور الأزياء وآخر صرعات العطور وآخر إغماءات تسريحات الشعور هل بفعلها هذا تنوي حقًا وصدقا طلب العلم الذي قدّسه الله؟!.

ما علاقة التدخين بالبحث العلمي؟!، لماذا انتشرت بين الجامعيّات حبوب منع الحمل واللوالب والعوازل والكتب الإباحيّة والأشرطة (الرايويّة)؟!، كيف وجدت المخدّرات سبيلها إلى الأحياء الجامعيّة وقاعات الدراسة؟![1].

(١) تحت عنوان:
أخطبوط المخدرات يُداهم الجنس اللطيف:
كتبت الصحفيّة (رشيدة إبراهيميّ) بجريدة [الشروق العربيّ] (عدد:٣٨) تروي مغامرتها داخل أحد الأحياء الجامعيّة فتقول:
«قرأت إعلانا في أحد الأجنحة بالحي الجامعيّ للبنات (ابن عكنون) لبيع ملابس مستوردة، وذهبتُ إلى الغرفة المقصودة في تمام الحادية عشر ليلا، وجدت ثلاث فتيات وكأنّهنّ يستعدن لتصوير فيلم في (CANAL+) القناة الفرنسيّة الأكثر عرضا لأفلام ...!، وجدتهنّ عاريات إلاّ جزأين فقط من أجسادهنّ، أحسست برعشة تسري في جسدي كلّه وكاد دخان السجائر أن يخنقني واستطعت أن أميّز رائحة (الزطلة) المعروفة برائحتها المميّزة، =

هكذا تحولت الجامعة إلى شبه بيت من بيوت الدعارة تستقطب إليها

دخلت جلست وأنا أعلم علم اليقين أنّ من حاول معرفة أسرارهنّ أو من يدنو من خبايا أنفسهنّ فهو مفقود!، ولكنّها مهنة المتاعب وحلاوتها.

قدّمت لي إحداهنّ سراويل (الجين) التي طلبتُها ورحت أقيس سروالا، طلبتُ منهنّ سيجارة حسب ظروف (التكتيك) الذي وضعتُه للوصول إلى المبتغى، رُحت أتحدّث معهنّ في أمور مختلفة خاصّة في الموضة وآخر العطور إلى أن وصلنا في الحديث إلى (البرابول) فالحرّيّة فالمرأة فالمساواة مع الرجل، ودون وعي منّي رُحت أتحدّث معهنّ في التدخين الذي أجمعنا على أنّه أمر عاديّ في حين أراه يُنقص من أُنوثة المرأة عندما تُمسكه بين أناملها الرقيقة، ووصلنا إلى المخدّرات وهنا تزايدَتْ نبضات قلبي وبدأت أبلع الكلمات بلعا حتّى لا يُكتشف أمري.

قالت (أمينة): «إنّه عالم جميل ... إنّه الحرّيّة بمعناها الصحيح!»، أضافت (زازي): «إنّه عالم كلّه أحلام جميلة ورديّة!»، وأردفت (سوسو) قائلة: «تنسينا المخدّرات ... إنّنا نعيش dans ce maudit pays»، عقّبتُ على كلاهنّ قائلة: «لم أتذوّقها طول حياتي وكم تمنّيت معرفة سرّها!»، بعد إلحاحي عليهنّ وتوسّلاتي لهنّ أمرت (أمينة) الزعيمة (زازي) لتعطيني مجموعة من الأقراص وسيجارة معبّأة (بالزطلة) (الشيرة) فخبّأتُ كلّ ذلك في جيب معطفي، واشترطن عليّ أن لا أُفشي سرّهنّ حتّى لا تحدث مشاكل لأنّهنّ (لا يخفن أحدا!) ولكن لأمنهنّ فقط، أمّا عن كيفية الحصول عليها فقلن بأنّهنّ يحصلن عليها رفقة الملابس المستوردة من المغرب تُبعث إليهنّ بواسطة صديق مغربيّ يدرس معهنّ في كلّيّة الحقوق والعلوم الإداريّة!.

إنّهنّ يُتاجرن فيها ويتناولنها دون عين الرقيب من الأولياء والمسئولين لأجل الحفاظ على أمنهنّ وسلامتهنّ وضمان مستقبلهنّ. تركتهنّ في الواحدة ليلا على أمل العودة إليهنّ في الغد، ارتحن لي واطمأنّت قلوبهنّ، خرجت من =

كلّ رذيلة.

ولا تحملنّك أُختي الجامعيّة الحميّة الكاذبة والغيرة المصطنعة إلى الاعتقاد أنّنا نُبالغ في الأمر أو نُهوّل القضيّة، فالأمر أخطر بكثير ممّا ذكرنا وما خفي من فساد الجامعة أعظم والواقع أكبر برهان والاعتراف سيّد الأدلّة.

وهاهي الأخت (أمال) تتحسّر وتذكر صدمتها وهي تطّلع على كواليس الجامعة، فتقول تحت عنوان:

= عندهنّ وأنا لا أُصدّق أنّني سالمة معافاة، خرجت من عندهنّ وأسناني تصطك وكأنّ حُمّى أصابتني، بدأتُ أتلمّس تلك الأقراص واحدة فيها كطفل عثر على قطعة حلوى حرمته أمّه منها عقابا له على شقاوته خضراء ورديّة صفراء ألوانها مختلفة وكذلك أشكالها.

اللعنة على هذه الحضارة الساقطة التي أودت بمبادئ الإنسان وقيمه إلى الحضيض الأسفل، اللعنة على هذا التقدّم الزائف الذي يذبح البشريّة في أبشع الصور، هؤلاء الفتيات يقلن أنّها الحرّيّة التي وجدنها في الجامعة وفي الحيّ الجامعي، إنّهنّ دمى بشريّة تحرّرن من إنسانيّتهنّ واحترامهنّ لأنفسهنّ واحترام الغير لهنّ.

متى تخرج مثيلات (أمينة) و(زازي) و(سوسو) إلى شمس الحقيقة ويعتبرن بالواقع ويرضخن له؟!، متى يكنّ مسئولات عن تحرّرهنّ الذي يقودهنّ إلى السقوط في براثين الرذيلة وغياهب الزمن الغدّار وسراديب المستقبل المبهم والأفق المظلم؟!.

الإجابة على هذه الأسئلة عندكنّ يا بنات بلادي يا بنات الجزائر قبل أن تصبحن دمى مشوّهة!».

حرم جامعيّ أم حرام جامعيّ؟!:

«لكلّ بداية نهاية ولو كنت أعلم أنّها نهايتي ما كنت بدأت، إخواني القرّاء سأروي لكم عبر هذه الكلمات الحزينة قصّة نهايتي المؤلمة!.

أنا فتاة أبلغ من العمر ٢٢ سنة، أفنيت معظم أوقات صباي وشبابي في الدراسة، تعلّمت منذ صغري النزاهة والإخلاص تُجاه كلّ عمل أقوم به والاحترام والخلق الحسن كأهمّ ركيزة، ودرست أنّ التربيّة الصحيحة والمبادئ القويّة هي أساس كلّ نجاح، من هذا المنطلق كنت ناجحة في دراستي وتحصّلت أخيرا على شهادة البكالوريا عام ١٩٩٥ وذلك كلّه بفضل إرادتي وانضباطي.

ودخلت الجامعة بعزم وإرادة لأطلب العلم بنزاهة، وأقسمت أن أكون صادقة مع نفسي وأن لا أغشّ مهما كان الثمن وأن أُحافظ على تربيتي الصحيحة ومبادئي وشخصيتي وأن أطلب العلم لا للحصول على شهادة مُزيّفة فارغة بل على شهادة حقيقيّة تدلّ على أنّ عقلي مملوء بكلّ المعلومات التي تلقّيتها خلال دراستي.

لكن للأسف ... ليس كلّ ما يتمنّاه المرء يُدركه، فالواقع شيء والعلم شيء آخر صعب تحقيقه، لقد صدمتني الجامعة في أوّل يوم قضيته بالجامعة التي حسبتها يوما ما شعاع العلم منبع الحضارة ومنبر الثقافة، منذ ذلك اليوم عرفت (الحقيقة المرّة)، وأصبح الحلّ الوحيد لمواصلة المشوار هو أن أترك ما تعلّمته فأصبح صعبا عليّ أن أتأقلم مع الوضع الجديد.

ومع مرور الأيّام بدأت حالتي تسوء يوما بعد يوم وكان لزاما عليّ أن أُقرّر، وأخيرا قرّرت أن أترك الجامعة وهذا بعد مرور أربع سنوات مليئة بالجدّ والاجتهاد ولكن دون جدوى النتيجة كانت الرسوب!.

إخواني لقد كلّفني هذا القرار وضع حدّ لمستقبلي وضع نهاية لمشوار بدأته منذ ١٦ سنة كاملة؛ أعلم أنّني أخطأت وأنّني سأتقدّم يوما ما ولكن ماذا أفعل؟!، أرفض أن يكون الغشّ هو السبيل الوحيد لنجاحي، أرفض أن يدرّسني شخص يُريدني بابتسامتي وقامتي وشعري وليس بذكائي ومثابرتي واحترامي، أرفض أن أُضيّع وقتي في اللهو والكلام الفارغ، أرفض أن أرى الحرم الجامعيّ يتحوّل إلى (حرام جامعيّ)، أرفض أن أُشاهد منظر جامعيّين وجامعيّات يتصرّفون بطريقة لا أخلاقيّة، أرفض أن أكون فارغة العقل وفي الأخير أتحصّل على نتائج جيّدة، أرفض أن أُلقّب بالجامعيّة التي يُشار إليها (الخارجة عن التقاليد والدين والأخلاق) ... أرفض!، صدّقوني لم أستطع تحمّل معاناة الجامعة.

ونصيحتي لكَ أيّها الجامعيّ لا تتخلّى عن مبادئك وعن شخصيّتك، وإن أضعتهما فإنّك قد أضعت نفسك»(١).

هذه الحقيقة المرّة (تحوُّل الجامعة إلى دار للبغاء) هي التي كانت وراء عزوف الشباب عن الزواج من الجامعيّات.

وليس الأمر مقتصرا على الماجنات الفاسقات بل حتّى المتديّنات

---

(١) جريدة [الشروق " ربي] (عدد:١٩٠).

الشريفات العفيفات امتدّت إليهنّ شبهة الجامعيّة، رغم أنّ التي دخلت الجامعة واستعصمت بدينها قد برهنت على صدق تديّنها وإيمانها العميق إلاّ أنّ وجودها داخل الجامعة صار يخيف كثيرا من الشباب.

تقول (حميدة) وهي أُستاذة عزباء عمرها ٣٢ سنة: «كثير من الجامعيّات المتخرّجات لا يزلن يُعانين العنوسة ونفور المجتمع منهنّ، والسبب يعود في اعتقادي إلى الجامعيّات اللواتي يخطين خطوات طائشة ممّا لا يستبعد فقدان الكثيرات لشرفهنّ!، فلم تبق للحيّ الجامعيّ حرمته ولم يجد مكانا لإيواء الجامعيّات حتّى يُتممن مشوارهنّ العلميّ ولم تعد الجامعة مطيّة للعلم»؛ وأضافت قائلة: «اسألي الذين يسكنون قرب الأحياء الجامعيّة ليُخبروك عمّا يحدث من العجب!»[١].

وتعترف إحدى الجامعيّات وقد تجاوزت الثلاثين من عمرها لتقول: «كنت في الجامعة من الميّالات إلى تكوين صداقات مع الكثير من الشباب، وربّما قد تماديت في ذلك إلى حدّ جعلني بعد تخرّجي لقمة تحصدها كلّ الألسن وعرضة للأقاويل خاصّة الأقارب الذين شوّهوا سمعتي ولم يرحمن أحد ممّا أثّر في تصرّفات أهلي سلبا، فقد تركوني حبيسة البيت لا عمل ولا خروج.

صدّقني إن قلت لكَ أنّني ندمت كثيرا لأنّني لم أحتط لمثل هذه النهاية، ليتني لم أدخل الجامعة يوما!»[٢].

---

(١) عن مقال للصحفيّة (حياة بن بتقة) تحت عنوان: (عنوسة الجامعيّات). جريدة [الشروق العربيّ] (عدد:١٣٥).

(٢) من المقال السابق.

بينما تقول (نوريّة) ٣٢ سنة: «عنوسة الجامعيّات مردّها الوحيد إلى التصرّفات الاستهتاريّة التي تصدر عن بعض الريفيّات الجامعيّات عند قدومهنّ إلى العاصمة، حيث تتغيّر عقلياتهنّ وتصرّفاتهنّ وحتّى طريقة اللباس والحديث، منهنّ من يُغيّرن أسماءهنّ مثل صليحة إلى (سيليا) وغيرها، وتمرّ الأيّام كلّها زهو ولهو يُدخّنّ وينتقلن من سيّارة إلى أُخرى مرّة في (الغولف) ومرّة في (المرسيدس) يلهوا بهنّ الشباب، وحتّى عندما ينهين الدراسة يجدن صعوبة في العودة إلى أهاليهنّ وترك العاصمة بمغرياتها المادّيّة، وبها مسّ الحرّيّة الذي تمنحه للفتيات ثمّ الطموح في بناء أُسرة مع أحد العاصميّين وذلك هو الشيء المستبعد.

هذه التصرّفات السلبيّة تجعل الناس لا يُفرّقون بين هذه وتلك ما دمن كلّهنّ دخلن الجامعة!، ورغم أنّ من الجامعيّات من هنّ مثالا للشرف والعفّة والحشمة إلاّ أنّهنّ لم يسلمن من نفور المجتمع!»[1].

وفي تحليلها لظاهرة الأُمّهات العازبات (الزانيات) تقول السيّدة العرباويّ (طبيبة نفسانيّة): «الأُمّهات العازبات في المجتمع الجزائريّ مرفوضات من طرف كلّ شرائحه، وهناك مجموعتان: مجموعة الأُمّيّات ومجموعة المتعلّمات، فالأمّيّات في غالب الأحيان يقعن في أخطاء نتيجة جهلهنّ بالأمور ولا يجدن أمامهنّ إلاّ الشارع يحتضنهنّ لأنّ الجميع رفضهنّ، أمّا المتعلّمات فهنّ مسئولات وواعيات وبالتالي قسوة المجتمع عليهنّ تكون أكثر من قسوته على الجاهلات.

---

(١) عن مقال الصحفيّة (حياة بن بتقة) السابق.

وإذا تطرّقنا إلى الفئة ذات مستويات التعليم العالية كالجامعيّات مثلا خاصّة القادمات من مناطق بعيدة وبحصولهنّ على غرف في الأحياء الجامعيّة يتخلّصن من الرقيب عليهنّ، ويقدمن على ارتكاب مثل هذه الأخطاء بدافع الثورة على القيود المفروضة عليهنّ من طرف الأولياء حتّى سنّ معيّنة وهي سنّ الحصول على شهادة البكالوريا؛ من هنا تظهر لهنّ الدنيا بوجه آخر عالم كلّه انطلاق نحو الحرّيّة اللاّ محدودة فلا أحد يعرفها ولا أحد يُحاسبها، فتُخرِج كلّ الكبت الذي كانت تُعانيه طوال فترة مراقبة الأهل لها خاصّة وأنّ الأحياء الجامعيّة شيء آخر دخول وخروج دون شرط أو قيد ما دامت تملك بطاقة الإقامة ومفتاح غرفة، وحتّى بعض اللواتي يقطنّ في بيوت أهاليهنّ فإنّهنّ يلجأن إلى الأحياء الجامعيّة عند صديقاتهنّ بدعوى الدراسة معا؛ وما دامت الفتاة المتعلّمة قد اختارت سلوك هذا الطريق فإنّها لا تُبالي بتقاليد المجتمع»[١].

ليس معنى هذا أنّه لا شريفة ولا عفيفة في الجامعة لا أبدا!، ولكن انتشار أخبار الفاسقات غطّى على تألّق العفيفات، وارتفاع قهقهات الماجنات ستر تسابيح المبتهلات، والواقفات في طوابير الخنا حجبن الواقفات في محاريب التقوى، والجالسات أمام حقن المخدّرات منعن الناس من رؤية الجالسات أمام أواني الوضوء، وحاملات الحبوب أجهضن زواج حاملات الحبّ!.

(١) عن مقال للصحفيّة الغيورة (رشيدة براهيمي) تحت عنوان: (الأمّهات العازبات). جريدة [الشروق العربي] (عدد:٣٢).

ثانيا: الشهادة تُوجب التعنيس:

من أسباب تعنيس الجامعيّة طبيعة البرامج الدراسيّة نفسها التي لم يُراع واضعوها مخاطرها على البنت.

فغالب البرامج الدراسيّة الجامعيّة تمتاز بالطول المفرط وكثرة المواد المدروسة وتنوّعها، إلى جانب طول مرحلة الجذع المشترك حتّى يُخيّل إليك أنّ البنت منذ دخولها المدرسة وهي في جذع مشترك!.

ويكفي أن نمثّل لهذا بتخصّص الطب، فلكي تتحصّل البنت في الجامعات الجزائريّة على شهادة طبّيّة خاصّة في الأمراض النسويّة (genicologue) لا بدّ لها بعد دخولها الجامعة في حدود ١٩ سنة من دراسة سبع سنوات جذع مشترك ثمّ أربع سنوات تخصّص (أي ١١ سنة)، معنى هذا أنّها وفي حالة عدم إعادة السنة طول حياتها يكون عمرها ٣٠ سنة!، وأين هذا الرجل الذي يترك بنت ٢٠ سنة ليخطب بنت ٣٠ سنة؟!.

ثالثا: عقليّة التفوّق لدى بعض الجامعيّات:

لا مانع من أن تكون الجامعيّة متفوّقة بل الأصل أن تكون متفوّقة، وإن لم تكن هي متفوّقة فلمن وُجد التفوّق؟.

والتفوّق عادة ما يجعل الخطّاب يتهافتون على طلب يد البنت على أساس أنّها متعلّمة وعاقلة تعرف ما لها وما عليها.

لكن للأسف الشديد حوّلت بعض الجامعيّات تفوّقهنّ (إن كنّ حقّا

مُتفوّقات) إلى نِقمة جلبت لهنّ الوبال والمتاعب بسبب ما ترسّخ في ذهنهنّ أنّ الشهادة الجامعيّة تعني التفوّق والتعالي والتكبّر على الناس بل والنظر إلى الآخرين والأُخريات من الشرفات!.

وهذا راجع أيضا إلى عيب من عيوب جامعاتنا، وهي أنّ الجامعة عندنا تُعلّم ولا تُربّي، تحشو رُءُوس الشباب والشابّات بمئات المعارف التقنيّة الجافّة وبطريقة روتينيّة آليّة كما تحشو أمّهاتنا الدجاج!، وفرق كبير بين حشو رءوس الطالبات وحشو بطون الدجاج، فالأولى جعلت الشباب ينفر منهنّ والثانية تجذبنا رائحتها الزكيّة جذبا، وشتّان بين حشو الطرد وحشو الجذب!؛ هذه الطريقة في التعليم التي اهتمّت بالجانب المعرفيّ العقليّ المادّيّ دون الالتفات إلى الجانب التربويّ التهذيبيّ الروحيّ هي جزء من مأساة الجامعة عندنا.

ولا غرابة أن يُفرز لنا هذا المنهج التعليميّ الأقطع طبيبا فاسقا ومعلّما زانيا ومسئولا سارقا ومحاميا مزوّرا ...!.

ولا تعجبي أُختاه إن وَجدتِ أغلب زبونات الدرويشات والمشعوذات والساحرات من المثقّفات والأستاذات الجامعيّات والمهندسات والصحافيّات والمحاميات والفنّانات ...!.

كلّ هذه الشهادات لم تمنعهنّ من الذهاب إلى (الشوّافة)، والسرّ في **ذلك أنّ التعليم الذي تلقّينه في الجامعة كان خاليا من الروح، فهو عبارة عن أقراص جامدة ملأن بها عقولهنّ، أمّا التربية التي تُعلّمهنّ كيف يكنّ سيّدات مجتمع محترمات ومثقّفات متواضعات فلا أثر لها في برامج تعليمهنّ!.**

ومن هنا دخل الخلل في تفكير الجامعيات حتّى اعتقدن أنّ مجرّد الوصول إلى الجامعة يُعدّ في حدّ ذاته ميزة ومكانة اجتماعيّة، والحقيقة أنّ هذه نظرة قاصرة فالشهادة الجامعيّة خاصّة في وقتنا هذا لم تعد تعني أكثر من (قطعة كارتون)، والميزة الحقيقيّة هي في الصفات الخلقيّة والنفسيّة التي تتحلّى بها المرأة (جامعيّة كانت أم غير جامعيّة)، فالمرأة الصادقة الحديث خير من الجامعيّة الكاذبة، والجامعيّة التي رسبت بسبب عدم رضوخها لغرائز وحش في صورة أستاذ جامعيّ خير عند الله والناس من التي جعلت ثدييها مطيّة للعبور!، المرأة النظيفة خير ألف مرّة من الجامعيّة المتّسخة.

أُختي ... الجامعة لا تعطيكِ شهادة على الصدق والنزاهة والعفاف والوطنيّة والإيثار والمروءة والصبر وحبّ الآخرين وإحسان الظنّ بالناس وطهارة القلب ورِقّة المشاعر ....، وأنتِ بهذه الصفات خير منك بدونها ولو نلتِ جميع شهادات الدنيا (فالكارتون) لا يجعل منك شيئا!.

لقد تعنّست مئات الجامعيّات بسبب عقليّة التفوّق، وكلّما قصدهنّ خاطب إلاّ ونظرن إليه من فوق ودقّقن فيه النظر واشترطن عليه ما يحلو لهنّ من شهادات ودبلومات وكأنّ الرجل بصدد طلب وظيفة في وزارة العدل!.

ولا أصل لما يُشاع من أنّ المثقّف للمثقّفة والمعلّم للمعلّمة والطبيب للطبيبة والمهندس للمهندسة والوزير للوزيرة ....، فلو أنّ الله رتّب الأمور على هذه الطريقة لما تعزّب إلاّ الأئمّة غفر الله لهم!.

ولكنّ الله رتّب أمور الزواج على قاعدة أُخرى لو فقِهها الناس لزالت كثيرٌ من مشاكلهم هي قاعدة: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ

لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦].

والطِّيبة قد تُوجد عند المثقف وغيره وتُوجد أيضا عند الجامعيّة وغيرها، والبيوت التي تُبنى على أساس الطيبة لا تهدّها الأعاصير.

رابعا: عُقدة السيطرة عند الرجل:

الرجل غالبا ما يبحث عن شريكة حياته التي تتطابق تماما وتصوّره للمرأة، وغالبا ما تتجسّد صورة المرأة المرغوب فيها للزواج في صورة المرأة الفاتنة الذلولة المطيعة الضعيفة التي تفتقر لحماية الرجل ولرجولته، فتُغذّي فيه نوازع السيطرة والنفوذ.

والنفوس التي لم يُهذّبها الإسلام لا تعرف من معان الرجولة إلاّ الأشناب الطويلة والغلظة والقوّة والقسوة، وهذه النفوس التي ضيّقت معنى الرجولة لحصرتها في جوانبها المادّيّة تبحث عن شريكة حياة تكون دائما الأكثر ضعفا والأكثر جمالا، والمثقّفة عموما لا تُلبّي لهم هذه النوازع والغرائر، فهي تعني عندهم الطموح التفتّح على العالم الحقوق النقاش تبادل الآراء ووجهات النظر لا تنفيذ إلاّ بعد الاقتناع، وربّما تعني المثقّفة على طريقة جامعيّاتنا أيضا الاستهتار بالقيم الاستخفاف بالرجل.

وهذا ما يخشاه الرجل، فهو غالبا لا يريد بيتا يسوده النقاش حول الصلاحيات والواجبات والنفوذ والعلاقات بل يُريد بيتا يكون فيه سيّدا ولن يكون سيّدا إلاّ أمام الذلولة المطيعة.

ورغم أنّ غالب الرجال لو سألتهم عن شريكة حياتهم لقالوا هي الجميلة المثقّفة، لكنّهم في العموم يقصدون بالمثقّفة الفاهمة الذكيّة و ليس الدكتورة أو حاملة الشهادات العليا.

والرجل الذي يُريد بناء عشّه على أساس السيطرة لا على أساس المودّة والرحمة يعرض عن الجامعيّة لأنّها في تصوّره هي أيضا تبحث عن السيطرة، هذا إن كانت جامعيّة فقط، أمّا إن أضافت لشبهة الجامعيّة انفلاتا من الأخلاق وتحرّرا من القيم فالمصيبة أعظم!.

هذه العقليّة التسلّطيّة التي لم تترب في محاضن الإسلام وإنّما تربّت وتغذّت من فتات ولِبان التقاليد البالية تنظر إلى المرأة على أساس أنّها كائن دنيء أقلّ قيمة من الرجل، وتُعشّش في رءوس هذا النوع من الرجال فكرة أنّ الأصل في المرأة أنّها خائنة ومُخادعة وفاسقة وإن لم يحرصها الرجل بسوطه ويُحطها بحراسته فستخونه حتما!، فتجد الرجل دائما مزبدا مهدّدا متأهّبا للحرب إمّا هو يشتم أو يضرب أو يخطّط للضرب، ويُشاع داخل هذه العقول التسلّطيّة أيضا أنّ المرأة تحب أكثر الرجل الذي يضربها ولا تلتفت لمن لا يشبعها ضربا فهي في حاجة للضرب كحاجتها للأكل والجنس!.

والرجل المسيطر ضحيّة تربيّة تسلّطيّة أيضا، فهو أيضا تربّى بنفس الطريقة، الشتم الركل الصفع الضرب الإهانة، وأفهموه منذ صغره أنّه خُلق ليحكم وأنّ عليه تطويع أخواته وليّ رقابهنّ ... فهو السيّد المطاع؛ هذه التربيّة هي التي أفرزت لنا هذا الكم-الهائل من (الدكتاتوريّين) في العالم العربيّ حتّى أنّنا نُعاني فائضا منهم!، ولو أمكن تصديرهم لاستفادت منهم البلاد ولكن

العالم اليوم لا تستهويه (الدكتاتوريات).

وها هي تصريحات عانس تقول فيها: «إنّ العنوسة ظاهرة طبيعيّة تُهدّد كلّ واحدة منّا وخاصّة نحن الفتيات الجامعيّات، فنظرة الرجل إلينا تختلف إذ معظم الرجال يفضّلون أن لا يتزوّجوا بالجامعيّات وذلك لكوننا متحرّرات ونملك القدرة على مواجهتهم، وهم يفضّلون الفتيات اللاتي أنهين دراستهنّ في الثانويّ أو المتوسّط، وهذا تصرّف أنانيّ من الرجل والذي بطبعه يريد التحكّم في زمام الأمور فهو الحاكم في المنزل، ولذلك يرفض أو يكره أن تعاكس المرأة أقواله وأعماله ويفضّل أن يتزوّج بفتاة غير متعلّمة وصغيرة السنّ، ولا يجب على الفتاة في هذه الحالة أن تملي شروطا خياليّة كي لا تجد نفسها وحيدة وفي طريق العنوسة، فأنا مثلا قد تقدّم لخطبتي العديد من الرجال المحترمين والذين لو اخترت واحدا منهم لعشت معه حياة هنيئة، لكنّي كنت أرفضهم مختلقة أسبابا عديدة حتّى وصلت سنّ ٢٩ من عمري وأصبحت أحسّ بضيق شديد وصراع داخليّ رهيب، إذ أنّ شعورا غريبا بدأ يختلجني شعورا بأنّ قطار الزواج قد فاتني وأنّي سأعيش عانسا مدى حياتي!، والواقع أنّني لم أكن أفكّر في الزواج لكن والديّ وإخوتي الذكور بدءوا (يعايرونني) بالعانس بحيث ذكروا أنّني لو كنت جميلة لتزوّجت منذ مدّة، أمّا والدتي سامحها الله فكانت (تعايرني) ببنات الجيران الأصغر منّي سنّا واللّواتي تزوّجن قبلي، كما أنّها عوض أن تواسيني وتبيّن لي أنّ الزواج قدر تردّ اللوم عليّ ....

وهأنا اليوم مهمّشة وكأنّي غريبة عن العائلة، وذلك ما جعلني أفكّر في (الانتحار) لعدّة مرات كما فكّرت جدّيا في الانزلاق والخروج عن الطريق المستقيم كي أتخلّص من العذاب الذي أُعانيه بسبب عائلتي غير المتفهمة

لحالي، لكن بحكم تربيتي لا أملك الشجاعة الكافية.

وأنا الآن أنتظر قدري والمكتوب، بالرغم من أنّي واثقة من كوني سأنتظر كثيرا إلاّ أنّني لن أفقد الأمل وأنا عالمة كلّ العلم بأنّ نفور الشباب من الزواج حاليا سببه الأزمة الماليّة التي يعانون منها إلى جانب أزمة السكن وأزمات أخرى مختلفة، ولذلك لن أشترط على من سيأتي لخطبتي أيّ شيء بل سأكتفي بما سيقدّمه لي إلاّ أنّ الأهمّ من ذلك أن يسود التفاهم بيننا»[1].

وتقول الشابّة (هدى) (٢٩ سنة ماجستير في علم النفس غير متزوّجة): «هناك من يُفكّر ويقول أنّ الفتيات اللائي قطعن شوطا أكبر في التعليم والثقافة هنّ الأكثر تعرُّضا للعنوسة، فارتفاع نسبة غير المتزوّجات في نظرهم من الحاصلات على درجات علميّة يرجع إلى أنّ الرجال يُفضّلونَ في الغالب الفتاة الأقلّ تعليما ويعتقدون أنّ الفتاة الحاصلة على الماجستير أو الدكتوراه أو التي تتمتّع بثقافة أكبر منه تصبح أقلّ أنوثة ومشاكلها كثيرة، بالإضافة إلى أنّ الفتاة الحاصلة على الماجستير أو الدكتوراه تنتظر فرصة زواج تتناسب مع مركزها ومكانتها العلميّة، وهذه الفرصة قد تأتي أو لا تأتي، ثمّ أنّها لا تصلح أن تكون زوجة وأُمًّا في المستقبل لأنّ كلّ اهتماماتها منصبّة على البحث العلميّ والعمل.

مثل هذا الكلام لا نستطيع أن نعمّمه على الفتيات المثقّفات، ولو فعلنا ذلك فسنكون قد ظلمنا بعض البريئات اللائي يحلمن ببناء عشّ زوجيّ أساسه المحبّة والتفاهم والإخلاص بعيدا عن كلّ دواعي الأنانيّة والتكبّر

---

(١) جريدة [الراي] (عدد:٩٦).

والتفاخر، وكمثال حيّ هذه المرأة التي أمامك -تقصد نفسها- ذهبت ضحيّة شكوك وعدم تفهّم الناس لها، لقد ظنّوا أنني أتكبّر بعلمي ولن أرض أبدا برجل مستواه الثقافيّ أقلّ من مستواي، فقط لأنّني رفضت الارتباط برجلين تقدّما لخطبتي، الأوّل أستاذ في المتوسّط والثاني موظّف إداريّ، لكن حقيقة رفضي لهما لم يكن بسبب مهنتهما بل لأنّني لم أرتح لهما ولم تكن أفكارنا ونظرتنا للحياة منسجمة أو متقاربة على الأقلّ»[١].

خامسا: الجامعيّة لا تصلح ربّة بيت:

يتزوّج الرجل عادة لأسباب كثيرة من أهمّها أن يجد زوجة تتقن خدمته وتسهر على راحته وتتفانى في توفير أسباب البهجة عنده، تغسل ملابسه تُنظّف بيته تُزيّن مائدته، ويتباهى الرجل بمثل هذه المرأة ويعدّها من نعم الله عليه؛ ولا شكّ أنّ الزوجة تكون أكثر منه سعادة وبهجة وغبطة، فالمرأة يسعدها خدمة زوجها ولا نستطيع تصوّر سرورها وهي ترى زوجها أنيقا من لباس خاطته أناملها أو يُلقي بثنائه عليها نتيجة طبق شهيّ صنعته يديها، والمرأة تفعل هذا ليس تكلّفا ولا تصنّعا وإنّما تفعل هذا بفطرتها وغريزتها التي تقول لها راحتك في راحة زوجك وسعادتك في سعادته.

فالمرأة التي تتقن شؤون البيت هي الأقدر على تسييره والمحافظة عليه، وفوق هذا عندها دائما ما تُعطي وبحقيبتها دائما الجديد، فمرّة هي الطبّاخة الماهرة ومرّة هي الخيّاطة المتقنة ومرّة هي المربّية ومرّة هي الاقتصاديّة، وفي كثير من الأحيان هي (وزيرة الداخليّة)!؛ وبعض النساء في بيوتهنّ هنّ أيضا

(١) جريدة [الشروق العربيّ] (العدد:١٧٦).

كهربائيّات وميكانيكيّات ودهّانات ونسّاجات، من هنا نشأ المثل الجزائريّ الشائع حيث يُقال عن البنت إذا أرادوا تزكيتها للزواج: «فلانة كلّ أصبع بصنعة» أي أنّها تتقن كلّ شيء.

ولعلّك أُخيّتاه تتساءلين: ما علاقة هذا الكلام مع عنوسة الجامعيات؟!، فنقول: هو من صميم الموضوع، فنظرة الرجل للجامعيّة غالبا هي المرأة التي تُكثر المطالعة والبحث العلميّ والدراسة، والرجل لا يتزوّج ليُوفّر أستاذة في بيته بل يتزوّج ليجد زوجة تخدمه.

والحقّ يُقال أنّ الجامعيّات نتيجة قصور البرامج الجامعيّة وتدليل الأمّهات لا يُحسنّ كثيرا من شؤون البيت!، ومن أين يتعلّمن العجن وهنّ يأكلن خبز المخابز؟، وأين يتعلّمن الطهي وهنّ يتغذّين على المعلّبات؟، وكيف يتعلّمن الغسيل وهنّ يرسلن ملابسهنّ للمنظّفين؟!.

هذا ما ينفر قِطاعا كبيرا من الرجال عن خطبة الجامعيّة، وسواء شئنا أم أبينا فهذه هي الصورة التي انطبعت عن الجامعيّة في أذهان الناس، صورة لا تُفارق الجهل بشؤون المنزل وخدمة الزوج وطريقة طهي الطعام ....!.

وها هو أحدهم يروي قصّة زواجه من جامعيّة فيقول: «كنت وحيد أبوي لم يرزقا غيري، عشت معهما مدلّلا، كانت طلباتي أوامر واجبة التنفيذ حتّى لو أطلت النظر إلى شيء أحضراه لي أو أحضرا مثله وكأنّي راغب فيه وقد لا أرضى بشيء فينزعجان ويحاولان إرضائي.

كان أبي شبه عقيم فلم يرزق سواي، وكانت أمّي تعرف مرض أبي لكنّها

رضيت بقسمتها ولم تتذمّر بل قالت: «هذا قدري وعليّ أن أرضى به وكفاني أن أكون أمّا لوحيدي»، ولولا شبهي بأبي في صورته لاتهمني الناس!، وصدق الشاعر العربيّ حيث قال: «ومن يشابه أباه فما ظلم»، وهكذا كنت مبرّئا لساحة أمّي.

ودخلت المدارس وتعلّمت حتّى جاوزت المرحلة الثانويّة لكنّي لم أستطع إكمال تعليمي لأنّ والدي احتاج لمساعدتي فلبّيت نداءه وعملت معه في أعماله التجاريّة، فقد كان رحمه الله من أصحاب الأعمال وإن لم يكن من كبار التجّار، كان يعمل وكانت حالته ميسورة وعائلته قليلة هي أنا وهو وأمّي فقط، ونزلت إلى ميدان العمل وفتح الله علينا ووُفّقنا في أعمالنا فاتّسعت وأصبحنا على أعتاب انطلاقة كبيرة، إلاّ أنّ الوالد فاجأنا بأجله المحتوم فانتقل إلى رحمة الله.

وبدأت والدتي تلحّ عليّ بالزواج كانت تقول: «لقد مات والدك دون أن تقرّ عينه برؤية أولادك فلا تدعني أقابل نفس المصير، أرجوك يا ولدي لا تُكرّر القصّة معي وارحمني وتزوّج لأفرح بذرّيّتك»، وكنت أحسّ فعلا أنّني في حاجة للزواج بمن تُناسب مكانتي الاجتماعيّة والاقتصاديّة، كنت أريد الزوجة الكاملة خرّيجة الجامعة الجميلة حتّى أفاخر بها أقراني وأقول لقد تزوّجت الجمال والمعرفة والكمال.

وبحثت طويلا وكانت والدتي تعرض عليّ كلّ يوم واحدة من بنات العائلات أومن يسمّونهنّ بنات الذوات وكانت أغلبهنّ شريفات من أمّهات شريفات غنيات من عائلات قد يفضل بعضها عائلتي، لكنّي لم آبه لكلامها،

كنت أريدها جامعيّة أوّلا ثمّ أبحث عن باقي شروطي بعد ذلك.

ثمّ وجدت من تصوّرتها ضالّتي المنشودة والتي ظننتها ستُحقّق ما حلمت به طويلا وأنّها ستكون شريكة الحياة، كانت شابّة جميلة جامعيّة خرّيجة كلّيّة التجارة وتلك هي أمنيّتي التي كنت أتمنّاها لأنّها ستساعدني بعلمها ومعرفتها في شؤوني التّجاريّة وتُراقب أعمالي وتحفظ سجلاّتي.

فرأتها أمّي فلم تُرضها حركاتها وتحدّثت إليها طويلا فلم تعجب بأحاديثها بل عابتها، ثمّ عادت إليّ مقطبة الجبين تقول لي: «ابعد عنها إنّها خفيفة وكأنّي بها بنت أنْذَال»، وقالت: «يا بنيّ إنّك قليل الخبرة لا تعرف النساء جيّدا فلا تغرّنّك المظاهر إنّني لم أرتح لجمال هذه فقد أحسست أنّها تلبس تحت ثوبها البرّاق نفسا مريضة ضعيفة، والإسلام يا بنيّ يقول لك: إيّاك وخضراء الدمن، فلا تتهوّر»، فسكتّ وأطلت السكوت وكأنّ أمّي رأت في سكوتي إعراضا عن نصيحتها أو إصرارا على رأيي، فقالت: «إنّني لا أريد أن أظلمها ولكنّي أحسّ وإحساس الأمّ لا يخيب إنّها ليست من ثوبك وإنّها لن تسعدك بل بالعكس قد تشقيك!، إن سمعة أسرتها ليست فوق مستوى الشبهات والمثل يقول: الباب اللي يجيلك منه الريح سدّه واستريح»؛ ولم أقتنع لكلامها بل زادني كلامها تصميما على الزواج منها، إنّها جميلة ثمّ إنّها جامعيّة والعلم يهدي إلى الحقّ وإلى حسن الخلق، فماذا أريد أكثر من هذا؟!.

وتزوّجتُ ... تزوّجت الجامعيّة بالشهادة التي حصلتْ عليها من الجامعة الجاهلة بكلّ شؤون الحياة!، إنّها لا تعرف كيف تصنع كوب شاي لا ... كيف تخيط زرّا ولا تغسل إناء إنّها لا تعرف كيف تشعل عود

كبريت!، إنها تعيش كالضيفة في بيتي تأكل مما يُطبخ لها وتلبس ما يُغسل لها، وصدّقني إذا قلت أنها لا تعرف كيف تضع الثوب في مكانه ولا كيف تعلّقه التعليق الصحيح على مشجبه!، وفعلت ما فعلته والدتي رضيت بقدري وسكت وقلت في نفسي صدق المثل: اللي ما يطيع يضيع، وحقيقة ضعت!، خالفت أمر أمّي وتزوّجت خضراء الدمن والله يسترنا من العواقب.

ومرّت أيّامي وكنت أكتشف في كلّ يوم جديدا في زوجتي لكنّه مع الأسف الجديد المنفر المقزز القبيح.

وبعد شهرين أو ثلاثة بدأت الزوجة تتأخّر في الخارج وتعود في آخر الليل!، وسألتها: «لماذا تتأخّرين؟»، قالت: «إنّي أُقدّم رسالة وتأخّري هذا في المكتبة ولعلمك يا زوجي العزيز فإنّ هذا التأخّر سيطول أحيانا فلا تقلق عليّ فأنا امرأة رشيدة وأعرف كيف أدبّر شؤوني فلا تظنّ بي سوءا»، وكلمة: لا تظنّ بي سوءا جعلتني أشكّ في الأمر وتذكّرت المثل القائل: كاد المريب أن يقول خذوني.

وتكرّر التأخّر وعادت ذات ليلة في ساعة متأخّرة وفي حالة غير طبيعيّة!، عزّزت شكوكي فقرّرت أن أراقبها لأعرف سرّها، وفعلا راقبتها في الليلة التالية وعثرت عليها لا في المكتبة ولكن خلف إحدى (سِينَمات) في سيّارة فارهة مع خليل لها وملتبسة معه بجريمة الخلوة!، عرفت ذلك من وجود سيّارتها هناك فبحثت حتّى رأيت بعيني ما رأيت وسكتُّ لا أدري ماذا أفعل؟!.

سيّدي، أكتب إليك خطابي هذا بعد أسبوعين من ضبطي لها في ذلك

الوضع الشائن، أخشى أن أكشف سرّي لأمّي فتشمت بي علما بأنّها بعيدة عنّي وأنا بعيد عنها؛ زوجتي العزيزة أحسّت بجفائي في معاملتها والتغيّر الذي طرأ على تصرّفاتي معها فأحسّت أنّني علمت بأمرها ولكنّها ويا للعجب لم تتأثّر ولم يطرف لها جفن ولم تستح لأنّ البيئة التي عاشت فيها لا ترى في مثل هذه الجريمة بأسا!، وصدق المثل المصريّ القائل: أكفي الجره على فمها تطلع البنت لأمّها.

سؤالي: بماذا تُشير عليّ هل أطلّقها؟!، هل أكشف سرّها لذويها ولأمّي؟!، هل أسكت خوفا من الفضيحة علما بأنّها ما تزال خالية الحضن فلم يُثمر زواجنا حتّى الآن، أنقذني جزاك الله خيرا» اهـ[1].

والجامعيّة في جهلها لشؤون البيت ضحيّة البرامج الجامعيّة أيضا التي لم

(١) هذا الاعتراف جزء من سؤال توجّه به صاحبه للشيخ عبد الله النوريّ، وقد أجابه الشيخ بقوله: «قصّتك عجيبة وأمرك أعجب وجوابي لك في كلمتين فقط: (الباب الذي يجيك منه الريح سدّه واستريح)، قلت في رسالتك: (اللّي ما يطيع يضيع) وأمّك امرأة جرّبت تجربة الخبير أشارت عليك بالخير ومَن أولى بسماع مشورتها منك؟!، عرضت عليك بنات الذوات فلم ترض بواحدة منهنّ وغرّتك خضراء الدمن التي عاشت في الماء الأسن والمحيط الدنس، وقد جنيتَ ثمار تسرّعك أو ثمار إعراضك عن نصيحة أمّك.

أمّا وأنّك قد رأيت الخطيئة بنفسك وشاهدت الفعلة بعينك فطلّق وأنت ساكت بلا فضيحة ولا إشهار ولا عناد ولا صراخ، حتّى ولو كان هناك مؤخّر صداق فادفعه وأنت ساكت، وإيّاك والمحاكم وما شابهها، ولكن نصيحتي لك أن لا تُطلّق إلاّ بعد حيض وبطهر لم توافقها فيه حتّى تأمن من تهمة الحمل بجنين».
[من غريب ما سألوني!] (للشيخ عبد الله النوريّ) (ص:٢٧٥-٢٧٩).

يراع واضعوها (عن عمد) الفرق بين المرأة والرجل، فالأصل أن تؤهّل الجامعيّة لتصبح أُمّا ناجحة أيضا كما أهّلت لتصير طبيبة أو مهندسة أو إعلاميّة، فعِوَض تكثيف البرامج الفارغة كان على واضعي البرامج تسطير حصص خاصّة بالجامعيّات يتعلّمن فيها شؤونهنّ الخاصّة كأمّهات في المستقبل.

كيف فكّر واضعو البرامج في تأهيل الجامعيّة لخدمة المجتمع ولم يفكّروا في تأهيلها لخدمة نفسها وبيتها وزوجها؟!.

حتّى لا تتعنّس جامعيّاتنا:

حتى لا تتعنّس بناتنا وأخواتنا الجامعيات علينا بما يلي:

* أوّلا: تطهير الإقامات الجامعيّة من العابثات والعابثين بقيم المجتمع وتحويلها إلى إقامات خاصّة بالطلبة والطالبات المتزوّجين:

فعِوَض منح الإقامة لعَزَب أو عازبة حيث لا رقيب ولا حسيب علينا أن نمنحها لكلّ طالب أو طالبة مقبلان على الزواج، فنحقّق من وراء ذلك سمعة حسنة لهذه الأحياء واستقرارا نفسيّا لدى الطلبة والطالبات وتشجيعا لهم على الزواج، كما أنّنا بهذا نُزيل أحد أهم أسباب العزوبة والعنوسة في المجتمع وهي الشهادة الجامعيّة والدراسة، وهكذا لا تجد البنت ذريعة الدراسة سببا للتعنيس ولا يجد الطالب ذريعة المسكن سببا للعزوبة!.

وقد يبدو هذا المطلب غريبا على البعض لا لأنّه مستحيل التطبيق بل

لأنّ كثيرا من النفوس استمرأت الإثم واعتادته!.

إنّ إقاماتنا الجامعيّة مملوءة بالساقطات وكثير منهنّ لا علاقة لهنّ بالجامعة، وإنّما يقمن هناك إمّا لأنّهنّ لا يرغبن في العودة إلى القرى والمداشر أو لأنّهنّ فقدن شرفهنّ فيخفن من الفضيحة أو في انتظار فارس الأحلام الذي يُوفّر لهنّ الإقامة في العاصمة أو لأنّهنّ تعوّدن حياة الانطلاق والحرّيّة ولسن على استعداد للعودة لمجتمع تحكمه التقاليد الصارمة.

فمَن أولى بهذه الإقامات الجامعيّة: الشريفة العفيفة التي جدّت وكلّت حتّى وصلت لمُدرّجات الجامعة لا رغبة لها من وراء ذلك إلاّ تحصيل العلم ثمّ بناء أسرة هادئة تحت رعاية أمّ مثقّفة، أ. الأَولى بهذه الإقامات الساقطات الألعبانات اللواتي حوّلنها إلى خلوات لكلّ رذيلة؟!، هل الراغبات في الزواج أولى بالإقامة أم (السحاقيات)؟!.

وهكذا تجني الجامعيّة أوّل امتيازات الزواج بها، ثمّ إنّنا بهذا الحلّ نقضي على أسباب قلق أولياء البنات وخوفهم من الجامعة والإقامات الجامعيّة والخوف أيضا على مصير بناتهم وهنّ وحيدات في هذه الأحياء.

قد يعترض بعض المؤمنين بالأرقام بأنّ حلاّ مثل هذا يُكلّف الدولة الكثير وأنّ تحويل الإقامات الجامعيّة إلى إقامات خاصّة بالمتزوّجين والمتزوّجات يعني إدخال الكثير من الإصلاحات والتعديلات على هذه البيوت إلى جانب تجهيزها، وأمر كهذا يتطلّب أموالا كثيرة لا تقوى عليها الخزينة!.

والجواب أنّ الأموال موجودة وبكثرة يكفي أن يريد ساستنا ويؤمنوا بالحلّ فقط!، الأموال ليست أغلى من أبنائنا وبناتنا، ففي الوقت الذي يريد ساسة ومسئولو البلاد فإنّ الأموال ستتدفّق كما تتدفّق غداة الحَمَلات الانتخابيّة والمهرجانات الاستعراضيّة والمناسبات الفارغة ...!.

وحتّى نُؤكّد على هذا الحلّ علينا أن نفهم أنّ الجامعة هي التي تُزوّد الأمّة بحاجاتها من علماء وباحثين وإطارات ... وعلى عاتق هؤلاء يقع تنظيم وتسيير المجتمع؛ فتوفير وسائل الراحة والاطمئنان وعلى رأسها تسهيل عمليّة الزواج من أولى الاهتمامات إن لم تكن أهمّها.

كيف يتمكّن الطالب الجامعيّ أداء واجبه في ميدان البحث والاختراع والتقدّم وذهنه مُشرّد ونفسه مُضطَرِبَة ونصفه الثاني مفقود ورُبّما لا أمل في وجوده؟!، وكيف تستطيع الجامعيّة التفوّق والبحث والدراسة والتركيز وهي تعلم أنّ نهايتها الوحدة القاتلة في زاوية من زوايا بيت والدها أو في دار للعجزة؟!.

وبيني وبين من يقول العكس الواقع، وقد يقول البعض: من أين للطالب الجامعيّ إعالة أسرته وهو مشغول بالدراسة؟، والجواب واضح: هو أن تُخصّص الدولة اعتمادات ماليّة للمتزوّجين إلى غاية تخرُّجهم من الجامعة والتحاقهم بعالم الوظيفة، وفي حالة زواج الجامعيّ بالجامعيّة فالاعتماد يصير اعتمادين، ولا غرابة في هذا فعلى عاتق مثل هؤلاء تقع مسئوليّة تطوير البلاد فلا خسارة أبدا في خدمتهم والسهر عليهم، والأموال التي تُنفقها الدولة على توفير راحة إطاراتها ورجالها ونسائها ستجنيها غدا برامج اقتصاديّة وصحّيّة

وهندسيّة واختراعات واكتشافات وناطحات سحاب وطرقات وسياحة وفلاحة وتنمية وازدهار وحضارة واستقرار والحسنة بعشر أمثالها.

*** ثانيا: إعادة النظر في البرامج الجامعيّة بما يجعلها أكثر واقعيّة وفطريّة:**

وإعادة النظر هذه لا بدّ من أن تُوجّه إلى ثلاثة محاور:

المحور الأوّل : تكثيف برامج الثقافة والتربيّة الدينيّة خاصّة ما يتعلق منها بفقه المرأة والأسرة[1].

المحور الثاني : الاهتمام بالمؤهّلات الفنيّة الخاصّة بكلّ من الطالب والطالبة:

وبما أنّنا نتحدّث عن الجامعيّة فنحن نقتصر على ما يهمّها في هذا المحور؛ ونقصد بالمؤهّلات الفنيّة تعليم الجامعيّة شؤون الحياة الخاصّة بالمرأة بدءا بتأهيلها لتكون زوجة وصاحبة بيت ناجحة إلى تأهيلها لتكون أمّا ومُربّية.

على الجامعيّة أن تتعلّم إلى جانب تخصصها العلميّ مبادئ الخياطة والتطريز فنون الطبخ فنّ ترتيب البيت أحكام البستنة وتنظيم الحديقة طريقة استعمال

(١) نُحيل الأخت الكريمة إلى مطالعة كتاب: [المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم] (للدكتور عبد الكريم زيدان) وهو مطبوع في ١١ مجلّدا.

الثلاّجة والفرن والمكواة اقتصاديّات البيت ....

بهـذه الطريقـة نُلبّي حاجـة فطريّة في نفسيّـة الجامعيّـة إلى جانب القضاء على الجهل بالحيـاة التي يخشاها الرجال في الجامعيّة.

المحور الثالث : تقليص مرحلة الجذوع المشتركة:

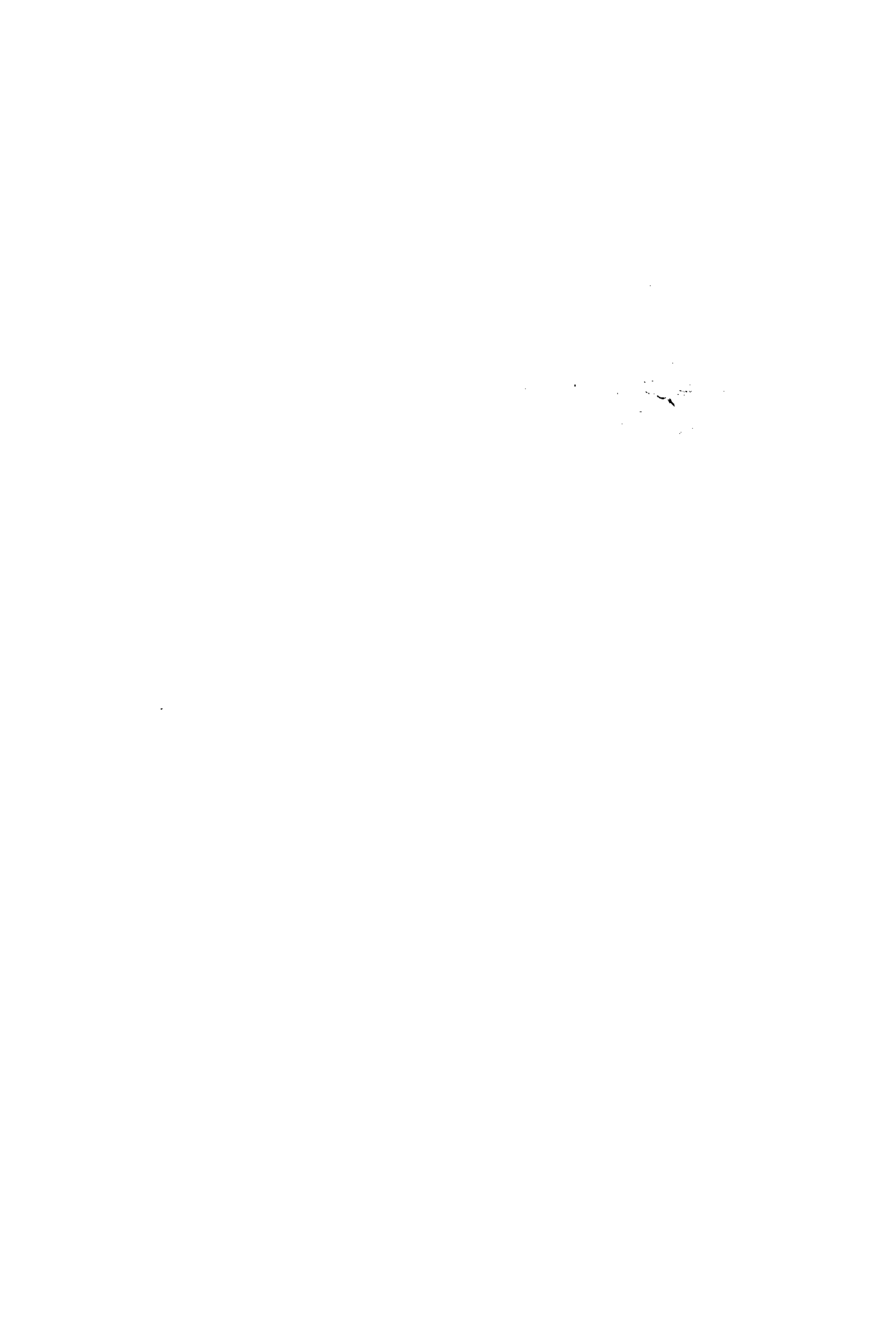
إذا علمنا أنّ الجامعيّة لا تحصل على شهادتها في كثير من التخصّصات إلاّ وقد تعنّست، فبقدر سرورها بالشهـادة يكـون حزنهـا عـلى ضيـاع الـزوج والعائلـة، فعلينـا إذًا أن نضع برامج علميّة تتماشى وطبيعـة الفتـاة، نذكر منها: تقليص مرحلة الجذوع المشتركة والانطلاق في التخصّص مباشرة بعد التسجيل في الجامعة، أو أن تنطلق التخصّصات في الثانويّ على أن يتـمّ ترسيخها في الأربع أو خمس سنوات الأولى الجامعيّة؛ وهكـذا نستطيع تكوين طبيبة أمراض نسائيّة مثلا في ٢٤ سنة بـدلا من ٣٢ سنـة!، إلى جـانب حـذف الكثـير مـن المـواد التي لا تحتاجهـا الجامعيّـة خاصّـة في مجـال تخصصها.

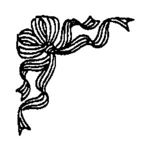
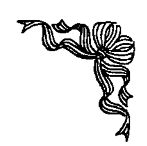
وكم كانت كلمة ابن قتيبة الدينوريّ معبرّة حين قال: «إذا أردت أن تكـون أديبا فخـذ مـن كلّ علـم شيئـا، وإن أردت أن تكــون عالمـا فاشتغــل بعلــم واحد».

ولن تنجح هذه الفكرة إلاّ إذا فكّرنا بعقليّة الوالد على ولده والمعلّم على تلميذه يحنو عليه ويوجّهه، أمّا إن نظرنا إلى عنوسة الجامعيّات وفق الحسابات السياسيّة والموازين الحزبيّة فسنجد ألف ذريعة وذريعة لعدم الأخذ بالحلّ، وهكذا تضيع آلاف الفتيات الجامعيّات من خيرة بنات هذا الوطن بسبب المبرمجين الذين ينظرون إلى البنت كما ينظر أحدهم لأيّ كتلة مادّيّة حيث يهمّه منها ما تدرّه على مصالحه من فوائد ....، أمّا هي وستُحرم من أن تعيش حياتها كما تتمنّى كلّ امرأة على وجه الأرض فلا يهمّ ... المهمّ أن تقضي ١٢ سنة مُتردّدة على الجامعة صباحا مساء من أجل (الشهادة!).

فلنساعد أختنا الجامعيّة على الجمع بين الشهادة والسعادة، والشرط الوحيد أن نحبّ!.





الفصل الثامن

ليتنا لم نتزوج !




ليتنا لم نتزوج!

هـذه وقائع نسوقها إليك أُختيتاه لتعتبري وتحمدي الله وتمتلئين رضا بقضائه، وستجدين نفسك أفضل بكثير من ضحايا الغدر والخيانة اللواتي يُصرّحن بملء فيهن: «ليتنا لم نتزوّج!».

نسوق إليك أُختيتاه بعض قصصهنّ ليس تشجيعا لكِ على العنوسة وإنّما تسلية لكِ وتقوية لإيمانك، فاحمدي الله أوّلا واستحضري ما تملكينه من صبر ورباطة جأش، واقرئي اعترافات واقعيّة لمتزوّجات عشن الخيال!:

قبل الرحيل

قال الكاتب محمد خفاجي: «هذه الحكاية جاءت في البريد بخطّ صاحبتها ولقد حذفت كثيرا من التفاصيل الفاضحة التي لا يجوز نشرها مع أنّي أراها كانت ضروريّة لمعرفة الحقيقة وللحكم الصحيح على هذه المرأة والوصول إلى إدانتها أو براءتها ثمّ البحث عن الجاني إن كانت هي بريئة، أمّا عن عقابها فيكفي أنّها كتبت هذه الرسالة وهي تدنو من نهايتها على فراش الموت!».

«لا أدري هل أنا منحرفة أم سويّة أم مظلومة وضحيّة ظروف النشأة والمجتمع؟!، أعرف أنّ الكثيرين سيدينوني بإدانات كثيرة وأعرف أيضا أنّي سأكون لدى الآخرين بريئة ولكنّهم قلّة، هكذا سمعت من بعضهم خاصّة القريبين منّي والعارفين بمشواري.

فقد كانت طُفولتي مُعذّبة، رأيت صراعات كثيرة بين أبي وأُمّي، كان يصرخ فيها ويحرِمها ويضربها وكانت تبكي كثيرا وتغلق على نفسها الغرفة حتّى لا نرى نحن الأطفال عذابها، لكنّي كرهت الزواج لأنّي ظننت أيّامها أنّ هكذا حال جميع المتزوّجين!.

مرّت بالجاد سنوات الدراسة الابتدائيّة والمتوسّطة، وفي الثانويّ رسبت مرّتين فقالوا إنّي فاشلة ولا أصلح للتعليم مع أنّي كنت أُحبّ المدرسة

والـدروس والمدرّسات، وكنـت أذاكـر وأجتهـد لكـن الظـروف المنزليّـة مـن صراعات وصراخ وبكاء كانت أقوى منّي ومن الذاكرة.

وأمّي حـاولت كثيرا أن تُساعـدني ونُسانـدني وتشرح لي أنّ أبي مـريض بالعصبيّة والعناد وأنّه (دقّة قديمة) من الرجال الذين يُحبّون السطوة وأنّ لهم الكلمة العليا وأنّهم أسياد وكلّ من ملكته أيديهم (عبيد)!.

عندما بلغتُ السادسة عشرة من عمري أمروني بالزواج، حدّدوا الموعد بعدمـا اختـاروا العريس، لـم يستمع أحـدهم إلى ما أودّ أن أقـول، صرختُ فأصمّوا آذانهم رقصت من الألم فأغمضوا عيونهم ودفعوني يوم العرس إلى غرفة الزفاف مع رجل غريب!، كان جميلا وودودا في البداية، جلس بعيدا عن الفراش وعنّي وأخذ يحكي قصّة عذابه التي عيشها، فهو يُحبّ فتاة غيري من غير جنسيّته ولم يستطع الزواج بها لأنّه لا يملك المال الذي يُمكّنه منها، كان ضعيفا وهو يحكي وتافها وهـو يكاد يبكي ومُضحكـا وهـو يطلـب حقّه الشرعيّ فـورا!، طلبت منه أن ينتظـر أيّاما قليلة لأتعرّف عليـه وأفهمـه وأقترب منـه ويقترب منّي وأُحبّه ويُحبّني مع أنّه ذبحني بقصّة حُبّه لغيري، لكنّه صرخ بكلّ ما فيه من صوت: «ما يصير شنّو تبين الناس تقول عليّ موريّال!»، رفضت محاولاته رانحته إلحاحه ... أخذ يضربني بقسوة يشتمني بألفاظ سيّئة يمزّق ثـوب زفـافي وعفّتي ويغتصبني دون رضـاي ثمّ يقسـم في النهايـة أن يُعلّـمني الأدب والطاعـة، ويخـرج مـن الغرفـة إلى الحمّـام ومـن الحمـام إلى غُرفـة أُخرى لينام!.

في اليوم الثاني لم أره طوال النهار!، وعندما جاء في المساء كانت برفقته

امرأة قال إنّها صديقته المفضّلة التي ستعلّمها كيف تتعامل مع زوجها، اقتحما غرفة نومي وأمام بصري والغرفة مغلقة بالمفتاح فعلا كلّ شيء بسفالة وقالا إنّه الدرس الأوّل في الليلة الأولى، وكلّما كان يُغمى عليّ وأخرج من دائرة وجودهما يُغرقني زوجي بالماء والسباب والركل كي أتفرّج على المهزلة!.

وعندما جاء النهار أُصبت بالبرد وتحسست أوجاعي وبكيت فبصق زوجي العزيز فوقي وخرجت صديقته من البيت ليغتصبني وأنا جُثّة بلا روح وبلا وعي.

وعندما سئمت لعبة كلّ ليلة وكثرت أوجاعي وإهاناتي حكيت لأمّي كلّ شيء بالتفصيل، لم تُصدّقني في البداية وظنّت أنّ بي مسّا من الجنون لكنّها زارتني ذات ليلة فوجدتني جُثّة هامدة فوق السجّادة وزوجي فوق سريره يلعب لعبته المفضّلة، أخذتني إلى الغرفة الأخرى ولفّت جسدي بالغطاء وأخذت تبكي بحرقة وتنعي حظّي وحظّها، ولم تجد سوى زوج أُختي لتحكي له وهو رجل كان بمثابة أخي أحترمه وأُقدّره.

جاء بيتي في غياب زوجي وسألني عن ليلة الزفاف وعن تفاصيل الليالي التي أعقبتها، وأراد أن يرى بنفسه أماكن الوجع وعندما رأى أجزاء جسدي المجروحة هجم بقسوة لينال منّي عنوة ويجري إلى الشارع!.

سألتني أُمّي عن زوج أُختي فلم أستطع أن أقول حرفا واحدا يقتلها ويقتلني، لكن زوج أختي جاءني في اليوم الثاني وهدّدني أن يُخبر زوجي بما حدث إذا لم أستمرّ معه في الحب الملطّخ بالعار!، وعندما رفضته هجم مرّة أُخرى ونال منّي ثم أصبح يأتيني كثيرا، زوجي كان بعيدا عنّي لم ينلني غير

مرّتين منذ الزواج ولم يعد يجيء بصديقته إلى البيت بل أصبح يغيب في الخارج ويأتي عند الفجر ولا يُحبّ أن يراني.

لكنّه ذات ليلة جاء ببعض أصدقائه إلى البيت وطلب منّي أن أتزيّن وأرتدي أجمل فساتيني وأجلس معهم، قلت: «إنّه ليست هناك امرأة غيري في البيت وهذا عيب؟!»، قال: «إنّهم من الربع وسوف يسهرون عندنا وعلينا أن نُجاملهم بالعشاء والسهر»، وهدّد بقتلي إذا لم أقدّم العشاء وأنا في أبهى طلعة، وجلست معهم على العشاء حاصروني بنظراتهم وتعليقاتهم وهو لا يُبالي، انتابني الخوف وارتعش جسدي عندما مدّ أحدهم يده وأمسك بيدي ظننت أنّه يُغافل زوجي لكن ابتسامة زوجي الصفراء القاتلة ذبحتني وأربكتني وملأتني بالخوف وكدت أتقيأ، وفي المطبخ وأنا أضع الأواني تبعني أحدهم واحتواني فجأة بين ذراعيه، صفعته على وجهه بقوّة فجاء زوجي مندفعا يسأل وبعدها أخذ يصفعني ويركلني، وقعت أمام الجميع فوق السجّادة فأخذ يسحبني إلى غرفة النوم ويبصق فوقي ويسبّني، أحسست بالدوار رأيته يغلق باب الغرفة ...!»[1].

(١) هذا الاعتراف أرسلته صاحبته المعذّبة للكاتب محمد خفاجيّ نشره بمجلّة [المجالس] بزاوية أجنحة النورس (عدد:١٢١٩).

ليتني كنت عانسا!

قصة فتاة تزوّجت وعمرها ٢٨ سنة، كانت قبل زواجها في سعادة تامة حياتها كلّها دفء وحنان ضمن عائلة محترمة كانت الغبطة والطمأنينة تسودها، لم تعرف قطّ معنى المشاكل العائليّة، كانت لها الكلمة والرأي وسكوتها أحيانا يقلق عائلتها لأنّها تعوّدت على مناقشاتها وآرائها السديدة ومشاركتها حتّى في أمورها الخاصّة ...، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، الجنّة التي تربّت فيها أعقبتها الجحيم جحيم لا يُطاق. تقول:

«هذه القصّة التي كلّما تذكّرتها أشعر كأنّي أعيش الكابوس من جديد الكابوس الذي عشته في فترة وجيزة من حياتي وظننته لا ينتهي أبدا!.

في إحدى الأيّام دقّ باب منزلنا عائلته تُريد خطبتي، لم أتعرّف على الزوج إلاّ بعدما حان موعد زفافي، جاءوا والبسمة تعلوا شفاههم فرشوا لي بساطا من الورود بكلام كان يخفي كثيرا من الأشواك!، كلامهم عسل ممزوج بالسمّ القاتل إنه الحنضل نفسه، أدخلوني الجنّة ونعيمها غير أنّها كانت هي الجحيم بعينه ... فيا ليتني لم أتزوّج!.

تكلّمنا كثيرا وصارحتهم برغبتي في العمل خارج المنزل فتقبّلوها بصدر رحب واقترحوا عليّ حتّى مواصلة دراستي فرفضت ذلك لأتفرّغ أكثر

لزوجي وبيتي.

وتمّ الزفاف بعد مرور ١٥ يوما من الخطبة، وكانت أُمنيتي أن أجد الراحة والطمأنينة في بيت زوجي كما تعوّدت عليهما عند أهلي، ظننت أنّني وسط والديّ وأخواتي وكم كانت حساباتي خاطئة.

فبعد أسبوع فقط من زواجي الذي لم يدم إلاّ شهرين كانا بالنسبة لي كأنّهما سنتين إن لم يكونا قرنين بدأت المشاكل تظهر على الساحة العائليّة؛ في بداية الأمر لم يُقدّموا لي صداقي واعتبروه صداقا مؤخّرا يُدفع بعد الدخلة ولم يحدث ذلك حيث صرّح والده بأعلى صوته: «عليك بمساعدة زوجك في صداقك فهو لا يستطيع شراء المصوغات المطلوبة من طرف أهلك»، وظننت أنّي وسط عائلة هنديّة، فهناك المرأة هي التي تُقدّم الصداق للرجل وتُجهّز زوجها، ولم أقل شيئا ولم أتلقّ صداقي إلى يومنا هذا، إذًا تزوّجت من غير صداق!.

وكشّرت أمّ زوجي عن أنيابها وتحوّلت إلى (مدام جنون) وراحت تضع الخطط الجهنّميّة للتخلّص منّي، مرّة تدّعي أنّي أزور أهلي عند خروجي من العمل دون علم زوجي فوضعتني تحت الرقابة والحراسة المشدّدة حيث أصبح زوجي يُرافقني إلى العمل وعند العودة أجِدُ أباه وأخاه في انتظاري، لقد وُضعت في سجن؛ وفي البيت ليس لديّ الحقّ في التمتّع بحياتي الزوجيّة وليس لديّ الحقّ في التحدّث لأحد من معارفي لا داخل البيت ولا خارجه.

ومشكلتي مع أُمّ زوجي تتمثّل في دعواها أنّي أخذت منها ابنها فتقسم بأغلظ الأيمان أنّها باستطاعتها تطليقي بكلمة واحدة منها!، كانت تمنعني من

الاغتسال فكنت أدخل المطبخ من الزوال وأحيانا عند عودتي من العمل مباشرة حيث أجدها لم تُحضّر الغذاء فأُحضّره أنا وأدخل المطبخ ولا أخرج منه إلاّ بعد منتصف الليل أو بعده!، وإذا أردت الاغتسال حتّى أتطهّر من الأدناس وأوساخ المطبخ أجد باب الحمّام مغلقا بالمفتاح فأضطرّ للدخول إلى غُرفة نومي ورائحة المطبخ تُؤذي كلّ من يشمّني، وهي تفعل هذا حتّى لا يُطيق زوجي رؤيتي فيُطلّقني!، والمؤسف جدّا أن روجي غارق في نومه لا يُبالي ولا يهتمّ بما يقع لي فلا أجد إلاّ البكاء، وأملي أن يكون غداي أفضل من يومي.

حُرمت من زيارة أهلي وحتّى استقبالهم عندي في البيت، فالمطلوب منّي أن أنسى مَن أنجبني لهذه الحياة، ولهذا أخذوا منّي جدول التوقيت الخاصّ بعملي حتّى يطّلعوا على أوقات توقّفي عن العمل ليُتقنوا فنّ حراستي ومُحاصرتي.

حُرمت من الأكل طيلة النهار فإذا تغدّيت لا أتعشّى خاصّة أنّ مُعظم أوقاتي أقضيها داخل المطبخ، وأتذكّر جيّدا في يوم من الأيّام زارتني أُختي في مقرّ عملي وتفاجأت عند مُلاقتي من تغيُّر وزني، ومن شهامتها أنّها قدّمت لي بعض المأكولات؛ وقامت القيامة عند عودتي لسجني نعم كأنّ الصاعقة نزلت عليّ، رُمي بتلك المأكولات في سلّة المهملات وللأسف لم أكن ذكيّة فقد كان بإمكاني إخفاءها عنهم لكنّني تعوّدت في بيت أهلي الصراحة وعدم الغشّ والجشع، أكل يُرمى مع القاذورات لأنّه هديّة من أُختي؟!.

حتّى عبادتي حُرِمتُ منها، وكيف أعبد الله في بيت كلّه مُحرّمات؟!،

نسيتُ أن أُخبركم أنّ هواية أمّ زوجي المفضّلة بعد تعذيبي العزف على آلة (البيانو) وهواية ابنها وبنتها العزف على آلة (العود) وطيلة النهار البيت مغموس في جوّ الغناء، كيف أعبد الله في بيت إذا سمع الآذان هرولوا لغلق النوافذ حتّى لا يُزعجهم صوت المؤذن ولا يشغلهم عن الغناء؟!، وكيف أعبد الله وليس لديّ الحقّ في الاغتسال من الجنابة؟!، وصبرتُ وصبرتُ حتّى ملّني الصبر، أمّا عن استباحة غُرفتي حتّى وأنا نائمة فيها فلا أقوى على ذكر تفاصيلها.

ومرّ شهران على زفافي واشتاق والديّ لرؤيتي ولكن أهل زوجي رفضوا وطلبوا منّي نسيان أهلي!، وزاد شوق أهلي لرؤيتي فقد انقطعت عنهم أخباري ومُنِعوا من زيارتي أو التحدّث معي في الطريق أو مراسلتي!، واستدعيت من طرف أهلي ولبّيتُ الدعوة التي كانت الأولى والأخيرة، وعند خروجي من منزلهم قامت الأمّ وتكلّمت طويلا مع ابنتها في المطبخ، وذهبت لأهلي على أن أعود في المساء وفضّل الزوج المجيء لأخذي إلى السجن بعد ثلاثة أيام، وقلت في نفسي: أرتاح بعض الوقت عند أهلي، وتغيّب الزوج ثلاثين يوما وكأنّ الأرض ابتلعته!، وفهمت أنّ وراء الأمر خُطّة، وصرّح لي زوجي وكان مريضا أنّ أُمّي لا تُريدك في بيتها ولا تُريدك زوجة لي!، بالأمس أصرّتْ على اختياري من بين العشرات لابنها واليوم لا تُريدني وكأنّي لُعبة اشترتها لولدها واليوم تُريد له لعبة أُخرى؟!.

أنا المعذّبة التي تحمّلت مصائبهم، أنا التي انتُزِعَت منّي أُجرة عملي خلال شهرين، أنا التي حرموني من صداقي ومن راحتي ومن غُسلي، ليتهم تركوني عند أهلي.

وبقيتُ في بيت أهلي شهرا آخر ثمّ تمّ استدعائي من طرف ولد جلاّدتي عن طريق المحكمة أين ادّعى أنني تخلّيتُ عن بيت الطاعة بمحض إرادتي، وفُتح أمامي طريق (المحاكم).

وسرتُ في هذا الطريق ٧ سنوات وكأنها ٧ قرون رأيت خلالها عذابا جديدا ومرارة مُستمرّة!، كنتُ أشعر بالأرض تبتلعني وأنا واقفة أمام جمع من الناس لا أعرفهم داخل المحكمة وأسراري تُنشر أمام الناس يسمعها كلّ من هبّ ودبّ!، وقفتُ في المحكمة لوحدي كاليتيمة ثمّ أنصرف لوحدي فلا أجد من يمسح دموعي أو يسمع آهاتي أو يُواسيني بكلمة طيبة، إلاّ أُمّي التي اتّسع صدرها لاحتضاني كانت تنتظر عودتي من المحكمة في شرفة المنزل وعندما تراني تنهار بالدموع باكية على حظّي وصبِرْتُ وصبَرَتْ.

لا أنس أبدا ذلك اليوم الممطر، ذهبتُ إلى المحامي قدّمتُ له مصاريف القضيّة (٣٠٠٠ د.ج.) ولم أترك لنفسي أُجرة السيّارة لعودتي لأنّه ببساطة لم يبق لي شيء، وعند عودتي انكسرت مِظلّتي ولم أدر بنفسي فوقفتُ تحت الأمطار بمرأى من الناس، رفعتُ يدايا إلى السماء ناديتُ من لا يغفل ولا ينام: «ماذا فعلتُ ياربّ لأجل هذا كلّه؟!». ودخلتُ المنزل في حدود السابعة مساء بعد مسافة طويلة قطعتها راجلة وكان جسمي مبلّلا فضلا عن لباسي.

والمؤسف جدّا أن يطردني والدي في الصباح على السادسة لأنّني لم أُقدّم له مصروف الشهر!، وكم كانت كلماته جارحة قائلة: «الآخرون رَمَوا بكِ وأنا طمّينك!»، وغادرتُ البيت وتغيّبتُ عن العمل وجِبتُ الشوارع طيلة

اليوم لا أكل ولا شراب ولا راحة ولا عبادة!.

أنا الضعيفة أقف أمام المحاكم وأنا المسكينة أُطرد من البيت وأنا المطلّقة لا بيت يرحمني ولا مجتمع يُواسيني!.

حتّى الذين أعرفهم ما إن ألتقي بهم إلاّ ويذكُرونني بالطلاق، هذا المجتمع الجاهل الذي ينظر إلى المُطلّقة كأنّها جرثومة لا حق لها في الزواج من أعزب!، كم مرّة بعد طلاقي أرادوني للزواج وما إن يعلموا أنّي مُطلّقة يفرّون ولا يعودون ... ما ذنبي إذا كنت كذلك؟!، حتّى زيارة الأقارب أو حضور الأفراح والأعراس امتَنعتُ عنها لأنّهنّ لا يحلوا لهنّ الحديث إلاّ عن طلاقي ونصيبي وزواجي.

كلام الناس جارح إن قالوا حقّا فما بالك بالاتّهامات والقذف الذي تُرمى به المطلّقة حتّى ولو كانت عفيفة شريفة؟!، المهمّ أنّها مطلّقة وكفى.

ومرّت الأيّام وأنا أتردّد على المحاكم وفي كلّ مرّة كنتُ أنتصر عليه ويطعن في الحكم، وفي آخر جلسة حكمت عليه المحكمة بالقسم أمام الإمام وفي المسجد على أنّه قدّم لي صداقي مقابل هذا القسم لآخذ هذا الأخير أي الصداق، ولكنّني تخلّيتُ عن تنفيذ هذا الحكم لأسباب كثيرة منها علمي بأنّ مثل هذا الزوج (المصنوع من الورق) على استعداد ليقسم حتّى داخل الكعبة!.

تركت الأمر لله وقلتُ: «حسبي الله ونعم الوكيل»، وتركتُ صداقي ومتاعي وتركتُ المحاكم.

والآن تمرّ ١٠ سنوات على مأساتي وزواجي كلّها عذاب في عذاب، ولم أتزوّج بعد فلا أحد يرغب في المطلّقة.

وخلاصة الكلام تمنّيتُ لو لم أتزوّج وليتني كنت عانسا!».



❋ المصادر والمراجع

❋ فهرس الموضوعات

المصادر والمراجع

- أحكام القرآن لابن عربي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي.
- الأساس في التفسير للعلاّمة سعيد حوّى.
- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازيّ.
- التفسير المنير للزحيلي.
- الجواهر في تفسير القرآن الكريم للأستاذ طنطاويّ جوهريّ.
- تفسير ابن كثير.
- جامع البيان للطبريّ.
- في ظلال القرآن لسيّد قطب.
- إحياء علوم الدين للإمام الغزاليّ.
- السنن لسعيد بن منصور.
- الفقه الإسلاميّ وأدلّته للزحيلي.
- الكبائر للذهبيّ.
- اللسان لابن منظور.
- المصنّف لابن أبي شيبة.
- المغنيّ لابن قدامة.
- سبل السلام للصنعانيّ
- شرح السنّة للإمام البغويّ.
- شرح القدير لابن الهمام.
- شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان.
- صحيح البخاريّ بشرح العسقلانيّ.
- فتح الباري لابن حجر العسقلانيّ.
- فتح القدير لكمال الدين بن الهمام.
- أبحاث في مشاكل البيئة للدكتور زين الدين عبد المقصود.
- أحكام الأسرة في الإسلام للأستاذ مصطفى شلبيّ.
- أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنّة للدكتور سليمان الأشقر.

- منهج السنّة في الزواج للعلاّمة الدكتور محمد الأحمديّ.
- نيل الأوطار للشوكانيّ.
- مقالات العلاّمة زاهد الكوثريّ.
- من غريب ما سألوني للشيخ عبد الله النوريّ.
- يسألونك في الدين والحياة للإمام الشرباصيّ.
- ماذا عن المرأة؟ للدكتور نور الدين عتر.
- إكمال إكمال المعلم للأبيّ المالكيّ.
- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين السيّد صالح.
- الإشراف على مذاهب الأشراف لأبي المظفر يحيى بن محمد هبيرة.
- الإيدز والأمراض الجنسيّة للدكتور محي الدين طالو العليّ.
- الخطبة والزواج للدكتور محمد محده.
- الروضة النديّة للعلاّمة محمد صديق حسن خان.
- الزواج في الشريعة الإسلامية لعليّ حسب الله.
- الزواج ومقارنته بقوانين العالم لزهدي يكن.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثميّ.
- الغارة على الأسرة المسلمة لعبد القادر أحمد عبد القادر.
- الفتاوي للشيخ محمود شلتوت.
- المرأة الصهيونيّة تاريخ أسود وكرامة مفقودة لديب عليّ حسن.
- المرأة بين الفقه والقانون للسباعيّ
- المفصّل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلاميّة للدكتور عبد الكريم زيدان.
- تحفة العروس للتيجانيّ.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق.
- تسلية أهل المصائب للإمام المنبجيّ.
- تنظيم الإسلام للمجتمع للدكتور رمزي نعناعة.
- جنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى لأبي يحيى الغرناطيّ.
- حاشية ردّ المحتار عن الدرّ المختار.
- حقوق المرأة في الإسلام للدكتور محمد عبد السلام أبو النيل.
- روضة المحبّين ونزهة المشتاقين لابن القيّم.
- زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه لمحمد محمد البابليّ.
- شعراء الدعوة الإسلاميّة.

- عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام لعبد الله ناصح علوان.
- فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم للعلاّمة شمس الدين بن طولون.
- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي.
- فكاهات الزواج والطلاق والحموات لرابح خدوسي.
- قضية تحديد النسل في الشريعة الإسلامية.
- معضلات ومشكلات تواجه المرأة المسلمة المعاصرة للأستاذ عبد الحليم محمد قبس.
- الإسلام خواطر وسوانح لهنري سوى كاسترس.
- الإسلام قوّة الغد العالمية للمفكّر باول شمتز.
- إنسانية الإسلام لمارسيل بوازار.
- حضارة العرب لغوستاف لوبون.
- البحث عن الله لإيغلين كوبول.
- الحضارة العربية لجاك ديسلر.
- صحيفة الشرق الأوسط.
- مجلّة المجالس.
- مجلّة النور الكويت.
- مجلّة اليقظة.
- مجلّة منار الإسلام الإمارات.
- جريدة الخبر الجزائر.
- جريدة الراي الجزائر.
- جريدة الشروق العربي الجزائر.

فهرس الموضوعات

الفصل الثامن